تفسير الجلالين

العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي

المتوفى ٨٦٤ هـ

والعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

المتوفى ٩١١ هـ

وبهامشه

لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي

و

معرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم

و

ألفية الإمام أبي زرعة في تفسير غريب ألفاظ القرآن

تنبيه:

من أول "الكهف" إلى آخر "الناس" هو مما فسره جلال الدين المحلي وهو الذي بين قوسين على السيوطي
ومن أول "البقرة" إلى آخر "الإسراء" فهو مما فسره جلال الدين السيوطي

دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

تفسير الجلالين

العلامة جلال الدين محمد بن أحمد المحلي

المتوفى ٨٦٤ هـ

والعلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

المتوفى ٩١١ هـ

وبهامشه

لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي

و

معرفة الناسخ والمنسوخ لابن حزم

و

ألفية الإمام أبي زرعة في تفسير غريب ألفاظ القرآن

تنبيه:

من أول "الكهف" إلى آخر "الناس" هو مما فسره جلال الدين المحلي وهو السابع على السيوطي
ومن أول "البقرة" إلى آخر "الإسراء" فهو مما فسره جلال الدين السيوطي

دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

Title : **TAFSĪR AL-JALĀLAYN**

الكتاب : **تفسير الجلالين**

Classification: Exegesis of The Qur'an
Author : **Jalāluddīn al-Maḥalli**
and: **Jalāluddīn al-Sayūṭi**
Publisher : Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Pages : 448
Size : 20*28
Year : 2009
Printed in : Lebanon
Edition : 3rd

التصنيف : تفسير قرآن
المؤلف : جلال الدين المحلي
وجلال الدين السيوطي
الناشر : دار الكتب العلميـــة - بيروت
عدد الصفحات : 448
قياس الصفحات: 20*28
سنة الطباعة : 2009
بلد الطباعة : لبنـــان
الطبعة : الثالثة

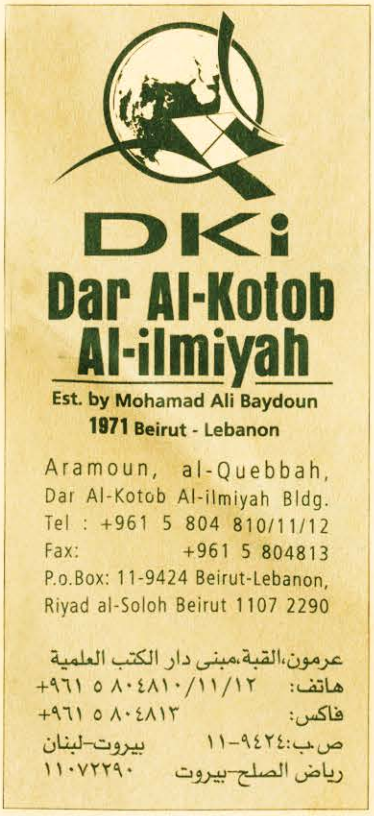

Exclusive rights by © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated,reproduced,distributed in any form or by any means,or stored in a data base or retrieval system,without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beyrouth-Liban Toute représentation,édition,traduction ou reproduction même partielle,par tous procédés, en tous pays,faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الادبية والفنية محفوظة لـدار الـكتـب الـعلمية بيروت-لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

بسم الله الرحمن الرحيم

[قال الإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ]:

الحمد لله حمداً موافياً لنعمه مكافئاً لمزيده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وجنوده. وبعد: فهذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألّفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلّي الشافعي رحمه الله وتتميم ما فاته «وهو من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الإسراء» بتتمة على نمطه من ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى والاعتماد على أرجح الأقوال وإعراب ما يحتاج إليه وتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية وأعاريب محلها كتب العربية. والله نسأل النفع به في الدنيا وأحسن الجزاء عليه في العقبى بمنّه وكرمه.

[قال الإمام جلال الدين المَحَلّي المتوفى سنة ٨٦٤هـ]:

١ ــ سورة الفاتحة

مكية «سبع آيات بالبسملة إن كانت منها»

والسابعة «صراط الذين» إلى آخرها وإن لم تكن منها، فالسابعة «غير المغضوب» إلى آخرها. ويقدّر في أولها: «قولوا» ليكون ما قبل «إياك نعبد» مناسباً له بكونها من مَقُول العباد.

(١) ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾. (٢) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جملة خبرية قصد بها الثناء على الله بمضمونها من أنه تعالى: مالك لجميع الحمد من الخلق، أو مستحق لأن يحمدوه و«الله» علم على المعبود بحق ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي مالك جميع الخلق من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم وكل منها يطلق عليه عالم، يقال عالم الإنس وعالم الجن إلى غير ذلك. وغلب في جمعه بالياء والنون أولو العلم على غيرهم وهو من العلامة لأنه علامة على موجده.

(٣) ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ أي ذي الرحمة وهي إرادة الخير لأهله.

(٤) ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي الجزاء وهو يوم القيامة وخص بالذكر لأنه لا ملك ظاهراً فيه لأحد إلا الله تعالى بدليل ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] ومن قرأ «مالك» فمعناه مالك الأمر كله في يوم القيامة أو هو موصوف بذلك دائماً كـ ﴿غَافِرِ الذَّنبِ﴾ [غافر: ٣] فصح وقوعه صفة لمعرفة.

(٥) ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي نخصك بالعبادة من توحيد وغيره ونطلب المعونة على العبادة وغيرها.

(٦) ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي أرشدنا إليه ويبدل منه.

(٧) ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالهداية ويبدل من الذين بصلته ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل لكل شيء سبباً. وأنزل على عبده كتاباً عجباً. فيه عن كل شيء حكمة ونبأ والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الخليقة عجماً وعرباً، وأزكاهم حسباً ونسباً، وعلى آله وأصحابه السادة النجبا.

(وبعد): فهذا كتاب سميته لباب النقول في أسباب النزول لخصته من جوامع الحديث والأصول وحررته من تفاسير أهل النقول والله أسأل النفع به فهو أكرم مسؤول وأعظم مأمول.

مقدمة

لمعرفة أسباب النزول فوائد، وأخطأ من قال لا فائدة له لجريانه مجرى التاريخ ومن فوائده: الوقوف على المعنى أو إزالة الإشكال قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان سبب نزولها. وقال ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن. وقال ابن تيمية: معرفة سبب النزول يعين

هذه رسالة جليلة تتضمن ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل للإمام القاسم بن سلام حسبما نقل عنه صاحب الإتقان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حق حمده وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه وجنده، أخبرنا الشيخ الفقيه الحافظ النبيه شرف الدين أبو الحسن علي بن المفضل بن علي المقدسي رحمه الله إجازة قال: أخبرنا الشيخان الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني وشهاب الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف القونوي عن أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن الخطاب عن أبي محمد إسماعيل عن ابن عمر بن إسماعيل المقرىء بن عبيد عن الحسن بن محمد عن أحمد بن محمد بن أبان القرشي عن أبي جعفر محمد بن أيوب عن عبد الملك بن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)﴾ قال: بلسان قريش ولو كان غير عربي ما فهموه وما أنزل الله كتاباً من السماء إلا بالعربية وكان جبريل عليه السلام يترجم لكل نبي بلسان قومه وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ فليس ما وقع من ألسنة الأمم أو سمع من لسان العرب في القرآن ليس فيه لغة إلا لغة العرب وربما وافقت بعض اللغات بعضاً فأما الأصل والجنس فعربي لا يخالطه شيء.

على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب وقد أشكل على جماعة من السلف معاني آيات حتى وقفوا على أسباب نزولها فزال عنهم الإشكال وقد بسطتُ أمثلة ذلك في النوع التاسع من كتاب الإتقان في علوم القرآن وذكرت له فوائد أخر من مباحث وتحقيقات لا يحتملها هذا الكتاب. قال الواحدي: ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها. وقد قال محمد بن سيرين: سألت عبيدة عن آية من القرآن فقال: اتق الله وقل سداداً ذهب الذين يعلمون فيم أنزل القرآن، وقال غيره: معرفة سبب النزول أمر يحصل للصحابة بقرائن تحتفي بالقضايا وربما لم يجزم بعضهم فقال: أحسب هذه الآية نزلت في كذا كما قال الزبير في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: ٦٥] الآية وقال الحاكم في علوم الحديث: إذا أخبر الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا فإنه حديث مسند ومشى على هذا ابن الصلاح وغيره. ومثلوه بما أخرجه مسلم عن جابر قال: كانت اليهود تقول: من أتى امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول فأنزل الله: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] الآية وقال ابن تيمية: قولهم نزلت الآية في كذا يراد به تارة أنها سبب النزول ويراد به تارة أن

عَلَيْهِمْ﴾ وهم اليهود ﴿وَلَا﴾ وغير ﴿ٱلضَّآلِّينَ﴾ وهم النصارى ونكتة البدل إفادة أن المهتدين ليسوا يهوداً ولا نصارى ـ والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٢ ـ سورة البقرة

مدنية مائتان وست أو سبع وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. (٢) ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي هذا ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ﴾ أنه من عند الله وجملة النفي خبر مبتدؤه ذلك والإشارة به للتعظيم ﴿هُدًى﴾ خبر ثان أي هاد ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الصائرين إلى التقوى بامتثال الأوامر واجتناب النواهي لاتقائهم بذلك النار. (٣) ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله. (٤) ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ أي التوراة والإنجيل وغيرهما ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يعلمون. (٥) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذُكِرَ ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالجنة الناجون من النار. (٦) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كأبي جهل وأبي لهب ونحوهما ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهَّلة والأخرى وتركه ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لعلم الله منهم ذلك فلا تطمع في إيمانهم والإنذار إعلام مع تخويف. (٧) ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ طبع عليها واستوثق فلا يدخلها خير ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ أي مواضعه فلا ينتفعون بما يسمعونه من الحق ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ غطاء فلا يبصرون الحق ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قوي دائم.

ونزل في المنافقين: (٨) ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ أي يوم القيامة لأنه آخر الأيام ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ روعي فيه معنى (مَن) وفي ضمير (يقول) لفظها. (٩) ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لأن وبال خداعهم راجع إليهم فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون في الآخرة ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يعلمون أن خداعهم لأنفسهم، والمخادعة هنا من واحد «كعاقبت اللص» وذكر الله فيها تحسين، وفي قراءة وما يخدعون. (١٠) ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شكٌّ ونفاق فهو يُمرِض قلوبهم أي يضعفها ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ بما أنزله من القرآن لكفرهم به ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ بالتشديد أي نبي الله وبالتخفيف أي في قولهم آمنا. (١١) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي لهؤلاء ﴿لَا تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفر والتعويق عن الإيمان ﴿قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ وليس ما نحن فيه بفساد. قال الله تعالى رداً

عليهم: (١٢) ﴿أَلَآ﴾ للتنبيه ﴿إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك. (١٣) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾ أصحاب النبي ﷺ ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾[1] الجهال؟ أي: لا نفعل كفعلهم. قال تعالى رداً عليهم: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك. (١٤) ﴿وَإِذَا لَقُوا۟﴾ أصله لقيوا حذفت الضمة للاستثقال ثم «الياء» لالتقائها ساكنة مع الواو ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟﴾ منهم ورجعوا ﴿إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ رؤسائهم ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدين ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ بهم بإظهار الإيمان. (١٥) ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يجازيهم باستهزائهم ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ يمهلهم ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ بتجاوزهم الحد بالكفر ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون تحيراً حال. (١٦) ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ أي استبدلوها به ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ أي: ما ربحوا فيها بل خسروا لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ فيما فعلوا.

(١٧) ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم في نفاقهم ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ﴾ أوقد ﴿نَارًا﴾ في ظلمة ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ﴾ أنارت ﴿مَا حَوْلَهُۥ﴾ فأبصر واستدفأ وأمن ما يخافه ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أطفأه وجُمِعَ الضمير مراعاة لمعنى «الذي» ﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ ما حولهم متحيِّرين عن الطريق خائفين فكذلك هؤلاء آمنُوا بإظهار كلمة الإيمان فإذا ماتوا جاءهم الخوف والعذاب. (١٨) هم ﴿صُمٌّۢ﴾ عن الحق فلا يسمعونه سماع قبول ﴿بُكْمٌ﴾ خرس عن الخير فلا يقولونه ﴿عُمْىٌ﴾ عن طريق الهدى فلا يرونه ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الضلالة. (١٩) ﴿أو﴾ مثلهم ﴿كَصَيِّبٍ﴾ أي كأصحاب مطر وأصله «صيْوب» من «صاب يَصُوب» أي ينزل ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ السحاب ﴿فِيهِ﴾ أي السحاب ﴿ظُلُمَٰتٌ﴾ متكاثفة ﴿وَرَعْدٌ﴾ وهو الملك الموكل به وقيل صوته ﴿وَبَرْقٌ﴾ لمعان سَوْطِه الذي يزجره به ﴿يَجْعَلُونَ﴾ أي أصحاب الصيِّب ﴿أَصَٰبِعَهُمْ﴾ أي أناملهم ﴿فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ ﴿مِّنَ﴾ أجل ﴿ٱلصَّوَٰعِقِ﴾ شدة صوت الرعد لئلا يسمعوها ﴿حَذَرَ﴾ خوف ﴿ٱلْمَوْتِ﴾ من سماعها. كذلك هؤلاء: إذا نزل القرآن وفيه ذكر الكفر المشبه بالظلمات، والوعيدُ عليه المشبه بالرعد والحجج البينة المشبهة بالبرق يسدون آذانهم لئلا يسمعوه فيميلوا إلى الإيمان وترك دينهم وهو عندهم موت ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ علماً وقدرة فلا يفوتونه. (٢٠) ﴿يَكَادُ﴾ يقرب ﴿ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ يأخذها بسرعة ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ أي في ضوئه ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾ وقفوا، تمثيل لإزعاج ما في القرآن من الحجج قلوبهم وتصديقهم لما سمعوا فيه ممّا يحبون ووقوفهم عما يكرهون. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بمعنى أسماعهم ﴿وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾ الظاهرة كما ذهب بالباطنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ﴾ شاءه ﴿قَدِيرٌ﴾ ومنه إذهاب ما ذُكِرَ. (٢١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿ٱعْبُدُوا۟﴾ وحدوا ﴿رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ أنشأكم ولم تكونوا شيئاً ﴿و﴾ خلق ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ بعبادته عقابَه، «ولعلَّ» في الأصل: للترجي وفي كلامه تعالى: للتحقيق. (٢٢) ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ﴾ خلق ﴿لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ حال بساطاً يُفْتَرَشُ لا غاية في الصلابة أو الليونة فلا يمكن الاستقرار عليها ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ سقفاً ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ﴾ أنواع ﴿ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ تأكلونه وتعلفون به دوابكم ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء في العبادة

(١) قوله تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾: السفيه: الجاهل بلغة كنانة.

ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب كما تقول عنى بهذه الآية كذا. وقد تنازع العلماء في قول الصحابي نزلت هذه الآية في كذا هل يجري مجرى السند كما لو ذكر السبب الذي أنزلت لأجله أو يجري مجرى التفسير منه الذي ليس بمسند فالبخاري يدخله في المسند وغيره لا يدخله فيه وأكثر المسانيد على هذا الاصطلاح كمسند أحمد وغيره بخلاف ما إذا ذكر سبباً نزلت عقبه فإنهم كلهم يدخلون مثل هذا في المسند انتهى. وقال الزركشي في البرهان: قد عرف من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها، فهو من جنس الاستدلال على الحكم بالآية، لا من جنس النقل لما وقع.

(قلت): والذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه ليخرج ما ذكره الواحدي في سورة الفيل من أن سببها قصة قدوم الحبشة فإن ذلك ليس من أسباب النزول في شيء بل هو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية كذكر قصة قوم نوح وعاد وثمود وبناء البيت ونحو ذلك، وكذلك ذكره في قوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ سبب اتخاذه خليلاً فليس ذلك من أسباب نزول القرآن كما لا يخفى.

(تنبيهات): الأول ما جعلناه من قبيل المسند من الصحابي إذا وقع من تابعي فهو مرفوع أيضاً لكنه مرسل فقد يقبل إذا

﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه الخالق ولا يخلقون، ولا يكون إلهاً إلا من يَخْلُقُ. ﴿٢٣﴾ ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد من القرآن أنه من عند الله ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ أي المنزل و(من) للبيان أي هي مثله في البلاغة وحسن النظم والإخبار عن الغيب «والسورة قطعة لها أول وآخر أقلها ثلاث آيات» ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم﴾ آلهتكم التي تعبدونها ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره لتعينكم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن محمداً قاله من عند نفسه فافعلوا ذلك فإنكم عرب فصحاء مثله. ولما عجزوا عن ذلك قال تعالى: ﴿٢٤﴾ ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾ ما ذُكِرَ لعجزكم ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾ ذلك أبداً لظهور إعجازه - اعتراض - ﴿فَاتَّقُوا﴾ بالإيمان بالله وأنه ليس من كلام البشر ﴿النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ﴾ الكفار ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ كأصنامهم منها يعني أنها مفرطة الحرارة تتَّقد بما ذكر لا كنار الدنيا تتَّقد بالحطب ونحوه. ﴿أُعِدَّتْ﴾ هُيِّئت ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ يعذبون بها، جملة مستأنفة أو حال لازمة. ﴿٢٥﴾ ﴿وَبَشِّرِ﴾ أخبر ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ صدَّقوا بالله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿أَنَّ﴾ أي بأن ﴿لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ حدائق ذات شجر ومساكن ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا﴾ أي تحت أشجارها وقصورها ﴿الْأَنْهَارُ﴾ أي المياه فيها «والنَهَرُ» الموضع الذي يجري فيه الماء لأن الماء ينهره أي يحفره وإسناد الجري إليه مجاز ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا﴾ أُطْعِمُوا من تلك الجنات ﴿مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا﴾ ﴿قَالُوا هَٰذَا الَّذِي﴾ أي مثل ما ﴿رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي قبله في الجنة لتشابه ثمارها بقرينة ﴿وَأُتُوا بِهِ﴾ أي جيئوا بالرزق ﴿مُتَشَابِهًا﴾ يشبه بعضه بعضاً لوناً ويختلف طعماً ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ﴾ من الحور وغيرها ﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وكل قذر ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ماكثون أبداً لا يفنون ولا يخرجون. ونزل رداً لقول اليهود لما ضرب الله المثل بالذباب في قوله: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ [الحج: ٧٣] والعنكبوت في قوله: ﴿كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١] ما أراد الله بذكر هذه الأشياء الخسيسة؟ ﴿٢٦﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ﴾ يجعل ﴿مَثَلًا﴾ مفعول أول ﴿ما﴾ نكرة موصوفة بما بعدها مفعول ثان أي: أيّ مثل كان أو زائدة لتأكيد الخسة فما بعدها المفعول الثاني ﴿بَعُوضَةً﴾ مفرد «البعوض» وهو صغار البق ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ أي أكبر منها أي لا يترك بيانه لما فيه من الحِكَم ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي المثل ﴿الْحَقُّ﴾ الثابت الواقع موقعه ﴿مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ تمييز أي: بهذا المثل و«ما» استفهام إنكار مبتدأ، «وذا» بمعنى: الذي بصلته خبره أي: أي فائدة فيه؟ قال الله تعالى في جوابهم ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ أي: بهذا المثل ﴿كَثِيرًا﴾ عن الحق لكفرهم به ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ من المؤمنين لتصديقهم به ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته. ﴿٢٧﴾ ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ ما عهده إليهم في الكتب من الإيمان بمحمد ﷺ ﴿مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ توكيده عليهم ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾ من الإيمان بالنبي والرحم وغير ذلك و«أن» بدل من ضمير «به» ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي والتعويق عن الإيمان ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الموصوفون بما ذُكِرَ ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم. ﴿٢٨﴾ ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ يا أهل مكة ﴿بِاللَّهِ وَ﴾ قد ﴿كُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾ نطفاً في الأصلاب ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ في الأرحام والدنيا بنفخ الروح فيكم؟ والاستفهام: للتعجب من كفرهم مع قيام البرهان أو: للتوبيخ ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عند انتهاء آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تُردَّون بعد البعث

لباب النقول في أسباب النزول
المقدمة

صحّ السند إليه وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير أو اعتضد بمرسل آخر ونحو ذلك.

(الثاني): كثيراً ما يذكر المفسرون لنزول الآية أسباباً متعددة وطريق الاعتماد في ذلك أن تنظر إلى العبارة الواقعة فإن عبر أحدهم بقوله: نزلت في كذا والآخر نزلت في كذا وذكر أمراً آخر فقد تقدم أن هذا يراد به التفسير لا ذكر سبب النزول فلا منافاة بين قولهما إذا كان اللفظ يتناولهما كما بينته في كتاب الإتقان وحينئذٍ فحق مثل هذا أن لا يورد في تصانيف أسباب النزول وإنما يذكر في تصانيف أحكام القرآن وإن عبر واحد بقوله: نزلت في كذا وصرح الآخر بذكر سبب خلافه فهو المعتمد كما قال ابن عمر في قوله: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] أنها نزلت مخصصة في وطء النساء في أدبارهم وصرح جابر بذكر سبب خلافه فاعتمد حديث جابر وإن ذكر واحد سبباً وآخر سبباً غيره فقد تكون نزلت عقيب تلك الأسباب كما سيأتي في آية اللعان وقد تكون نزلت مرتين كما سيأتي في آية الروح وفي خواتيم النحل وفي قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية. ومما يعتمد في الترجيح النظر إلى الإسناد وكون راوي أحد السببين حاضر القصة أو من علماء التفسير كابن عباس وابن مسعود وربما كان في إحدى القضيتين قتلاً فوهم الراوي فقال: نزلت كما سيأتي

فيجازيكم بأعمالكم. وقال دليلاً على البعث لما أنكروه: ﴿٢٩﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: الأرض وما فيها ﴿جَمِيعًا﴾ لتنتفعوا به وتعتبروا ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ بعد خلق الأرض أي: قصد ﴿إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ الضمير يرجع إلى «السماء» لأنها في معنى الجمع الآيلة إليه أي: صيرها كما في آية أخرى ﴿فَقَضَىٰهُنَّ﴾ [فصلت: ١٢] ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ مجملاً ومفصلاً أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداء ـ وهو أعظم منكم ـ قادر على إعادتكم؟!. ﴿٣٠﴾ ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يخلفني في تنفيذ أحكامي فيها وهو آدم ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ بالمعاصي ﴿وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ يريقها بالقتل كما فعل بنو الجان وكانوا فيها فلما أفسدوا أرسل الله عليهم الملائكة فطردوهم إلى الجزائر والجبال ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ متلبسين ﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي: نقول سبحان الله وبحمده. ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ننزهك عما لا يليق بك فاللام زائدة والجملة: حال أي: فنحن أحق بالاستخلاف. ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من المصلحة في استخلاف آدم وأن ذريته فيهم المطيع والعاصي فيظهر العدل بينهم فقالوا: لن يخلق ربنا خلقاً أكرم عليه منا ولا أعلم لسبقنا له ورؤيتنا ما لم يره فخلق الله تعالى آدم من أديم الأرض أي: وجهها بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها وعجنت بالمياه المختلفة وسوّاه ونفخ فيه الروح فصار حيواناً حساساً بعد أن كان جماداً. ﴿٣١﴾ ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾ أي: أسماء المسميات ﴿كُلَّهَا﴾ حتى القصعة والقُصَيْعَة والفسوة والفُسيَّة والمِغْرَفة بأن ألقى في قلبه علمها ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي المسميات وفيه تغليب العقلاء ﴿عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ﴾ لهم تبكيتاً ﴿أَنۢبِـُٔونِى﴾ أخبروني ﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المسميات ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أني لا أخلق أعلم منكم أو: أنكم أحق بالخلافة وجواب الشرط دل عليه ما قبله. ﴿٣٢﴾ ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ إياه ﴿إِنَّكَ أَنتَ﴾ تأكيد للكاف ﴿ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته. ﴿٣٣﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم﴾ أي: الملائكة ﴿بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ المسميات فسمى كل شيء باسمه وذكر حكمته التي خُلِقَ لها ﴿فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ﴾ تعالى لهم موبخاً ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ما غاب فيهما ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ تظهرون من قولكم «أتجعل فيها» الخ ﴿وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ تسرون من قولكم: «لن يخلق الله أكرم عليه منا ولا أعلم»؟ ﴿٣٤﴾ ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجن كان بين الملائكة ﴿أَبَىٰ﴾ امتنع من السجود ﴿وَٱسْتَكْبَرَ﴾ تكبر عنه وقال أنا خير منه ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ في علم الله. ﴿٣٥﴾ ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ﴾ تأكيد للضمير المستتر ليُعْطَفَ عليه: ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء بالمد وكان خلقها من ضِلَعِه الأيسر ﴿ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا﴾ أكلا ﴿رَغَدًا﴾[1] واسعاً لا حَجْرَ فيه ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ أي بالأكل منها وهي الحنطة أو الكرم أو غيرهما ﴿فَتَكُونَا﴾ فتصيرا ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ العاصين. ﴿٣٦﴾ ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إبليس أذهبهما وفي قراءة «فأزالهما» نحّاهما ﴿عَنْهَا﴾ أي الجنة بأن قال لهما: ﴿هَلْ أدلكما عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ [طه: ١٢٠]

(١) قوله: ﴿رَغَدًا﴾: يعني الخصب بلغة طيّىء.

في سورة الزمر.

(الثالث): أشهر كتاب في هذا الفن الآن كتاب الواحدي، وكتابي هذا يتميز عليه بأمور:

(أحدها): الاختصار.

(ثانيها): الجمع الكثير فقد حوى زيادات كثيرة على ما ذكر الواحدي وقد ميزتها بصورة ك رمزاً عليها.

(ثالثاً): عزوه كل حديث إلى من خرجه من أصحاب الكتب المعتبرة كالكتب الستة والمستدرك وصحيح ابن حبان وسنن البيهقي والدارقطني ومسانيد أحمد والبزار وأبي يعلى ومعاجم الطبراني وتفاسير ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي الشيخ وابن حيان والفريابي وعبد الرزاق وابن المنذر وغيرهم. وأما الواحدي فتارة يورد الحديث بإسناده وفيه مع التطويل عدم العلم بمخرج الحديث فلا شك أن عزوه إلى أحد الكتب المذكورة أولى من عزوه إلى تخريج الواحدي لشهرتها واعتمادها وركون الأنفس إليها. وتارة يورده مقطوعاً فلا يدري هل له إسناد أو لا.

(ورابعها): تمييز الصحيح من غيره والمقبول من المردود.

(خامسها): الجمع بين الروايات المتعارضة.

(سادسها): تنحية ما ليس من أسباب النزول وهذا آخر المقدمة ومن هنا نشرع في المقصود بعون الملك المعبود.

أسباب النزول: بسم الله الرحمن الرحيم وبعد: فهذا كتاب [لباب النقول في أسباب النزول].

﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] فأكلا منها ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾ إلى الأرض أي أنتما بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضكم بعضاً ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ موضع قرار ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ ما تتمتعون به من نباتها ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ وقت انقضاء آجالكم. ﴿٣٧﴾ ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ ألهمه إياها وفي قراءة بنصب «آدم» ورفع «كلمات» أي جاءه وهي ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣] الآية فدعا بها ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ قَبِلَ توبته ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ على عباده ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بهم. ﴿٣٨﴾ ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿جَمِيعًا﴾ كرره ليعطف عليه ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ كتاب ورسول ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ فآمن بي وعمل بطاعتي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة بأن يدخلوا الجنة. ﴿٣٩﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ كتبنا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ ماكثون أبداً لا يفنون ولا يخرجون. ﴿٤٠﴾ ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ أولاد يعقوب ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي على آبائكم من الإنجاء من فرعون وفلق البحر وتظليل الغمام وغير ذلك بأن تشكروها بطاعتي ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾ الذي عهدته إليكم من الإيمان بمحمد ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الذي عهدته إليكم من الثواب عليه بدخول الجنة ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ خافونِ في ترك الوفاء به دون غيري. ﴿٤١﴾ ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة بموافقته له في التوحيد والنبوة ﴿وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ من أهل الكتاب لأن خَلْفَكم تَبَعٌ لكم فإثمهم عليكم ﴿وَلَا تَشْتَرُوا۟﴾ تستبدلوا ﴿بِـَٔايَٰتِى﴾ التي في كتابكم من نعت محمد ﷺ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ عرضاً يسيراً من الدنيا أي لا تكتموها خوف فوات ما تأخذونه من سَفَلَتِكم ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ خافون في ذلك دون غيري. ﴿٤٢﴾ ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟﴾ تخلطوا ﴿ٱلْحَقَّ﴾ الذي أنزلت عليكم ﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ الذي تفترونه ﴿و﴾ لا ﴿وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه حق. ﴿٤٣﴾ ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ صلوا مع المصلين محمد وأصحابه، ونزل في علمائهم وكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين: اثبتوا على دين محمد فإنه حق. ﴿٤٤﴾ ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ﴾ بالإيمان بمحمد ﴿وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ تتركونها فلا تأمرونها به ﴿وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل؟ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سُوءَ فعلكم فترجعون؟ فجملة النسيان محل الاستفهام الإنكاري. ﴿٤٥﴾ ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟﴾ اطلبوا المعونة على أموركم ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ الحبس للنفس على ما تكره ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ أفردها بالذكر تعظيماً لشأنها وفي الحديث «كان ﷺ إذا حَزَبَهُ أمر بادر إلى الصلاة» وقيل: الخطاب لليهود لمّا عاقهم عن الإيمان الشَّرَهُ وحب الرياسة أمروا بالصبر وهو الصوم لأنه يكسر الشهوة، والصلاة لأنها تورث الخشوع وتنفي الكبر ﴿وَإِنَّهَا﴾ أي الصلاة ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ الساكنين إلى الطاعة. ﴿٤٦﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ في الآخرة فيجازيهم. ﴿٤٧﴾ ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بالشكر عليها بطاعتي ﴿وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ﴾ أي آباءكم ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ عالمي زمانهم. ﴿٤٨﴾ ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِى﴾ فيه ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ هو يوم القيامة ﴿وَلَا تُقْبَلُ﴾ بالتاء والياء ﴿مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ أي ليس لها شفاعة فتقبل (فما لنا من شافعين) ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون من عذاب الله. ﴿٤٩﴾ ﴿و﴾ اذكروا ﴿إِذْ نَجَّيْنَٰكُم﴾ أي

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

أخرج الفريابي وابن جرير عن مجاهد قال: أربع آيات من أول البقرة نزلت في المؤمنين، وآيتان في الكافرين، وثلاث عشرة آية في المنافقين.

أسباب نزول الآية ٦:

أخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآيتين أنهما نزلتا في يهود المدينة.

وأخرج عن الربيع بن أنس قال: آيتان في قتال الأحزاب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

أسباب نزول الآية ١٤ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾:

أخرج الواحدي والثعلبي من طريق محمد بن مروان السُّدّي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال:

نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبيّ وأصحابه، وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نَفَرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن أبيّ: انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء السفهاء، فذهب فأخذ بيد أبي بكر، فقال: مرحباً بالصديق سيد بني تَيْم، وشيخ الإسلام، وثاني رسول الله في الغار، الباذل نفسه وماله لرسول الله: ثم أخذ بيد عمر فقال: مرحباً بسيد بني عدي بن كعب، الفاروق القوي في دين الله، الباذل نفسه وماله لرسول الله؛ ثم أخذ بيد علي فقال: مرحباً بابن عم رسول الله وخَتَنِه، سيد بني هاشم ما خلا

آباءكم والخطاب به وبما بعده للموجودين في زمن نبينا بما أنعم الله على آبائهم تذكيراً لهم بنعمة الله تعالى ليؤمنوا ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يذيقونكم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أشده والجملة حال من ضمير «نجيناكم» ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بيان لما قبله ﴿أَبْنَآءَكُمْ﴾ المولودين ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَآءَكُمْ﴾ لقول بعض الكهنة له: إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبباً لذهاب ملكك ﴿وَفِى ذَٰلِكُم﴾ العذاب أو الإنجاء ﴿بَلَآءٌ﴾ ابتلاء أو إنعام ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾. (٥٠) ﴿و﴾ اذكروا ﴿إِذْ فَرَقْنَا﴾ فلقنا ﴿بِكُمُ﴾ بسببكم ﴿ٱلْبَحْرَ﴾ حتى دخلتموه هاربين من عدوكم ﴿فَأَنجَيْنَٰكُمْ﴾ من الغرق ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ إلى انطباق البحر عليهم. (٥١) ﴿وإذا وَعَدْنَا﴾ بألف ودونها ﴿مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ نعطيه عند انقضائها التوراة لتعملوا بها ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ الذي صاغه لكم السامري إلهاً ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي بعد ذهابه إلى ميعادنا ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ باتخاذه لوضعكم العبادة في غير محلها. (٥٢) ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم﴾ محونا ذنوبكم ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتنا عليكم. (٥٣) ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾ عطف تفسير، أي الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ به من الضلال. (٥٤) ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ الذين عبدوا العجل ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ خالقكم من عبادته ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي ليقتل البريءُ منكم المجرمَ ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ القتل ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ﴾ فوفقكم لفعل ذلك وأرسل عليكم سحابة سوداء لئلا يبصر بعضكم بعضاً فيرحمه حتى قُتِلَ منكم نحو سبعين ألفاً ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قَبِلَ توبتكم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾. (٥٥) ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ وقد خرجتم مع موسى لتعتذروا إلى الله من عبادة العجل وسمعتم كلامه ﴿يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ عياناً ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾[1] الصيحة فمُتُّم ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ ما حلّ بكم. (٥٦) ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم﴾ أحييناكم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتنا بذلك. (٥٧) ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ سترناكم بالسحاب الرقيق من حر الشمس في التيه ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ فيه ﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ هما التُّرَنْجَبين والطير السُّمَانى بتخفيف الميم والقصر، وقلنا: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ ولا تدّخروا، فكفروا النعمة وادّخروا فقُطِعَ عنهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بذلك ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لأن وباله عليهم. (٥٨) ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ لهم بعد خروجهم من التيه ﴿ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس أو أريحا ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسعاً لا حَجْرَ فيه ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ﴾ أي بابها ﴿سُجَّدًا﴾ منحنين ﴿وَقُولُواْ﴾ مسألتنا ﴿حِطَّةٌ﴾ أي أن تَحُطَّ عنا خطايانا ﴿نَّغْفِرْ﴾ وفي قراءة بالياء والتاء مبنياً للمفعول فيهما ﴿لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ثواباً. (٥٩) ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ منهم ﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا حبة في شَعَرَةٍ ودخلوا يزحفون على أستاههم ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر مبالغة في تقبيح شأنهم ﴿رِجْزًا﴾[2] عذاباً طاعوناً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم أي خروجهم عن الطاعة فهلك منهم في ساعة سبعون ألفاً أو أقل. (٦٠) ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ أي طلب السُّقيا ﴿لِقَوْمِهِۦ﴾ وقد عطشوا في التيه ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ وهو الذي فرَّ بثوبه خفيف مربَّع كرأس الرجل رخام أو كِذَّان فضربه ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ انشقت وسالت

(١) ﴿ٱلصَّٰعِقَةُ﴾: الموتة بلغة عمان. (٢) ﴿رِجْزًا﴾: يعني العذاب بلغة طيء.

رسول الله، ثم افترقوا. فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت، فأثنوا عليه خيراً. فرجع المسلمون إلى النبي ﷺ وأخبروه بذلك، فنزلت هذه الآية.

هذا الإسناد واهٍ جداً، فإن السدي الصغير كذاب، وكذا الكلبي، وأبو صالح ضعيف.

أسباب نزول الآية ١٩ ـ قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ الآية:

أخرج ابن جرير من طريق السدي الكبير عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس؛ وعن مرة، عن ابن مسعود وناس من الصحابة، قالوا:

كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله إلى المشركين، فأصابهما هذا المطر الذي ذكر الله: فيه رعد شديد وصواعق وبرق، فجعلا كلما أصابهما الصواعق جعلا أصابعهما في آذانهما من الفَرَقِ أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلهما، وإذا لمع البرق مشيا إلى ضوئه، وإذا لم يلمع لم يبصرا، فأتيا مكانهما يمشيان، فجعلا يقولان: ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمداً فنضع أيدينا في يده، فأتياه فأسلما ووضعا أيديهما في يده وحسن إسلامهما. فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلاً للمنافقين الذين بالمدينة.

وكان المنافقون إذا حضروا مجلس النبي ﷺ جعلوا أصابعهم في آذانهم فَرَقاً من كلام النبي ﷺ أن ينزل فيهم شيء أو يذكروا بشيء فيقتلوا كما كان ذانك المنافقان

﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبط منهم ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾ موضع شربهم فلا يَشْرَكُهُم فيه غيرهم. وقلنا لهم ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة لعاملها من «عَثِيَ» بكسر المثلثة أفسد. (٦١) ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ﴾ أي نوع منه ﴿وَٰحِدٍ﴾ وهو المن والسلوى ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾ شيئاً ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ﴾ للبيان ﴿بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾ حنطتها ﴿وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ قَالَ﴾ لهم موسى ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ﴾ أخسُّ ﴿بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ أشرف؟ أي أتأخذونه بدله؟، والهمزة للإنكار فأبوا أن يرجعوا فدعا الله تعالى فقال تعالى ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ انزلوا ﴿مِصْرًا﴾ من الأمصار ﴿فَإِنَّ لَكُم﴾ فيه ﴿مَّا سَأَلْتُمْ﴾ من النبات ﴿وَضُرِبَتْ﴾ جعلت ﴿عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ﴾ الذل والهوان ﴿وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ أي أثر الفقر من السكون والخزي فهي لازمة لهم وإن كانوا أغنياء لزوم الدرهم المضروب لسكَّته ﴿وَبَآءُو﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ذَٰلِكَ﴾[1] أي الضرب والغضب ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ كزكريا ويحيى ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي ظلما ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون الحد في المعاصي وكرره للتأكيد. (٦٢) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالأنبياء من قبل ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ هم اليهود ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ طائفة من اليهود أو النصارى ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ في زمن نبينا ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ بشريعته ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي ثواب أعمالهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ روعي في ضمير «آمن» و«عمل» لفظ «من» وفيما بعده معناها. (٦٣) ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ عهدكم بالعمل بما في التوراة ﴿و﴾ قد ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾[2] الجبل اقتلعناه من أصله عليكم لمّا أبيتم قبولها وقلنا ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ النار أو المعاصي. (٦٤) ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم﴾ أعرضتم ﴿مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الميثاق عن الطاعة ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ﴾ لكم بالتوبة أو تأخير العذاب ﴿لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ الهالكين. (٦٥) ﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم ﴿عَلِمْتُمُ﴾ عرفتم ﴿ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟﴾ تجاوزوا الحد ﴿مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ لصيد السمك وقد نهيناهم عنه وهم أهل «إيلة» ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[3] مبعدين فكانوها وهلكوا بعد ثلاثة أيام. (٦٦) ﴿فَجَعَلْنَٰهَا﴾ أي تلك العقوبة ﴿نَكَٰلًا﴾ عبرة مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أي الأمم التي في زمانها وبعدها ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الله وخُصُّوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها بخلاف غيرهم. (٦٧) ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ وقد قُتل لهم قتيل لا يُدرىٰ قاتله وسألوه أن يدعو الله أن يُبيِّنه لهم فدعاه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ مهزوءاً بنا حيث تجيبنا بمثل ذلك؟ ﴿قَالَ أَعُوذُ﴾ أمتنع ﴿بِٱللَّهِ﴾ من ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ المستهزئين. (٦٨) فلما علموا أنه عَزْمٌ ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ أي ما سنها ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي الله ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾ مُسِنَّة ﴿وَلَا بِكْرٌ﴾ صغيرة ﴿عَوَانٌۢ﴾ نَصَفٌ ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من السنين ﴿فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ﴾ به من ذبحها. (٦٩) ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن

(١) ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ﴾: يعني استوجبوا بلغة جرهم.
(٢) ﴿ٱلطُّورَ﴾: يعني الجبل وافقت لغة العرب في هذا الحرف لغة السريانية.
(٣) ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾: يعني صاغرين بلغة كنانة.

أسباب النزول

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

الخارجان يجعلان أصابعهما في آذانهما ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾ فإذا كثرت أموالهم وولدهم، وأصابوا غنيمة أو فتحاً، مشوا فيه، وقالوا: إن دين محمد حينئذٍ صدق واستقاموا عليه كما كان ذانك المنافقان يمشيان إذا أضاء لهما البرق ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟﴾ وكانوا إذا هلكت أموالهم وولدهم، وأصابهم البلاء، قالوا: هذا من أجل دين محمد، وارتدوا كفاراً كما قال ذانك المنافقان حين أظلم البرق عليهما.

أسباب نزول الآية ٢٦ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا﴾ الآية:

أخرج ابن جرير عن السدي بأسانيده: لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين: قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ وقوله: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾، قال المنافقون: الله أعلى وأجلّ من أن يضرب هذه الأمثال، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾.

وأخرج الواحدي من طريق عبد الغني بن سعيد الثقفي عن موسى بن عبد الرحمٰن، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: إن الله ذكر آلهة المشركين، فقال: ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا﴾ وذكر كيد الآلهة فجعله كبيت العنكبوت، فقالوا: أرأيت حيث ذكر الله الذباب والعنكبوت فيما أنزل من القرآن على محمد، أي شيء كان يصنع بهذا؟ فأنزل الله هذه الآية.

لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا﴾ شديدة الصفرة ﴿تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ إليها بحسنها أي تعجبهم. (٧٠) ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ أسائمة أم عاملة؟ ﴿إِنَّ الْبَقَرَ﴾ أي جنسه المنعوت بما ذكر ﴿تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ لكثرته فلم نهتد إلى المقصودة ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إليها وفي الحديث «لو لم يستثنوا لما بُيّنت لهم آخر الأبد». (٧١) ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ غير مذللة بالعمل ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ تقلبها للزراعة، والجملة صفة «ذلول» داخلة في النفي ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ الأرض المهيأة للزراعة ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾ من العيوب وآثار العمل ﴿لَّا شِيَةَ﴾[1] لون ﴿فِيهَا﴾ غير لونها ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ نطقت بالبيان التام فطلبوها فوجدوها عند الفتى البار بأمه فاشتروها بملء مَسْكها ذهباً ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لغلاء ثمنها وفي الحديث «لو ذبحوا أي بقرة كانت لأجزأتهم ولكن شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم». (٧٢) ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ﴾ فيه إدغام «التاء» في الأصل في «الدال» أي تخاصمتم وتدافعتم ﴿فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من أمرها وهذا اعتراض وهو أول القصة. (٧٣) ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾ أي القتيل ﴿بِبَعْضِهَا﴾ فضُرب بلسانها أو عَجْب ذنبها فحيي وقال: قتلني فلان وفلان لابنَيْ عمه ومات فحُرما الميراث وقُتِلا، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الإحياء ﴿يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تتدبرون فتعلمون أن القادر على إحياء نفس واحدة قادر على إحياء نفوس كثيرة فتؤمنون. (٧٤) ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾ أيها اليهود صلبت عن قبول الحق ﴿مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ المذكور من إحياء القتيل وما قبله من الآيات ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ في القسوة ﴿أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ منها ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ﴾ فيه إدغام «التاء» في الأصل في «الشين» ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ﴾ ينزل من علو إلى سُفْلٍ ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ وقلوبكم لا تتأثر ولا تلين ولا تخشع ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وإنما يؤخركم لوقتكم وفي قراءة بالتحتانية [يعملون] وفيه الإلتفات عن الخطاب. (٧٥) ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ أي اليهود ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ﴾ طائفة ﴿مِّنْهُمْ﴾ أحبارهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ في التوراة ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ يغيرونه ﴿مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ فهموه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مفترون؟ والهمزة للإنكار أي لا تطمعوا فلهم سابقة بالكفر. (٧٦) ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ أي منافقو اليهود ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ بأن محمداً ﷺ نبي وهو المبشر به في كتابنا ﴿وَإِذَا خَلَا﴾ رجع ﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا﴾ أي رؤساؤهم الذين لم ينافقوا لمن نافق ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم﴾ أي المؤمنين ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي عرّفكم في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿لِيُحَاجُّوكُم﴾ ليخاصموكم واللام للصيرورة ﴿بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ في الآخرة ويقيموا عليكم الحجة في ترك اتباعه مع علمكم بصدقه؟ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنهم يحاجونكم إذا حدثتموهم فتنتهون. (٧٧) قال تعالى ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ﴾ الاستفهام للتقرير والواو الداخل عليها للعطف ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ما يخفون وما يظهرون من ذلك وغيره فيرعَوُوا عن ذلك؟. (٧٨) ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي اليهود ﴿أُمِّيُّونَ﴾ عوام ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَمَانِيَّ﴾ أكاذيب تَلَقّوْها من رؤسائهم فاعتمدوها ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ﴾ في جحد نبوة

(١) ﴿لَّا شِيَةَ﴾: لا وضح بلغة أزد شنوءة.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

عبد الغني واهٍ جداً.

وقال عبد الرزاق في «تفسيره»: أخبرنا مَعْمَر عن قتادة: لما ذكر الله العنكبوت والذباب، قال المشركون: «ما بال العنكبوت والذباب يُذكران» فأنزل الله هذه الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: لما نزلت ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ قال المشركون: ما هذا من الأمثال فيضرب، أو: ما يشبه هذا الأمثال، فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا﴾ الآية.

قلت: القول الأول أصح إسناداً وأنسب بما تقدم أول السورة، وذكر المشركين لا يلائم كون الآية مدنية. وما أوردناه عن قتادة والحسن حكاه عنهما الواحدي بلا إسناد بلفظ قالت اليهود وهو أنسب.

أسباب نزول الآية ٤٤ ـ قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾.

أخرج الواحدي والثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال:

نزلت هذه الآية في يهود أهل المدينة كان الرجل منهم يقول لصهره ولذوي قرابته ولمن بينه وبينهم رَضَاعٌ من المسلمين: اثبت على الدين الذي أنت عليه، وما يأمرك به هذا الرجل فإن أمره حق، وكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه.

أسباب نزول الآية ٦٢ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾.

أخرج ابن أبي حاتم والعدني في «مسنده» من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قال:

النبي محمد ﷺ وغيره مما يختلقونه ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ ظناً ولا علم لهم. (٧٩) ﴿فَوَيْلٌ﴾ شدة عذاب ﴿لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي مُختَلَقاً من عندهم ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا وهم اليهود غيَّروا صفة النبي في التوراة وآية الرجم وغيرهما وكتبوها على خلاف ما أُنزل ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من المختلق ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من الرشا جمع رشوة. (٨٠) ﴿وَقَالُوا۟﴾ لما وعدهم النبيُّ ﷺ النارَ ﴿لَن تَمَسَّنَا﴾ تصيبنا ﴿ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ قليلة أربعين يوماً مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿أَتَّخَذْتُمْ﴾ حذفت منه همزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام ﴿عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ ميثاقاً منه بذلك ﴿فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ﴾ به؟ لا ﴿أم﴾ بل ﴿تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. (٨١) ﴿بَلَىٰ﴾ تَمَسُّكم وَتُخَلَّدون فيها ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ شركاً ﴿وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ بالإفراد والجمع [خطيئاته] أي استولت عليه وأحدقت به من كل جانب بأن مات مشركاً ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ روعي فيه معنى «مَن». (٨٢) ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. (٨٣) ﴿و﴾ اذكر. ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ في التوراة وقلنا ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ خبر بمعنى النهي، وقرىء: «لا تعبدوا» ﴿و﴾ أحسنوا ﴿بِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ براً ﴿وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة عطف على «الوالدين» ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ﴾ قولاً ﴿حُسْنًا﴾ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في شأن محمد والرفق بهم، وفي قراءة بضم الحاء وسكون السين مصدر وُصِفَ به مبالغة ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فقبلتم ذلك ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الوفاء به، فيه التفات عن الغيبة والمراد آباؤهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ عنه كآبائكم. (٨٤) ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ وقلنا ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ﴾ تريقونها بقتل بعضكم بعضاً ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ لا يخرج بعضكم بعضاً من داره ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ قبلتم ذلك الميثاق ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على أنفسكم. (٨٥) ﴿ثُمَّ أَنتُمْ﴾ يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ يقتل بعضكم بعضاً ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ﴾ فيه إدغام «التاء» في الأصل في «الظاء» وفي قراءة بالتخفيف على حذفها تتعاونون ﴿عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ﴾ بالمعصية ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ الظلم ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ﴾ وفي قراءة «أسرى» ﴿تُفَٰدُوهُمْ﴾ وفي قراءة (تفادوهم) تنقذوهم من الأسر بالمال أو غيره وهو مما عُهِدَ إليهم ﴿وَهُوَ﴾ أي الشأن ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ متصل بقوله و«تخرجون» والجملة بينهما اعتراض: أي كما حُرِمَ ترك الفداء، وكانت قريظةُ حالفوا الأوسَ والنضيرُ الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه ويخرب ديارهم ويخرجهم فإذا أُسِرُوا فدوهم، كانوا إذا سئلوا لم تقاتلونهم وتفدونهم؟ قالوا: أمرنا بالفداء فيقال فلم تقاتلونهم؟ فيقولون حياء أن تُستَذَلَّ حلفاؤنا. قال الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهو الفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ وهو ترك القتل والإخراج والمظاهرة؟ ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ﴾ هوان وذل ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وقد خزوا بقتل قريظة ونفي النضير إلى الشام وضرب الجزية ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ﴾ وما ﴿ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء. (٨٦) ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ بأن آثروها عليها ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون منه. (٨٧) ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة ﴿وَقَفَّيْنَا مِنۢ

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

قال سلمان: سألت النبي ﷺ عن أهل دين كنت معهم، فذكرت من صلاتهم وعبادتهم، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ الآية.

وأخرج الواحدي من طريق عبد الله بن كثير عن مجاهد قال:

لما قص سلمان على رسول الله ﷺ قصة أصحابه قال: هم في النار. قال سلمان: فأظلمت عليَّ الأرض، فنزلت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ إلى قوله ﴿يَحْزَنُونَ﴾ قال فكأنما كشف عني جبل.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي: قال: نزلت هذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي.

أسباب نزول الآية ٧٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟﴾ الآية.

أخرج ابن جرير عن مجاهد قال:

قام النبي عليه الصلاة والسلام يوم قُرَيْظَةَ تحت حصونهم، فقال: يا إخوان القردة، ويا إخوان الخنازير، ويا عبدة الطاغوت، فقالوا: من أخبر بهذا محمداً؟ ما خرج هذا إلا منكم، أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليكون لهم حجة عليكم، فنزلت الآية.

وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال:

كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا أن صاحبكم رسول الله، ولكنه إليكم خاصة؛ ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ قالوا: أيحدث العرب بهذا؟ فإنكم كنتم تستفتحون به عليهم فكان منهم، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا

بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ﴾ أي أتبعناهم رسولاً في إثر رسول ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ قويناه ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ من إضافة الموصوف إلى الصفة أي الروح المقدسة جبريل لطهارته يسير معه حيث سار فلم تستقيموا ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ﴾ تحب ﴿أَنفُسُكُمُ﴾ من الحق ﴿ٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ تكبرتم عن اتباعه؟ جواب «كلما» وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ ﴿فَفَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ كعيسى ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية أي: قتلتم كزكريا ويحيى؟ (٨٨) ﴿وَقَالُوا﴾ للنبي استهزاء ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ جمع أغلف أي مغشاة بأغطية فلا تعي ما تقول قال تعالى ﴿بل﴾ للاضراب ﴿لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أبعدهم من رحمته وخذلهم عن القبول ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ وليس عدم قبولهم لخلل في قلوبهم ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ «ما» زائدة لتأكيد القلة أي: إيمانهم قليل جداً. (٨٩) ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من التوراة: هو القرآن ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ﴾ قبل مجيئه ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقولون: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا﴾ من الحق وهو بعثة النبي ﴿كَفَرُوا بِهِۦ﴾ حسداً وخوفاً على الرياسة وجواب «لمّا» الأولى دل عليه جواب لمّا الثانية ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. (٩٠) ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا﴾[1] باعوا ﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ أي حظها من الثواب، و«ما» نكرة بمعنى «شيئاً» تمييز لفاعل «بئس» والمخصوص بالذم ﴿أَن يَكْفُرُوا﴾ أي كفرهم ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من القرآن ﴿بَغْيًا﴾[2] مفعول له «ليكفروا» أي: حسداً على ﴿أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾ الوحي ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ للرسالة ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ من الله بكفرهم بما أنزل والتنكير للتعظيم ﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ استحقوه من قبل بتضييع التوراة والكفر بعيسى ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة. (٩١) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ القرآن وغيره ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ أي التوراة قال تعالى: ﴿وَيَكْفُرُونَ﴾ الواو للحال ﴿بِمَا وَرَآءَهُۥ﴾ سواه أو بعده من القرآن ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ حال ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال ثانية مؤكدة ﴿لِّمَا مَعَهُمْ﴾ لهم ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ﴾ أي قتلتم ﴿أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتلهم؟ والخطاب للموجودين في زمن نبينا بما فعل آباؤهم لرضاهم به. (٩٢) ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالمعجزات كالعصا واليد وفلق البحر ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ من بعد ذهابه إلى الميقات ﴿وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ بإتخاذه. (٩٣) ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ﴾ على العمل بما في التوراة ﴿و﴾ قد ﴿رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ الجبل حين امتنعتم من قبولها ليسقط عليكم وقلنا ﴿خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَٱسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ أي خالط حبه قلوبهم كما يخالط الشراب ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ قُلْ﴾ لهم ﴿بِئْسَمَا﴾ شيئاً ﴿يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ﴾ بالتوراة من عبادة العجل ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ بها كما زعمتم المعنى: لستم بمؤمنين لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل، والمراد: آباؤهم أي فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالتوراة وقد كذبتم محمداً والإيمان بها لا يأمر بتكذيبه. (٩٤) ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِن كَانَتْ

(١) ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا﴾: يعني: باعوا بلغة هذيل. (٢) ﴿بَغْيًا﴾: حسداً بلغة تميم.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

لَقُوا﴾ الآية.

وأخرج عن السدي قال: نزلت في ناس من اليهود آمنوا، ثم نافقوا وكانوا يأتون المؤمنين من العرب بما تحدثوا به، فقال بعضهم لبعض: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليقولوا: نحن أحب إلى الله منكم وأكرم على الله منكم.

اسباب نزول الآية ٧٩ ـ قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾:

أخرج النَّسائي عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في أهل الكتاب.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: نزلت في أحبار اليهود، وجدوا صفة النبي ﷺ مكتوبة في التوراة: أكحل، أعين، ربعة، جعد الشعر، حسن الوجه، فمحوه حسداً وبغياً، وقالوا: نجده طويلاً، أزرق، سبط الشعر.

اسباب نزول الآية ٨٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ الآية:

أخرج الطبراني في «الكبير» وابن جرير وابن أبي حاتم من طريق ابن إسحٰق عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال:

قدم رسول الله المدينة ويهودُ تقول: إنما مدة الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما يعذب الناس بكل ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار من أيام الآخرة، فإنما هي سبعة أيام، ثم ينقطع العذاب، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ﴾ إلى

قوله ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وأخرج ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس:

أن اليهود قالوا: لن ندخل النار إلا تَحِلَّةَ القَسَم، الأيامَ التي عبدنا فيها العجل، أربعين ليلة؛ فإذا انقضت انقطع عنا العذاب، فنزلت الآية. وأخرج عن عكرمة وغيره.

أسباب نزول الآية ٨٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ﴾ الآية:

أخرج الحاكم في «المستدرك» والبيهقي في «الدلائل» بسند ضعيف عن ابن عباس قال:

كانت يهودُ خيبر تقاتل غَطَفَانَ، فكلما التقوا هزموا يهودَ؛ فعاذت يهود بهذا الدعاء: اللهم إنا نسألك بحق محمد النبي الأمي الذي وعدتنا أن تخرجه لنا في آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم، فكانوا إذا التقوا دعوا بهذا فيهزمون غَطَفَانَ. فلما بعث النبي عليه الصلاة والسلام كفروا به، فأنزل الله: ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس:

أن يهودَ كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مَبْعَثِهِ، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه؛ فقال لهم معاذُ بن جبل وبشرُ بن البَرَاءِ وداودُ بن سَلَمَةَ: يا معشر اليهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك، وتخبروننا

لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ أي الجنة ﴿عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً﴾ خاصة ﴿مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ﴾ كما زعمتم ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ تعلق بـ«تمنوا» الشرطان على أن الأول قيد في الثاني أي إن صدقتم في زعمكم أنها لكم ومن كانت له يؤثرها والموصل إليها الموت فتمنوه. ﴿٩٥﴾ ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من كفرهم بالنبي المستلزم لكذبهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين فيجازيهم. ﴿٩٦﴾ ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ لام قسم ﴿أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ أحرص ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ المنكرين للبعث عليها لعلمهم بأن مصيرهم النار دون المشركين لإنكارهم له ﴿يَوَدُّ﴾ يتمنى ﴿أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ «لو» مصدرية بمعنى «أن» وهي بصلتها في تأويل مصدر مفعول «يود» ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي أحدهم ﴿بِمُزَحْزِحِهِۦ﴾ مبعده ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ النار ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾ فاعل مزحزحه أي تعميره ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء فيجازيهم. وسأل ابن صوريا النبي أو عمر عمن يأتي بالوحي من الملائكة فقال جبريل فقال هو عدونا يأتي بالعذاب ولو كان ميكائيل لآمنا لأنه يأتي بالخصب والسلم فنزل: ﴿٩٧﴾ ﴿قل﴾ لهم ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ فليمت غيظاً ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ﴾ أي القرآن ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ﴾ بأمر ﴿ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَبُشْرَىٰ﴾ بالجنة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. ﴿٩٨﴾ ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ﴾ بكسر الجيم وفتحها بلا همز [جَبْرِيل] وبه بياء [جَبْرَئِيل] ودونها [جَبْرَئل] ﴿وَمِيكَىٰلَ﴾ عطف على الملائكة من عطف الخاص على العام وفي قراءة «ميكائيل» بهمز وياء وفي أخرى بلا ياء [ميكائل] ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ أوقعه موقع «لهم» بياناً لحالهم. ﴿٩٩﴾ ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ أي واضحات، حال. رد لقول ابن صوريا للنبي: ما جئتنا بشيء ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ كفروا بها ﴿١٠٠﴾ ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟﴾ الله ﴿عَهْدًا﴾ على الإيمان بالنبي إن خرج، أو النبي أن لا يعاونوا عليه المشركين ﴿نَّبَذَهُۥ﴾ طرحه ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ بنقضه، جواب «كلما» وهو محل الاستفهام الإنكاري ﴿بل﴾ للانتقال ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ أي التوراة ﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ أي لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره ﴿كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما فيها من أنه نبي حق أو أنها كتاب الله. ﴿١٠٢﴾ ﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾ عطف على نبذ ﴿مَا تَتْلُوا۟﴾ أي تلت ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ﴾ عهد ﴿مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ من السحر وكانت دفنته تحت كرسيه لما نُزِعَ ملكه أو كانت تسترق السمع وتضم إليه أكاذيب وتلقيه إلى الكهنة فيدونونه وفشا ذلك وشاع أن الجن تعلم الغيب فجمع سليمان الكتب ودفنها فلما مات دلت الشياطين عليها الناس فاستخرجوها فوجدوا فيها السحر فقالوا إنما ملككم بهذا فتعلموه ورفضوا كتب أنبيائهم. قال تعالى ـ تبرئة لسليمان ورداً على اليهود في قولهم انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء وما كان إلا ساحراً ـ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ أي لم يعمل السحر لأنه كفر ﴿وَلَٰكِنَّ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ الجملة حال من ضمير «كفروا» ﴿و﴾ يعلمونهم ﴿مَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ أي أُلْهِمَاه من السحر وقرىء بكسر اللام الكائنين ﴿بِبَابِلَ﴾ بلد في سواد العراق ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ بدل أو عطف بيان للملكين قال ابن عباس هما ساحران كانا يعلمان السحر وقيل ملكان أُنْزِلاَ لتعليمه ابتلاء من الله للناس ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ﴾ زائدة

﴿أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ له نصحاً ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ بلية من الله إلى الناس ليمتحنهم بتعليمه فمن تعلمه كفر ومن تركه فهو مؤمن ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتعلمه فإن أبى إلا التعليم علماه ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ بأن يبغض كلاً إلى الآخر ﴿وَمَا هُم﴾ أي السحرة ﴿بِضَآرِّينَ بِهِۦ﴾ بالسحر ﴿من﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ وهو السحر ﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم ﴿عَلِمُوا﴾ أي اليهود ﴿لَمَنِ﴾ لام ابتداء معلقة لما قبلها «وَمَنْ» موصولة ﴿ٱشْتَرَىٰهُ﴾ اختاره أو استبدله بكتاب الله ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ نصيب في الجنة ﴿وَلَبِئْسَ مَا﴾ شيئاً ﴿شَرَوْا﴾ باعوا ﴿بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾ أي الشارين: أي حظها من الآخرة إن تعلموه حيث أوجب لهم النار ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب ما تعلّموه. ﴿١٠٣﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ أي اليهود ﴿ءَامَنُوا﴾ بالنبي والقرآن ﴿وَٱتَّقَوْا﴾ عقاب الله بترك معاصيه كالسحر، وجواب «لو» محذوف: أي لأثيبوا دل عليه ﴿لَمَثُوبَةٌ﴾ ثواب وهو مبتدأ واللام فيه للقسم ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ خبره مما شروا به أنفسهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لما آثروه عليه. ﴿١٠٤﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا﴾ للنبي ﴿رَٰعِنَا﴾ أمرٌ من «المراعاة» وكانوا يقولون له ذلك وهي بلغة اليهود سب من «الرعونة» فَسُرُّوا بذلك وخاطبوا بها النبي ﷺ فنُهي المؤمنون عنها ﴿وَقُولُوا﴾ بدلها ﴿ٱنظُرْنَا﴾ أي انظر إلينا ﴿وَٱسْمَعُوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم هو النار. ﴿١٠٥﴾ ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ من العرب عطف على «أهل الكتاب» و«من» للبيان، ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ﴾ زائدة ﴿خَيْرٍ﴾ وحي ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ حسداً لكم ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ﴾ نبوته ﴿مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾. ﴿١٠٦﴾ ولما طعن الكفار في النسخ وقالوا إن محمداً يأمر أصحابه اليوم بأمر وينهى عنه غداً نزل: ﴿ما﴾ شرطية ﴿نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ أي: نُزِلْ حكمها إما مع لفظها أو لا وفي قراءة [نُنسخ] بضم النون من أنسخ أي: نأمرك أو جبريل بنسخها ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ نؤخرها فلا نُزِلْ حكمها ونرفع تلاوتها أو نؤخرها في اللوح المحفوظ وفي قراءة بلا همز من النسيان: أي نُنْسِكها، أي نمحها من قلبك وجواب الشرط ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ أنفع للعباد في السهولة أو كثرة الأجر ﴿أَوْ مِثْلِهَآ﴾ في التكليف والثواب ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النسخ والتبديل والاستفهام للتقرير. ﴿١٠٧﴾ ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يفعل فيهما ما يشاء ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿من﴾ زائدة ﴿وَلِىٍّ﴾ يحفظكم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنع عذابه عنكم إن أتاكم؟ ونزل لما سأله أهل مكة أن يوسّعها ويجعل الصفا ذهباً. ﴿١٠٨﴾ ﴿أم﴾ بل أ ﴿تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ﴾ أي سأله قومه ﴿مِن قَبْلُ﴾ من قولهم: «أرنا الله جهرة» وغير ذلك ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي يأخذه بدله بترك النظر في الآيات البينات واقتراح غيرها ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أخطأ الطريق الحق و«السواء» في الأصل الوسط. ﴿١٠٩﴾ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ﴾ مصدرية ﴿يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾ مفعول له كائناً ﴿مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ أي حملتهم عليه أنفسهم الخبيثة ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾ في التوراة ﴿ٱلْحَقُّ﴾ في شأن النبي ﴿فَٱعْفُوا﴾ عنهم أي اتركوهم ﴿وَٱصْفَحُوا﴾ أعرضوا فلا تجازوهم ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ فيهم من القتال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. ﴿١١٠﴾ ﴿وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

بأنه مبعوث وتصفونه بصفته، فقال سَلاَمُ بن مِشْكَم، أحد بني النَّضِير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم، فأنزل الله ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ الآية.

اسباب نزول الآية ٩٤ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ﴾ الآية:

أخرج ابن جرير عن أبي العالية قال:

قالت يهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، فأنزل الله: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً﴾ الآية.

اسباب نزول الآية ٩٧ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ الآية:

روى البخاري عن أنس قال: سمع عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يَخْتَرِفُ، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أولُ أشراط الساعة، وما أولُ طعام أهل الجنة، وما يَنْزِعُ الولدَ إلى أبيه أو إلى أُمه؟ قال أخبرني بهن جبريل آنفاً، قال: جبريل؟ قال نعم، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾.

قال شيخ الإسلام ابن حجر في «فتح الباري»: ظاهر السياق أن النبي ﷺ قرأ الآية رداً على اليهود، ولا يستلزم ذلك نزولها حينئذٍ. قال: وهذا هو المعتمد، فقد صح في سبب نزول الآية قصةٌ غَيْرُ قصةِ عبد الله بن سلام: فأخرج أحمد والترمذي والنسائي من طريق

لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ﴾ طاعة كصلة وصدقة ﴿تَجِدُوهُ﴾ أي ثوابه ﴿عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به. (١١١) ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ جمع «هائد» ﴿أَوْ نَصَارَىٰ﴾ قال ذلك يهود المدينة ونصارى نجران لما تناظروا بين يدي النبي ﷺ أي قال اليهود لن يدخلها إلا اليهود وقال النصارى لن يدخلها إلا النصارى ﴿تِلْكَ﴾ القولة ﴿أَمَانِيُّهُمْ﴾[1] شهواتهم الباطلة ﴿قل﴾ لهم ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ حجتكم على ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه. (١١٢) ﴿بَلَىٰ﴾ يدخل الجنة غيرهم ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ أي انقاد لأمره وخص الوجه لأنه أشرف الأعضاء فغيره أولى ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ أي ثواب عمله الجنة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة. (١١٣) ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ معتدٌ به وكفرت بعيسى ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ معتدٌ به وكفرت بموسى ﴿وَهُمْ﴾ أي الفريقان ﴿يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ المنزل عليهم وفي كتاب اليهود تصديق عيسى، وفي كتاب النصارى تصديق موسى والجملة حال ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي المشركون من العرب وغيرهم ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ بيان لمعنى «ذلك» أي: قالوا لكل ذي دين «ليسوا على شيء» ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين فيُدْخِلُ المحقَّ الجنةَ والمبطلَ النارَ. (١١٤) ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي لا أحد أظلم ﴿مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ بالصلاة والتسبيح ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ بالهدم أو التعطيل، نزلت إخباراً عن الروم الذين خربوا بيت المقدس أو في المشركين لما صدوا النبي ﷺ عام الحديبية عن البيت ﴿أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ خبر بمعنى الأمر أي أخيفوهم بالجهاد فلا يدخلها أحد آمناً ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ هوان بالقتل والسبي والجزية ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هو النار. (١١٥) ونزل لما طعن اليهود في نسخ القبلة أو في صلاة النافلة على الراحلة في السفر حيثما توجَّهتْ: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي الأرض كلها لأنهما ناحيتاها ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾ وجوهكم في الصلاة بأمره ﴿فَثَمَّ﴾ هناك ﴿وَجْهُ اللَّهِ﴾ قبلته التي رضيها ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ يسع فضله كل شيء ﴿عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه. (١١٦) ﴿وَقَالُوا﴾ بواو ودونها أي اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال تعالى ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له عنه ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً والملكية تنافي الولادة وعبر بـ«ما» تغليباً لما لا يعقل ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ مطيعون كل بما يراد منه وفيه تغليب العاقل. (١١٧) ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ موجدهما لا على مثال سبق ﴿وَإِذَا قَضَىٰ﴾ أراد ﴿أَمْرًا﴾ أي إيجاده ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي فهو يكون وفي قراءة بالنصب جواباً للأمر.

(١١٨) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي كفار مكة للنبي ﷺ ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ بأنك رسوله ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ مما اقترحناه على صدقك؟ ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما قال هؤلاء ﴿قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم﴾ من كفار الأمم الماضية لأنبيائهم ﴿مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ من التعنت وطلب الآيات ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في الكفر والعناد فيه تسليه للنبي ﷺ ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يعلمون أنها آيات فيؤمنون فاقتراح آية معها تعنُّت. (١١٩) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾

بُكَيْرِ بن شهاب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال:

أقبلت يهودُ إلى رسول الله فقالوا: يا أبا القاسم، إنا نسألك عن خمسة أشياء، فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي، فذكر الحديث، وفيه: أنهم سألوه عما حرَّم إسرائيل على نفسه، وعن علامة النبي، وعن الرعد وصوته، وكيف تُذكرُ المرأة وتُؤنثُ، وعمن يأتيه بخبر السماء، إلى أن قالوا: فأخبرنا من صاحبك؟ قال: جبريل. قالوا: جبريل ذاك [الذي] ينزل بالحرب والقتال والعذاب، ذاك عدونا، لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان خيراً، فنزلت.

وأخرج إسحاق بن راهويه في «مسنده» وابن جرير من طريق الشعبي:

أن عمر كان يأتي اليهود فيسمع من التوراة، فيتعجب كيف تُصَدِّقُ ما في القرآن. قال: فمرَّ بهم النبي ﷺ، فقلت: نشدتكم بالله، أتعلمون أنه رسول الله؟ فقال عالمهم: نعم، نعلم أنه رسول الله، قلت: فلم لا تتبعونه؟ قالوا: سألناه من يأتيه بنبوته، فقال: عدونا جبريل، لأنه ينزل بالغلظة والشدة والحرب والهلاك، قلت: فمن سِلْمُكم من الملائكة؟ قالوا: ميكائيل، ينزل بالقطر والرحمة، قلت: وكيف منزلتهما من ربهما؟ قالوا: أحدهما عن يمينه، والآخر عن الجانب الآخر. قلت: فإنه لا يحل لجبريل أن يعادي سِلْمَ ميكائيل، ولا يحل لميكائيل أن يسالم عدو

(١) ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾: يعني أباطيلهم بلغة قريش.

مَنْ أجاب إليه بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ مَنْ لم يجب إليه بالنار ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ النار أي الكفار مالهم لم يؤمنوا؟ إنما عليك البلاغ وفي قراءة [تسأل] بجزم «تُسأل» نهياً. (١١٩) ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ دينهم ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ أي الإسلام ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وما عداه ضلال ﴿وَلَئِنِ﴾ لام قسم ﴿ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ التي يدعونك إليها فرضاً ﴿بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ الوحي من الله ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ﴾ يحفظك ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنعك منه. (١٢١) ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ مبتدأ ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ أي يقرؤونه كما أنزل والجملة حال و«حقَّ» نُصِبَ على المصدر والخبر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ نزلت في جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ﴾ أي بالكتاب المؤتى بأن يحرِّفه ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم. (١٢٢) ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تقدم مثله. (١٢٣) ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَّا تَجْزِى﴾ تغني ﴿نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ﴾ فيه ﴿شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يمنعون من عذاب الله. (١٢٤) ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾ اختبر ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ وفي قراءة «إبراهام» ﴿رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ بأوامر ونواه كلَّفه بها، قيل هي مناسك الحج، وقيل المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفَرْقُ الرأس وقَلْمُ الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والختان والاستنجاء ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أدّاهن تامات ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قدوة في الدين ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ أولادي اجعل أئمة ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى﴾ بالإمامة ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين منهم دل على أنه ينال غير الظالم. (١٢٥) ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ﴾ الكعبة ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ مرجعاً يثوبون إليه من كل جانب ﴿وَأَمْنًا﴾ مأمناً لهم من الظلم والإغارات الواقعة في غيره كان الرجل يلقى قاتل أبيه فيه فلا يَهيجُهُ ﴿وَٱتَّخِذُوا۟﴾ أيها الناس ﴿مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ هو الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت ﴿مُصَلًّى﴾ مكان صلاة بأن تصلوا خلفه ركعتي الطواف وفي قراءة «واتخذوا» بفتح الخاء خبر ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ أمرناهما ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ المقيمين فيه ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ جمع راكع وساجد، المصلين. (١٢٦) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا﴾ المكان ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾ ذا أمن وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرماً لا يسفك فيه دم إنسان ولا يُظْلَم فيه أحد ولا يُصاد صيده ولا يُخْتَلى خلاه ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ وقد فعل بنقل «الطائف» من الشام إليه وكان أقفر لا زرع فيه ولا ماء ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ بدل من «أهله» وخصهم بالدعاء لهم موافقة لقوله: «لا ينال عهدي الظالمين» ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿و﴾ أرزق ﴿مَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ﴾ بالتشديد والتخفيف [فأمتعه] في الدنيا بالرزق ﴿قَلِيلًا﴾ مدة حياته ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ﴾ ألجئه في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ فلا يجد عنها محيصاً ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع هي. (١٢٧) ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ﴾ الأسس أو الجُدُر ﴿مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ يبنيه متعلق «يبرفع» ﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ عطف على «إبراهيم» يقولان ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ بناءنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للقول ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالفعل. (١٢٨) ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾ منقادَيْن ﴿لَكَ وَ﴾ اجعل ﴿مِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ أولادنا ﴿أُمَّةً﴾ جماعة ﴿مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ و«من» للتبعيض وأتى به لتقدُّم قوله: «لا ينال عهدي الظالمين» ﴿وَأَرِنَا﴾ علمنا ﴿مَنَاسِكَنَا﴾ شرائع عبادتنا أو حجنا ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ إنَّك أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ سألاه التوبة مع عصمتهما تواضعا وتعليماً لذريتهما. (١٢٩) ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ﴾ أي أهل البيت ﴿رَسُولًا

جبريل، وإنني أشهد أنهما وربهما سِلْمٌ لمن سالموا، وحرب لمن حاربوا، ثم أتيت النبي ﷺ، وأنا أريد أن أخبره، فلما لقيته قال: ألا أخبرك بآيات أنزلت عليَّ؟ فقلت بلى يا رسول الله، فقرأ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ حتى بلغ ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ قلت يا رسول الله، والله ما قمت من عند اليهود إلا إليك، لأخبرك بما قالوا لي وقلت لهم، فوجدت الله قد سبقني.

وإسناده صحيح إلى الشعبي لكنه لم يدرك عمر.

وقد أخرجه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم من طريق آخر عن الشعبي؛ وأخرجه ابن جرير من طريق السُّدي عن عمر، ومن طريق قتادة عن عمر، وهما أيضاً منقطعان.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق آخر عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى:

أن يهودياً لقي عمر بن الخطاب، فقال: إن جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا، فقال عمر: من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدوه. قال: فنزلت على لسان عمر.

فهذه طرق يقوّي بعضها بعضاً، وقد نقل ابن جرير الإجماعَ على أن سبب نزول الآية ذلك.

أسباب نزول الآية ـ ٩٩:

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ الآيتين:

أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال:

قال ابن صوريا للنبي ﷺ: يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بيّنة، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ﴾.

وقال مالك بن الصيف حين بعث رسول الله وذكر ما أخذ عليهم من الميثاق وما عهد إليهم في محمد: والله ما عهد إلينا في محمد، ولا أخذ علينا ميثاقاً، فأنزل الله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ١٠٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟﴾ الآية:

أخرج ابن جرير عن شهر بن حَوْشَب قال:

قالت اليهود: انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل: يذكر سليمان مع الأنبياء، أفما كان ساحراً يركب الريح؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية:

أن اليهود سألوا النبي ﷺ زماناً عن أمور من التوراة، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله عليه ما سألوا عنه، فيخصمهم؛ فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل إلينا منا، وإنهم سألوه عن السحر وخاصموه به، فأنزل الله: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾.

أسباب نزول الآية ١٠٤ ـ قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا﴾: أخرج ابن المنذر عن السُّدي قال:

كان رجلان من اليهود: مالك بن الصيف، ورفاعة بن زيد، إذا لقيا النبي ﷺ قالا وهما

مِّنْهُمْ﴾ من أنفسهم وقد أجاب الله دعاءه بمحمد ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ﴾ القرآن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ أي ما فيه من الأحكام ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه. (١٣٠) ﴿وَمَن﴾ أي لا ﴿يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ فيتركها ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾[1] جهل نفسه أنها مخلوقة لله يجب عليها عبادته أو استخف بها وامتهنها ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ﴾ اخترناه ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بالرسالة والخُلَّة ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى. (١٣١) واذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ انقد لله وأخلص له دينك ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾. (١٣٢) ﴿وَوَصَّىٰ﴾ وفي قراءة «أوصى» ﴿بِهَآ﴾ بالملة ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ بنيه قال ﴿يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ نَهْيٌ عن ترك الإسلام وأَمْرٌ بالثبات عليه إلى مصادفة الموت. (١٣٣) ولما قال اليهود للنبي ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية؟ نزل: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ حضوراً ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ﴾ بدل من «إذ» قبله ﴿قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى﴾ بعد موتي؟ ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ﴾ عَدُّ إسمٰعيلَ من الآباء تغليبٌ ولأن العم بمنزلة الأب ﴿إِلَـٰهًا وَٰحِدًا﴾ بدل من «إلهك» ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ و«أم» بمعنى همزة الإنكار أي لم تحضروه وقت موته فكيف تنسبون إليه ما لا يليق به. (١٣٤) ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب وبنيهما وأُنّث لتأنيث خبره ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ سلفت ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من العمل أي جزاؤه واستئناف ﴿وَلَكُمْ﴾ الخطاب لليهود ﴿مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ كما لا يسألون عن عملكم والجملة تأكيد لما قبلها.

(١٣٥) ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾ «أو» للتفصيل وقائل الأول «يهود المدينة» والثاني «نصارى نجران» ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿بَلْ﴾ نتبع ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا﴾ حال من «إبراهيم» مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾. (١٣٦) ﴿قُولُوٓا۟﴾ خطاب للمؤمنين ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ من القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ من الصحف العشر ﴿وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ﴾ من التوراة ﴿وَعِيسَىٰ﴾ من الإنجيل ﴿وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ من الكتب والآيات ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كاليهود والنصارى ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾. (١٣٧) ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟﴾ أي اليهود والنصارى ﴿بِمِثْلِ﴾ «مثل» زائدة ﴿مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الإيمان به ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ خلاف معكم ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ﴾ يا محمد شقاقهم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم وقد كفاه إياهم بقتل قريظة، ونفي النضير وضرب الجزية عليهم. (١٣٨) ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ مصدر مؤكّد لـ«آمنا» ونصبه بفعل مقدر أي صَبَغَنَا الله والمراد بها دينُه الذي فطر الناس عليه لظهور أثره على صاحبه كالصبغ في الثوب ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ تمييز ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ﴾ قال اليهود للمسلمين نحن أهل الكتاب الأول وقبلتنا أقدم ولم تكن الأنبياء من العرب ولو كان محمد نبياً لكان منا

(١) ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾: يعني خسر بلغة طيء.

فنزل: (١٣٩) ﴿قل﴾ لهم ﴿أَتُحَآجُّونَنَا﴾ تخاصموننا ﴿فِى ٱللَّهِ﴾ أن اصطفى نبياً من العرب ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ فله أن يصطفي من عباده من يشاء ﴿وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا﴾ نُجازَى بها ﴿وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ تُجازَوْنَ بها فلا يبعد أن يكون في أعمالنا ما نستحق به الإكرام ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ الدين والعمل دونكم فنحن أولى بالاصطفاء والهمزة للإنكار والجمل الثلاث أحوال. (١٤٠) ﴿أم﴾ بل أ ﴿تَقُولُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ قُلْ﴾ لهم ﴿ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ أي الله أعلم وقد برّأ منهما إبراهيم بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ [آل عمران: ٦٧] والمذكورون معه تَبَعٌ له ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ﴾ أخفى على الناس ﴿شَهَٰدَةً عِندَهُۥ﴾ كائنة ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾؟ أي لا أحد أظلم منه وهم اليهود كتموا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفية ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد لهم. (١٤١) ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ تقدم مثله. (١٤٢) ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ الجهال ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ اليهود والمشركين ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ﴾ أي شيء صرف النبي ﷺ والمؤمنين ﴿عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ على استقبالها في الصلاة وهي بيت المقدس؟ والإتيان بالسين الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ أي الجهات كلها فيأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء لا اعتراض عليه ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام أي ومنهم أنتم دل على هذا. (١٤٣) ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما هديناكم إليه ﴿جَعَلْنَٰكُمْ﴾ يا أمة محمد ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾[1] خياراً عدولاً ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ يوم القيامة أنَّ رسلهم بلّغتهم ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أنه بلّغكم ﴿وَمَا جَعَلْنَا﴾ صيرنا ﴿ٱلْقِبْلَةَ﴾ لك الآن الجهة ﴿ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ﴾ أولاً وهي الكعبة وكان ﷺ يصلي إليها فلما هاجر أُمِرَ باستقبال بيت المقدس تألفاً لليهود فصلى إليها ستة أو سبعة عشر شهراً ثم حُوِّلَ ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ فيصدقه ﴿مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ أي يرجع إلى الكفر شكّاً في الدين وظنًّا أن النبي ﷺ في حيرة من أمره وقد ارتد لذلك جماعة ﴿وَإِن﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أي: وانها ﴿كَانَتْ﴾ أي التولية إليها ﴿لَكَبِيرَةً﴾ شاقة على الناس ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ منهم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ أي صلاتكم إلى بيت المقدس بل يثيبكم عليه لأن سبب نزولها السؤال عمن مات قبل التحويل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ﴾ المؤمنين ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ في عدم اضاعة أعمالهم و«الرأفة» شدة الرحمة وقُدّم الأبلغ للفاصلة. (١٤٤) ﴿قد﴾ للتحقيق ﴿نَرَىٰ تَقَلُّبَ﴾ تصرُّف ﴿وَجْهِكَ فِى﴾ جهة ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ متطلعاً إلى الوحي ومتشوقاً للأمر باستقبال الكعبة وكان يود ذلك لأنها قبلة إبراهيم ولأنه أدْعَى إلى إسلام العرب ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ نحوِّلنَّك ﴿قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ تحبها ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ استقبل في الصلاة ﴿شَطْرَ﴾ نحو ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[2] أي الكعبة ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ خطاب للأمة ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ أي التولّي إلى الكعبة ﴿ٱلْحَقُّ﴾ الثابت ﴿مِن رَّبِّهِمْ﴾

---

(١) ﴿وَسَطًا﴾: يعني عدلاً بلغة قريش وكذلك في نون والقلم. وكذلك في سورة القلم قوله: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ [الآية: ٢٨]: أعدلهم.

(٢) ﴿شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾: يعني تلقاء والتلقاء النحو بلغة كنانة.

يكلمانه: راعنا سَمْعَكَ، واسمع غير مسمع، فظن المسلمون أن هذا الشيء كان أهل الكتاب يعظمون به أنبياءهم، فقالوا للنبي ﷺ ذلك، فأنزل الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟﴾.

وأخرج أبو نعيم في «الدلائل» من طريق السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال:

راعنا بلسان اليهود: السب القبيح، فلما سمعوا أصحابه [يقولونه أعلنوا بها له، فكانوا] يقولون ذلك ويضحكون فيما بينهم، فنزلت، فسمعها منهم سعد بن معاذ، فقال لليهود: يا أعداء الله لئن سمعتها من رجل منكم بعد هذا المجلس لأضربن عنقه.

وأخرج ابن جرير عن الضحّاك قال:

كان الرجل يقول: أَرْعِني سمعك، فنزلت الآية.

وأخرج عن عطية قال: كان أناس من اليهود يقولون أَرْعِنا سَمْعَكَ، حتى قالها أناس من المسلمين، فكره الله لهم ذلك، فنزلت.

وأخرج عن قتادة قال: كانوا يقولون: راعنا سمعك، فكان اليهود يأتون فيقولون مثل ذلك فنزلت.

وأخرج عن عطاء قال: كانت لغة الأنصار في الجاهلية، فنزلت.

وأخرج عن أبي العالية قال: إن العرب كانوا إذا حدث بعضهم يقول أحدهم لصاحبه: أَرْعِني سمعك، فنهوا عن ذلك.

لما في كتبهم من نعت النبي ﷺ من أنه يتحول إليها ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالتاء أيها المؤمنون من امتثال أمره، وبالياء أي اليهود من إنكار أمر القبلة. (١٤٥) ﴿وَلَئِنِ﴾ لام القسم ﴿أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ﴾ على صدقك في أمر القبلة ﴿مَّا تَبِعُوا۟﴾ أي لا يتبعون ﴿قِبْلَتَكَ﴾ عناداً ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ قطع لطمعه في إسلامهم وطمعهم في عوده إليها ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ أي اليهود قبلة النصارى وبالعكس ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ التي يدعونك إليها ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ الوحي ﴿إِنَّكَ إِذًا﴾ إن اتبعتهم فرضاً ﴿لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. (١٤٦) ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ أي محمداً ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ بنعته في كتبهم قال ابن سلام: «لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي لمحمد أشد» ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ نعته ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ هذا الذي أنت عليه. (١٤٧) ﴿ٱلْحَقُّ﴾ كائن ﴿مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه أي من هذا النوع فهو أبلغ من «لا تمترِ». (١٤٨) ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من الأمم ﴿وِجْهَةٌ﴾ قبلة ﴿هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ وجهه في صلاته وفي قراءة «مُوَلاَّها» ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ بادروا إلى الطاعات وقبولها ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ يجمعكم يوم القيامة فيجازيكم بأعمالكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. (١٤٩) ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ لسفر ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء تقدم مثله وكرره لبيان تساوي حكم السفر وغيره. (١٥٠) ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ كرره للتأكيد ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ اليهود أو المشركين ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي مجادلة في التولي إلى غيره أي لتنتفي مجادلتهم لكم من قول اليهود يجحد ديننا ويتبع قبلتنا وقول المشركين يدّعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ بالعناد فإنهم يقولون ما تحوّل إليها إلا ميلاً إلى دين آبائه والاستثناء متصل والمعنى: لا يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ تخافوا جدالهم في التولي إليها ﴿وَٱخْشَوْنِى﴾ بامتثال أمري ﴿وَلِأُتِمَّ﴾ عطف على «لئلا يكون» ﴿نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾ بالهداية إلى معالم دينكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق. (١٥١) ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا﴾ متعلق «بأُتِمّ» أي إتماماً كإتمامها بإرسالنا ﴿فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ﴾ محمداً ﷺ ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يطهركم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾. (١٥٢) ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ﴾ بالصلاة والتسبيح ونحوه ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ قيل معناه «أجازيكم»، وفي الحديث عن الله «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه» ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى﴾ نعمتي بالطاعة ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بالمعصية. (١٥٣) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟﴾ على الآخرة ﴿بِٱلصَّبْرِ﴾ على الطاعة والبلاء ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ خصها بالذكر لتكرُرها وعظمها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالعون. (١٥٤) ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ هم ﴿أَمْوَٰتٌۢ بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَآءٌ﴾ «أرواحهم في حواصل طيور خُضرٍ تسرح في الجنة حيث شاءت» لحديث ورد بذلك ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ تعلمون ما هم فيه. (١٥٥) ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ﴾ للعدو ﴿وَٱلْجُوعِ﴾ القحط ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ بالهلاك ﴿وَٱلْأَنفُسِ﴾ بالقتل والموت والأمراض ﴿وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بالجوائح أي لنختبرنكم فننظر أتصبرون أم لا؟ ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على البلاء بالجنة. (١٥٦) وهم ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ﴾ بلاء ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ﴾ ملكاً وعبيداً يفعل بنا ما يشاء ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

أسباب نزول الآية ـ ١٠٦:
قوله تعالى ﴿مَا نَنسَخْ﴾ الآية:

أخرج ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال:

كان ربما ينزل على النبي ﷺ الوحي بالليل وينساه بالنهار، فأنزل الله: ﴿مَا نَنسَخْ﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ـ ١٠٨:
قوله تعالى ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ الآية:

أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال:

قال رافعُ بنُ حُرَيْملَةَ ووهبُ بنُ زيدٍ لرسول الله: يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه، أو فجِّر لنا أنهاراً نتبعك ونصدقك، فأنزل الله في ذلك: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

وكان حُيَيُّ بنُ أخطَبَ وأبو ياسر بن أخطب من أشد اليهود حسداً للعرب إذ خصهم الله برسوله، وكانوا جاهدين في رد الناس عن الإسلام ما استطاعا، فأنزل الله فيهما: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: سألت قريش محمداً ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، فقال: نعم، وهو لكم كالمائدة لبني إسرائيل إن كفرتم، فأبوا ورجعوا، فأنزل الله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ﴾ الآية.

وأخرج عن السدي قال: سألت العرب محمداً ﷺ أن يأتيهم بالله فيروه جهرة، فنزلت.

في الآخرة فيجازينا كما في الحديث «من استرجع عند المصيبة آجره الله فيها وأخلف الله عليه خيراً» وفيه أن مصباح النبي ﷺ طفىء فاسترجع فقالت عائشة: إنما هذا مصباح فقال: «كل ما ساء المؤمن فهو مصيبة» رواه أبو داود في مراسيله. ﴿١٥٧﴾ ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ﴾ مغفرة ﴿مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ نعمة ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ إلى الصواب. ﴿١٥٨﴾ ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ جبلان بمكة ﴿مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أعلام دينه جمع «شعيرة» ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ أي تلبس بالحج أو العمرة وأصلهما القصد والزيارة ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ إثم عليه ﴿أَن يَطَّوَّفَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء ﴿بِهِمَا﴾ بأن يسعى بينهما سبعاً، نزلت لما كره المسلمون ذلك لأن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بهما وعليهما صنمان يمسحونهما، وعن ابن عباس أن السعي غير فرض لِمَا أفاده رفع الإثم من التخيير وقال الشافعي وغيره: ركن، وبيّن ﷺ فرضيته بقوله: «إن الله كتب عليكم السعي» رواه البيهقي وغيره، وقال: «ابدأوا بما بدأ الله به» يعني الصفا رواه مسلم ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾ وفي قراءة «من يطوع» بالتحتية وتشديد الطاء مجزوماً وفيه إدغام التاء فيها ﴿خَيْرًا﴾ أي بخير أي عَمِلَ ما لم يجب عليه من طواف وغيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ﴾ لعمله بالإثابة عليه ﴿عَلِيمٌ﴾ به. ﴿١٥٩﴾ ونزل في اليهود ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ الناس ﴿مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ﴾ كآية الرجم ونعت محمد ﷺ ﴿مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ يبعدهم من رحمته ﴿وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ الملائكة والمؤمنون أو كل شيء بالدعاء عليهم باللعنة. ﴿١٦٠﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ رجعوا عن ذلك ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿وَبَيَّنُوا﴾ ما كتموا ﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ أقبل توبتهم ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين. ﴿١٦١﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ حال ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي هم مستحقون ذلك في الدنيا والآخرة، و«الناس» قيل: عام. وقيل: المؤمنون. ﴿١٦٢﴾ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي اللعنة أو النار المدلول بها عليها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾ طرفة عين ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون لتوبة أو لمعذرة. ﴿١٦٣﴾ نزل لما قالوا صف لنا ربك: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾ المستحق للعبادة منكم ﴿إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ لا نظير له في ذاته ولا في صفاته ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ هو ﴿الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾.

﴿١٦٤﴾ وطلبوا آية على ذلك فنزل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيهما من العجائب ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالذهاب والمجيء والزيادة والنقصان ﴿وَالْفُلْكِ﴾ السفن ﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ ولا ترسب موقرة ﴿بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ﴾ من التجارات والحمل ﴿وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ﴾ مطر ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يَبَسِها ﴿وَبَثَّ﴾ فرق ونشر به ﴿فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ﴾ لأنهم ينمون بالخصب الكائن عنه ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ﴾ تقليبها جنوباً وشمالاً حارة وباردة ﴿وَالسَّحَابِ﴾ الغيم ﴿الْمُسَخَّرِ﴾ المذلل بأمر الله تعالى يسير إلى حيث شاء الله ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بلا علاقة ﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون. ﴿١٦٥﴾ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿أَندَادًا﴾ أصناماً ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿كَحُبِّ اللَّهِ﴾ أي كحبهم له ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ من حبهم للأنداد لأنهم لا يعدلون عنه بحال ما، والكفار يعدلون في الشدة إلى الله ﴿وَلَوْ يَرَى﴾ بالياء والتاء تبصر يا محمد ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باتخاذ الأنداد ﴿إِذْ يَرَوْنَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول يبصرون ﴿الْعَذَابَ﴾ لرأيت

وأخرج عن أبي العالية قال: قال رجل: يا رسول الله، لو كانت كفاراتنا ككفارات بني إسرائيل، فقال النبي ﷺ: ما أعطاكم الله خير، كانت بنو إسرائيل إذا أصاب أحدهم الخطيئة وجدها مكتوبة على بابه وكفارتها، فإن كفرها كانت له خزياً في الدنيا، وإن لم يكفرها كانت له خزياً في الآخرة، وقد أعطاكم الله خيراً من ذلك، قال تعالى ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ الآية، والصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن، فأنزل الله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ١١٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ الآية:

أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال:

لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبار يهود فتنازعوا، فقال رافع بن خزيمة: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى والإنجيل، فقال رجل من أهل نجران لليهود: ما أنتم على شيء، وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة. فأنزل الله في ذلك: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ١١٤ ـ قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ الآية:

أخرج ابن أبي حاتم من الطريق المذكور:

أن قريشاً منعوا النبي ﷺ الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام، فأنزل الله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ الآية.

أمراً عظيماً «وإذ» بمعنى «إذا» ﴿أن﴾ أي لأن ﴿ٱلْقُوَّةَ﴾ القدرة والغلبة ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ حال ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ وفي قراءة يرى بالتحتانية والفاعل قيل: ضمير السامع وقيل «الذين ظلموا» فهي بمعنى «يعلم» و«أن» وما بعدها سدت مسد المفعولين وجواب «لو» محذوف والمعنى لو علموا في الدنيا شدة عذاب الله وأن القدرة لله وحده وقت معاينتهم له وهو يوم القيامة لِمَا اتخذوا من دونه أنداداً. ﴿١٦٦﴾ ﴿إذ﴾ بدل من «إذ» قبله ﴿تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟﴾ أي الرؤساء ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ أي أنكروا إضلالهم ﴿و﴾ قد ﴿رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ﴾ عطف على «تبرأ» ﴿بِهِمُ﴾ عنهم ﴿ٱلْأَسْبَابُ﴾ الوُصَلُ التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة. ﴿١٦٧﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾ أي المتبوعين ﴿كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا﴾ اليوم و«لو» للتمني و«نتبرأ» جوابه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما أراهم شدة عذابه وتَبَرُّؤَ بعضهم من بعض ﴿يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ السيئة ﴿حَسَرَٰتٍ﴾ حال ندامات ﴿عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ بعد دخولها. ﴿١٦٨﴾ ونزل فيمن حرَّم السوائب ونحوها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا﴾ حال ﴿طَيِّبًا﴾ صفة مؤكِّدة أي مستلذاً ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ﴾ طرق ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي تزيينه ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بين العداوة. ﴿١٦٩﴾ ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ﴾ الإثم ﴿وَٱلْفَحْشَآءِ﴾ القبيح شرعاً ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرِّم وغيره. ﴿١٧٠﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي الكفار ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ من التوحيد وتحليل الطيبات ﴿قَالُوا۟﴾ لا ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ﴾ من عبادة الأصنام وتحريم السوائب والبحائر قال تعالى ﴿أ﴾ يتبعونهم ﴿وَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا﴾ من أمر الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق؟ والهمزة للانكار. ﴿١٧١﴾ ﴿وَمَثَلُ﴾ صفة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ومن يدعوهم إلى الهدى ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾[1] يصوِّت ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ﴾ أي صوتاً ولا يفهم معناه أي هم في سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهائم تسمع صوت راعيها ولا تفهمه هم ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الموعظة.

﴿١٧٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ﴾ حلالات ﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ﴾ على ما أحل لكم ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾. ﴿١٧٣﴾ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ﴾ أي أكلَها إذ الكلام فيه وكذا ما بعدها وهي ما لم يُذَكَّ شرعاً، وأُلحِق بها بالسنة ما أُبين من حي وخُصَّ منها السمك والجراد ﴿وَٱلدَّمَ﴾ أي المسفوح كما في الأنعام [١٤٥] ﴿وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ﴾ خص اللحم لأنه معظم المقصود وغيره تبع له ﴿وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ﴾ أي ذبح على اسم غيره و«الإهلال» رفع الصوت وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ أي ألجأته الضرورة إلى أكل شيء مما ذكر فَأَكَلَهُ ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ خارج على المسلمين ﴿وَلَا عَادٍ﴾ متعد عليهم بقطع الطريق ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ﴾ في أكله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بأهل طاعته حيث وسع لهم في ذلك وخرج الباغي والعادي ويلحق بهما كل عاص بسفره كالآبق والمكّاس فلا يحل لهم أكل شيء من ذلك ما لم يتوبوا وعليه الشافعي. ﴿١٧٤﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ المشتمل على نعت محمد ﷺ وهم اليهود ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا يأخذونه بدله من سفلتهم فلا يظهرونه خوف

(١) ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ﴾: يعني يصيح بلغة طيء.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: نزلت في المشركين حين صدوا رسول الله عن مكة يوم الحديبية.

أسباب نزول الآية ١١٥ - قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾:

أخرج مسلم والترمذي والنَّسائي عن ابن عمر قال:

كان النبي ﷺ يصلي على راحلته تطوعاً أينما توجهت به، وهو جاءٍ من مكة إلى المدينة، ثم قرأ ابن عمر: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ وقال: في هذا نزلت هذه الآية.

وأخرج الحاكم عنه قال:

أنزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أن تصلي حيثما توجهت بك راحلتك في التطوع. وقال: صحيح على شرط مسلم.

هذا أصح ما ورد في الآية إسناداً، وقد اعتمده جماعة، لكنه ليس فيه تصريح بذكر السبب، بل قال: أنزلت في كذا، وقد تقدم ما فيه. وقد ورد التصريح بسبب نزولها:

فأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس:

أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة أمره الله أن يستقبل بيت المقدس، ففرحت اليهود؛ فاستقبلها بضعة عشر شهراً، وكان يحب قبلة إبراهيم، وكان يدعو الله وينظر إلى السماء، فأنزل الله: ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ فارتاب في ذلك اليهود، قالوا: ﴿مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ فأنزل الله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ وقال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾.

فوته عليهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾ لأنها مآلهم ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ غضباً عليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من دنس الذنوب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم هو النار. ﴿١٧٥﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ أخذوها بدله في الدنيا ﴿وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾ المعدة لهم في الآخرة لو لم يكتموا ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ أي ما أشد صبرهم وهو تعجب للمؤمنين من ارتكابهم موجباتها من غير مبالاة وإلا فأيُّ صبر لهم؟ ﴿١٧٦﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي ذُكِرَ من أكلهم النار وما بعده ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق «بنزل» فاختلفوا فيه حيث آمنوا ببعضه وكفروا ببعضه بكتمه ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ بذلك وهم اليهود وقيل المشركون في القرآن حيث قال بعضهم شعر وبعضهم سحر وبعضهم كهانة ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾[1] عن الحق. ﴿١٧٧﴾ ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ في الصلاة ﴿قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ نزل رداً على اليهود والنصارى حيث زعموا ذلك ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ أي ذا البر وقرىء بفتح الباء أي البار ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ﴾ أي الكتب ﴿وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ﴾ مع ﴿حُبِّهِۦ﴾ له ﴿ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ المسافر ﴿وَٱلسَّآئِلِينَ﴾ الطالبين ﴿وَفِي﴾ فك ﴿ٱلرِّقَابِ﴾ المكاتبين والأسرى ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ المفروضة وما قبله في التطوع ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟﴾ الله أو الناس ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ نُصِبَ على المدح ﴿فِي ٱلْبَأْسَآءِ﴾ شدة الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المرض ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ وقت شدة القتال في سبيل الله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟﴾ في إيمانهم أو ادعاء البر ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ الله. ﴿١٧٨﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ المماثلة ﴿فِي ٱلْقَتْلَى﴾ وصفا وفعلاً ﴿ٱلْحُرُّ﴾ يقتل ﴿بِٱلْحُرِّ﴾ ولا يقتل بالعبد ﴿وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ وبينت السنة أن الذكر يقتل بها وأنه تعتبر المماثلة في الدين فلا يقتل مسلم ولو عبداً بكافر ولو حراً ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ﴾ من القاتلين ﴿من﴾ دم ﴿أَخِيهِ﴾ المقتول ﴿شَىْءٌ﴾ بأن تُرِكَ القصاص منه وتنكير «شيء» يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه ومن بعض الورثة وفي ذكر «أخيه» تعطُّف داع إلى العفو وإيذان بأن القتل لا يقطع أخوة الإيمان و«من» مبتدأ شرطية أو موصولة والخبر ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ﴾ أي فعلى العافي اتباع للقاتل ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بأن يطالبه بالدية بلا عنف وترتيب الإتباع على العفو يفيد أن الواجب أحدهما وهو أحد قولي الشافعي والثاني الواجب القصاص والدية بدل عنه فلو عفا ولم يسمها فلا شيء ورُجِّحَ ﴿و﴾ على القاتل ﴿أَدَآءٌ﴾ للدية ﴿إِلَيْهِ﴾ أي العافي وهو الوارث ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾ بلا مطل ولا بخس ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم المذكور من جواز القصاص والعفو عنه على الدية ﴿تَخْفِيفٌ﴾ تسهيل ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ عليكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بكم حيث وسَّع في ذلك ولم يحتم واحداً منهما كما حتم على اليهود القصاص وعلى النصارى الدية ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ ظلم القاتل بأن قتله ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي العفو ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الآخرة بالنار أو في الدنيا بالقتل. ﴿١٧٩﴾ ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ أي بقاء عظيم ﴿يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ذوي العقول لأن القاتل إذا علم أنه يُقتل ارتدع فأحيا نفسه ومن أراد قتله فشرع ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ القتل لمخافة القَوَدِ. ﴿١٨٠﴾ ﴿كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي أسبابه

(١) ﴿فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾: في ضلال بعيد بلغة جرهم.

إسناده قوي، والمعنى أيضاً يساعده فليعتمد. وفي الآية روايات أخرى ضعيفة: فأخرج الترمذي وابن ماجه [والدارقطني] من طريق أشعث السمان، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر في ليلة مظلمة، فلم ندر أين القبلة، فصلى كل رجل منا على حِيالِهِ، فلما أصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله، فنزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ قال الترمذي: غريب، وأشعث يُضَعَّفُ في الحديث. وأخرج الدارقطني وابن مردويه من طريق العرزمي، عن عطاء، عن جابر قال:

بعث رسول الله ﷺ سرية كنت فيها، فأصابتنا ظلمة فلم نعرف القبلة، فقالت طائفة منا: قد عرفنا القبلة، هي ههنا قِبَلَ الشمال، فصلوا وخطوا خطوطاً؛ وقال بعضنا: القبلة ههنا قِبَلَ الجنوب، فصلوا وخطوا خطوطاً؛ فلما أصبحوا وطلعت الشمس أصبحت تلك الخطوط لغير القبلة. فلما قفلنا من سفرنا سألنا النبي ﷺ فسكت، وأنزل الله هذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ الآية.

وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس:

أن رسول الله ﷺ بعث سرية فأخذتهم ضبابة فلم يهتدوا إلى القبلة، فصلوا؛ ثم استبان لهم بعدما طلعت الشمس أنهم صلوا لغير القبلة، فلما جاءوا إلى رسول

﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾[1] مالاً ﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾ مرفوع «بكُتِبَ» ومتعلق «بإذا» إن كانت ظرفية ودال على جوابها إن كانت شرطية وجواب «إن» أي: فليوص ﴿لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بالعدل بأن لا يزيد على الثلث ولا يفضل الغني ﴿حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الله وهذا منسوخ بآية الميراث وبحديث «لا وصية لوارث» رواه الترمذي. ﴿١٨١﴾ ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾ أي الإيصاء من شاهد ووصي ﴿بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ﴾ علمه ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ﴾ أي الإيصاء المبدل ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقول الموصي ﴿عَلِيمٌ﴾ بفعل الوصي فمجاز عليه. ﴿١٨٢﴾ ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ﴾ مخففاً ومثقلاً. [موصٍ] ﴿جَنَفًا﴾[2] ميلاً عن الحق خطأ ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بأن تعمَّد ذلك بالزيادة على الثلث أو تخصيص غني مثلاً ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ بين الموصي والموصى له بالأمر بالعدل ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في ذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. ﴿١٨٣﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها. ﴿١٨٤﴾ ﴿أَيَّامًا﴾ نُصِبَ بالصيام أو بـ«صوموا» مقدراً ﴿مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أي قلائل أو مؤقتات بعدد معلوم وهي رمضان كما سيأتي وقلَّله تسهيلاً على المكلفين ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم﴾ حين شهوده ﴿مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي مسافراً سفر القصر وأجهده الصوم في الحالين فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ فعليه عدة ما أفطر ﴿مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يصومها بدله ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ﴾ لا ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ لكبر أو مرض لا يرجى برؤه ﴿فِدْيَةٌ﴾ هي ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ أي قدر ما يأكله في يومه وهو مُدٌّ من غالب قوت البلد لكل يوم، وفي قراءة [فدية طعام مسكين] بإضافة «فدية» وهي للبيان وقيل «لا» غير مقدرة وكانوا مخيرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية ثم نسخ بتعيين الصوم بقوله «فمن شهد منكم الشهر فليصمه»، قال ابن عباس: إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفاً على الولد فإنها باقية بلا نسخ في حقهما ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بالزيادة على القدر المذكور في الفدية ﴿فَهُوَ﴾ أي التطوع ﴿خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟﴾ مبتدأ وخبره ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الإفطار والفدية ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم فافعلوه تلك الأيام. ﴿١٨٥﴾ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، منه ﴿هُدًى﴾ حال هادياً من الضلالة ﴿لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ﴾ آيات واضحات ﴿مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ مما يهدي إلى الحق من الأحكام ﴿و﴾ من ﴿ٱلْفُرْقَانِ﴾ مما يفرق بين الحق والباطل ﴿فَمَن شَهِدَ﴾ حضر ﴿مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تقدم مثله وكُرِّرَ لئلا يُتَوَهَّم نسخه بتعميم «مَنْ شهد» ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر ولكون ذلك في معنى العلة أيضاً للأمر بالصوم عطف عليه ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟﴾ بالتخفيف والتشديد [ولتكمّلوا] ﴿ٱلْعِدَّةَ﴾ أي عدة صوم رمضان ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ عند إكمالها ﴿عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك. ﴿١٨٦﴾ وسأل جماعة النبي ﷺ أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فنزل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى

---

(١) ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾: المال بلغة جرهم وفي سورة النور: ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [الآية: ٣٣]: أي لهم مالاً. وقوله: ﴿مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾: يعني المال.

(٢) ﴿جَنَفًا﴾: يعني تعمداً للجنف بلغة قريش وفي المائدة: ﴿مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾: أي متعمد له.

لباب النقول في اسباب النزول
سورة البقرة

الله حدثوه، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير عن قتادة:

أن النبي ﷺ قال: إن أخاً لكم قد مات، يعني النجاشي، فصلوا عليه، قالوا: نصلي على رجل ليس بمسلم؟ فنزلت: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ الآية. قالوا فإنه كان لا يصلي إلى القبلة، فأنزل الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ الآية.

غريب جداً، وهو مُرْسَلٌ أو مُعْضَلٌ.

وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال:

لما نزلت: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قالوا إلى أين؟ فنزلت: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾

اسباب نزول الآية ١١٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية.

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال:

قال رافع بن خزيمة لرسول الله ﷺ: إن كنت رسولاً من الله كما تقول فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الآية.

اسباب نزول الآية ١١٩ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ﴾ الآية:

قال عبد الرزاق: أنبأنا الثوري عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي قال:

قال رسول الله ﷺ: ليت شعري ما فعل أبواي، فنزلت: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۙ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ

عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ منهم بعلمي فأخبرهم بذلك ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ بإنالته ما سأل ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ دعائي بالطاعة ﴿وَلْيُؤْمِنُوا﴾ يدوموا على الإيمان ﴿لِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ يهتدون. ﴿١٨٧﴾ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾ بمعنى الإفضاء ﴿إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ بالجماع، نزل نسخاً لما كان في صدر الإسلام من تحريمه وتحريم الأكل والشرب بعد العشاء ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ كناية عن تعانقهما أو احتياج كل منهما إلى صاحبه ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ﴾ تخونون ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ بالجماع ليلة الصيام وقع ذلك لعمر وغيره واعتذروا إلى النبي ﷺ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قبل توبتكم ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ﴾ إذ أُحِلَّ لكم ﴿بَاشِرُوهُنَّ﴾ جامعوهن ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي أباحه من الجماع أو قدره من الولد ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ الليل كله ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾ يظهر ﴿لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ أي الصادق بيان للخيط الأبيض وبيان الأسود محذوف أي من الليل شُبِّهَ ما يبدو من البياض وما يمتد معه من الغبش بخطين أبيض وأسود في الامتداد ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ﴾ من الفجر ﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾ أي إلى دخوله بغروب الشمس ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ﴾ أي نساءكم ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ﴾ مقيمون بنية الاعتكاف ﴿فِي الْمَسَاجِدِ﴾ متعلق «بعاكفون» نهيٌ لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امرأته ويعود ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ حدَّها لعباده ليقفوا عندها ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أبلغ من «لا تعتدوها» المعبر به في آية أخرى ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ محارمه. ﴿١٨٨﴾ ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ أي لا يأكل بعضكم مال بعض ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الحرام شرعاً كالسرقة والغصب ﴿و﴾ لا ﴿تُدْلُوا﴾ تلقوا ﴿بِهَا﴾ أي بحكومتها أو بالأموال رشوة ﴿إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا﴾ بالتحاكم ﴿فَرِيقًا﴾ طائفة ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ متلبسين ﴿بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم مبطلون. ﴿١٨٩﴾ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ جمع «هلال» لِمَ تبدو دقيقة ثم تزيد حتى تمتلىء نوراً ثم تعود كما بدت ولا تكون على حالة واحدة كالشمس؟ ﴿قل﴾ لهم ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ﴾ جمع «ميقات» ﴿لِلنَّاسِ﴾ يعلمون بها أوقات زرعهم ومتاجرهم وعِدَدَ نسائهم وصيامهم وإفطارهم ﴿وَالْحَجِّ﴾ عطف على «الناس» أي يُعْلَمَ بها وقته فلو استمرت على حالة لم يُعْرَف ذلك ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ في الإحرام بأن تنقبوا فيها نقباً تدخلون منه وتخرجون وتتركوا الباب وكانوا يفعلون ذلك ويزعمونه براً ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ﴾ أي ذا البر ﴿مَنِ اتَّقَىٰ﴾ الله بترك مخالفته ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ في الإحرام كغيره ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون. ﴿١٩٠﴾ ولما صُدَّ ﷺ عن البيت عام الحديبية وصالح الكفار على أن يعود في العام القابل ويُخْلُوا له مكة ثلاثة أيام وتجهز لعمرة القضاء وخافوا أن لا تفي قريش ويقاتلوهم وكره المسلمون قتالهم في الحرم والإحرام والشهر الحرام نزل: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي لإعلاء دينه ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ من الكفار ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ عليهم بالابتداء بالقتال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين ما حد لهم وهذا منسوخ بآية «براءة» وبقوله: ﴿١٩١﴾ ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ أي من مكة وقد فعل بهم ذلك عام الفتح ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الشرك منهم ﴿أَشَدُّ﴾ أعظم ﴿مِنَ الْقَتْلِ﴾ لهم في الحرم أو الإحرام الذي استعظمتموه ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي في الحرم ﴿حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ﴾ فيه ﴿فَاقْتُلُوهُمْ﴾، فيه وفي قراءة بلا ألف في الأفعال الثلاثة [ولا

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

﴿الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾ فما ذكرهما حتى توفاه الله مرسل. وأخرج ابن جرير من طريق ابن جريج قال:

أخبرني داود بن أبي عاصم أن النبي ﷺ قال ذات يوم: أين أبواي، فنزلت.

مرسل أيضاً، [معضل الإسناد، ضعيف....].

أسباب نزول الآية ١٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ﴾ الآية:

أخرج الثعلبي عن ابن عباس قال:

إن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلي النبي ﷺ إلى قبلتهم، فلما صرف الله القبلة إلى الكعبة شق ذلك عليهم وأيسوا أن يوافقهم على دينهم، فأنزل الله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ١٢٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [الآية].

روى البخاري وغيره عن عمر قال:

وافقت ربي في ثلاث، قلت: يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾؛ وقلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البَرُّ والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت آية الحجاب، واجتمع على رسول الله ﷺ نساؤه في الغيرة، فقلت لهن: عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن، فنزلت كذلك.

له طرق كثيرة، منها ما أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر قال:

تقتلوهم، حتى يقتلوكم، فإن قتلوكم] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ القتل والإخراج ﴿جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

(١٩٢) ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا﴾ عن الكفر وأسلموا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. (١٩٣) ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ﴾ توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾ شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ﴾ العبادة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده لا يعبد سواه، ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا﴾ عن الشرك فلا تعتدوا عليهم دل على هذا ﴿فَلَا عُدْوَٰنَ﴾ اعتداء بقتل أو غيره ﴿إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ومن انتهى فليس بظالم فلا عدوان عليه. (١٩٤) ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ﴾ المحرم مقابَلٌ ﴿بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ فكما قاتلوكم فيه فاقتلوهم في مثله رد لاستعظام المسلمين ذلك ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ﴾ جمع «حرمة» ما يجب احترامه ﴿قِصَاصٌ﴾ أي يقتص بمثلها إذا انتهكت ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ بالقتال في الحرم أو الإحرام أو الشهر الحرام ﴿فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ سمى مقابلته اعتداء لشبهها بالمقابَل به في الصورة ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في الانتصار وترك الاعتداء ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر. (١٩٥) ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طاعته بالجهاد وغيره ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ﴾ أي أنفسكم والباء زائدة ﴿إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ الهلاك بالإمساك عن النفقة في الجهاد أو تركه لأنه يقوّي العدو عليكم ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟﴾ بالنفقة وغيرها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي يثيبهم.

(١٩٦) ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ أدوهما بحقوقهما ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ مُنعتم عن إتمامهما بعدوٍّ ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ﴾ تيسّر ﴿مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾ عليكم وهو شاة ﴿وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ﴾ أي لا تتحللوا ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ﴾ المذكور ﴿مَحِلَّهُۥ﴾ حيث يحل ذبحه وهو مكان الإحصار عند الشافعي فيُذْبَحُ فيه بنية التحلل ويفرّق على مساكينه ويَحْلِقُ وبه يحصل التحلل ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ كقمل وصداع فحلق في الإحرام ﴿فَفِدْيَةٌ﴾ عليه ﴿مِّن صِيَامٍ﴾ لثلاثة أيام ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ بثلاثة آصُعٍ من غالب قوت البلد على ستة مساكين ﴿أَوْ نُسُكٍ﴾ أي ذبح شاة و«أو» للتخيير وألحق به من حلق لغير عذر لأنه أولى بالكفارة وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب واللبس والدهن لعذر أو غيره ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ العدو بأن ذهب أو لم يكن ﴿فَمَن تَمَتَّعَ﴾ استمتع ﴿بِٱلْعُمْرَةِ﴾ أي بسبب فراغه منها بمحظورات الإحرام ﴿إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ أي إلى الإحرام به بأن يكون أحرم بها في أشهره ﴿فَمَا ٱسْتَيْسَرَ﴾ تيسر ﴿مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾ عليه وهو شاة يذبحها بعد الإحرام به والأفضل يوم النحر ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الهدي لفقده أو فقد ثمنه ﴿فَصِيَامُ﴾ أي فعليه صيام ﴿ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ﴾ أي في حال الإحرام به فيجب حينئذ أن يُحْرِمَ قبل السابع من ذي الحجة والأفضل قبل السادس لكراهة صوم يوم عرفة ولا يجوز صومها أيام التشريق على أصح قولي الشافعي ﴿وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ إلى وطنكم مكة أو غيرها وقيل إذا فرغتم من أعمال الحج وفيه التفات عن الغيبة ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ جملة تأكيد لما قبلها ﴿ذَٰلِكَ﴾ الحكم المذكور من وجوب الهدي أو الصيام على من تمتع ﴿لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ بأن لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم عند الشافعي فإن كان، فلا دم عليه ولا صيام وإن تمتع وفي ذكر «الأهل» إشعار باشتراط الاستيطان فلو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن وتمتّع فعليه ذلك وهو أحد وجهين عند الشافعي والثاني لا «والأهل» كناية عن النفس وألحق بالمتمتع فيما ذكر بالسنة القارن وهو من أحرم بالعمرة والحج معاً أو يُدْخِلُ الحج عليها قبل الطواف ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن خالفه. (١٩٧) ﴿ٱلْحَجُّ﴾ وقته ﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة وقيل كله ﴿فَمَن فَرَضَ﴾ على

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

لما طاف النبي ﷺ [يوم فتح مكة] قال له عمر: هذا مقام أبينا إبراهيم؟ قال: نعم، قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فأنزل الله: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾

وأخرج ابن مردويه من طريق عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب:

أنه مر بمقام إبراهيم، فقال: يا رسول الله: أليس نقوم مقام [إبراهيم] خليل ربنا؟ قال: بلى، قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فلم يلبث إلا يسيراً حتى نزلت: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾

وظاهر هذا وما قبله أن الآية نزلت في حجة الوداع.

أسباب نزول الآية ١٣٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾:

قال ابن عيينة: روي أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجراً إلى الإسلام فقال لهما: قد علمتما أن الله تعالى قال في التوراة: إني باعث من ولد إسماعيل نبياً اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد، ومن لم يؤمن به فهو ملعون، فأسلم سلمة وأبى مهاجر، فنزلت فيه الآية.

أسباب نزول الآية ١٣٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا﴾

الآية: أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال:

قال ابن صوريا للنبي ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد؛ وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله فيهم: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟﴾.

أسباب نزول الآية ١٤٢ ـ قوله

نفسه ﴿فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ﴾ بالإحرام به ﴿فَلَا رَفَثَ﴾[1] جماع فيه ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ معاصٍ ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ خصام ﴿فِى ٱلْحَجِّ﴾ وفي قراءة بفتح الأولين والمراد في الثلاثة النهي ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ كصدقة ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ فيجازيكم به، ونزل في أهل اليمن وكانوا يحجون بلا زاد فيكونون كَلًّا على الناس ﴿وَتَزَوَّدُوا۟﴾ ما يُبلِّغكم لسفركم ﴿فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ ما يُتَّقى به سؤال الناس وغيره ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ذوي العقول. ﴿١٩٨﴾ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَن تَبْتَغُوا۟﴾ تطلبوا ﴿فَضْلًا﴾ رزقاً ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ بالتجارة في الحج نزل رداً لكراهتهم ذلك ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم﴾ دفعتم ﴿مِّنْ عَرَفَٰتٍ﴾ بعد الوقوف بها ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتهليل والدعاء ﴿عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ﴾ هو جبل في آخر المزدلفة يقال له «قُزَح» وفي الحديث «أنه ﷺ وقف به يذكر الله ويدعو حتى أسفر جداً» رواه مسلم ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ﴾ لمعالم دينه ومناسك حجه والكاف للتعليل ﴿وإن﴾ مخففة ﴿كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ﴾ قبل هداه ﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾. ﴿١٩٩﴾ ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟﴾[2] يا قريش ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ أي من عرفة بأن تقفوا بها معهم وكانوا يقفون بالمزدلفة ترفعاً عن الوقوف معهم و«ثم» للترتيب في الذكر ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ من ذنوبكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. ﴿٢٠٠﴾ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم﴾ أديتم ﴿مَّنَاسِكَكُمْ﴾ عبادات حجكم بأن رميتم جمرة العقبة وطفتم واستقررتم بمنى ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بالتكبير والثناء ﴿كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ﴾ كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجكم بالمفاخرة ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ من ذكركم إياهم ونُصِبَ «أشد» على الحال من «ذكراً» المنصوب «باذكروا» إذ لو تأخر عنه لكان صفة له ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا﴾ نصيبنا ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ فيؤتاه فيها ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ نصيب. ﴿٢٠١﴾ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ نعمة ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ هي الجنة ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ بعدم دخولها وهذا بيان لما كان عليه المشركون ولحال المؤمنين والقصد به الحث على طلب خير الدارين كما وعد بالثواب عليه بقوله: ﴿٢٠٢﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ ثواب ﴿من﴾ أجل ﴿مَّا كَسَبُوا۟﴾ عملوا من الحج والدعاء ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يحاسب الخلق كلهم في قَدْرِ نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك. ﴿٢٠٣﴾ ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بالتكبير عند رمي الجمرات ﴿فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ﴾ أي أيام التشريق الثلاثة ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ أي استعجل بالنفر من منى ﴿فِى يَوْمَيْنِ﴾ أي في ثاني أيام التشريق بعد رمي جماره ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بالتعجيل ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بذلك أي هم مُخيَّرون في ذلك ونفي الإثم ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الله في حجه لأنه الحاج في الحقيقة ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم. ﴿٢٠٤﴾ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ولا يعجبك في الآخرة لمخالفته لاعتقاده ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾ أنه موافق لقوله ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ شديد الخصومة لك ولأتباعك لعداوته لك وهو الأخنس بن شريق كان منافقاً حلو الكلام للنبي ﷺ يحلف أنه مؤمن به ومحب له فَيُدْنِي مَجْلِسَهُ فأكذبه الله في ذلك ومر بزرع وحُمُر لبعض المسلمين فأحرقه وعقرها ليلاً كما قال تعالى:

(١) ﴿فَلَا رَفَثَ﴾: يعني فلا جماع بلغة مذحج. (٢) ﴿أَفِيضُوا۟﴾: انفروا بلغة خزاعة.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ الآيات:

قال ابن إسحاق: حدثني إسماعيل بن أبي خالد عن أبي إسحاق عن البراء قال:

كان رسول الله يصلي نحو بيت المقدس، ويُكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله، فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ فقال رجل من المسلمين: وددنا لو علمنا عِلْمَ من مات منا قبل أن نصرف إلى القبلة، وكيف بصلاتنا قِبَلَ بيت المقدس، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾. وقال السفهاء من الناس [وهم أهل الكتاب] ما ولاَّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فأنزل الله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ إلى آخر الآية.

له طرق بنحوه. وفي «الصحيحين» عن البراء:

مات على القبلة قبل أن تحوَّل رجال وقتلوا، فلم ندر ما نقول فيهم، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾.

وأخرج ابن جرير من طريق السدي بأسانيده قال:

لما صرف النبي ﷺ نحو الكعبة بعد صلاته إلى بيت المقدس، قال المشركون من أهل مكة: تحير على محمد دينُهُ، فتوجه بقبلته إليكم وعلم أنكم أهدى منه سبيلاً، ويوشك أن يدخل في دينكم، فأنزل الله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ١٥٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ﴾

﴿٢٠٥﴾ ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ انصرف عنك ﴿سَعَىٰ﴾ مشى ﴿فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ من جملة الفساد ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ أي لا يرضى به. ﴿٢٠٦﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في فعلك ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ﴾ حملته الأنفة والحمية على العمل ﴿بِٱلْإِثْمِ﴾ الذي أمر باتقائه ﴿فَحَسْبُهُۥ﴾ كافيه ﴿جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ الفراش هي. ﴿٢٠٧﴾ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى﴾ يبيع ﴿نَفْسَهُ﴾ أي يبذلها في طاعة الله ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ رضاه، وهو «صهيب» لما آذاه المشركون هاجر إلى المدينة وترك لهم ماله ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ حيث أرشدهم لِمَا فيه رضاه. ﴿٢٠٨﴾ ونزل في عبد الله بن سلام وأصحابه لمّا عظموا السبت وكرهوا الإبل بعد الإسلام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ﴾ بفتح السين وكسرها الإسلام ﴿كَآفَّةً﴾ حال من «السِّلم» أي في جميع شرائعه ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ﴾ طرق ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ تزيينه بالتفريق ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بيّن العداوة. ﴿٢٠٩﴾ ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ ملتم عن الدخول في جميعه ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ الحجج الظاهرة على أنه حق ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء عن انتقامه منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه. ﴿٢١٠﴾ ﴿هل﴾ ما ﴿يَنظُرُونَ﴾ ينتظر التاركون الدخول فيه ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي أمره كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣] أي عذابه ﴿فِى ظُلَلٍ﴾ جمع «ظلة» ﴿مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ السحاب ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ تمّ أمر هلاكهم، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ بالبناء للمفعول [تُرجَع] والفاعل [ترجع] في الآخرة فيجازي كلاً بعمله. ﴿٢١١﴾ ﴿سَلْ﴾ يا محمد ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ تبكيتاً ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ «كم» استفهامية معلقة «سل» عن المفعول الثاني وهو ثاني مفعولي آتينا ومميزها ﴿مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ ظاهرة كفلق البحر وإنزال المن والسلوى فبدّلوها كفراً ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ أي ما أنعم به عليه من الآيات لأنها سبب الهداية ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾ كفراً ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ له. ﴿٢١٢﴾ ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ بالتمويه فأحبوها ﴿و﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ لفقرهم كبلال وعمار وصهيب أي يستهزئون بهم ويتعالَوْن عليهم بالمال ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ الشرك وهم هؤلاء ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي رزقاً واسعاً في الآخرة أو الدنيا بأن يُملِّك المسخور منهم أموال الساخرين ورقابهم. ﴿٢١٣﴾ ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على الإيمان فاختلفوا بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ إليهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ مَنْ آمن بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ مَنْ كفر بالنار ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بمعنى الكتب ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ«أنزل» ﴿لِيَحْكُمَ﴾ به ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ من الدين ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي الدين ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي الكتاب فآمن بعض وكفر بعض ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ الحجج الظاهرة على التوحيد و«من» متعلقة بـ«اختلف» وهي وما بعدها مقدم عَلى الاستثناء في المعنى ﴿بَغْيًۢا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ﴾ للبيان ﴿ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ بإرادته ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ طريق الحق. ﴿٢١٤﴾ ونزل في جَهْدِ أصاب المسلمين ﴿أم﴾ بل أ ﴿حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأْتِكُم مَّثَلُ﴾ شِبْهُ ما أتى ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من المؤمنين من المحن فتصبروا كما صبروا ﴿مَّسَّتْهُمُ﴾ جملة مستأنفة مبينة ما قبلها ﴿ٱلْبَأْسَآءُ﴾ شدة الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾ المرض ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ أزعجوا بأنواع البلاء ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ﴾ بالنصب والرفع أي قال ﴿ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ استبطاء للنصر لتناهي الشدة عليهم

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

الآية.

أخرج ابن مندة في «الصحابة» من طريق السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: قتل تميم بن الحُمَام ببدر، وفيه وفي غيره نزلت: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾ الآية: قال أبو نعيم: اتفقوا على أنه عمير بن الحمام، وأن السُّدي صحفه.

أسباب نزول الآية ١٥٨ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ الآية:

أخرج الشيخان وغيرهما عن عروة عن عائشة:

قلت: أرأيت قول الله [تعالى] ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فما أرى على أحد شيئاً أن لا يطوف بهما، فقالت عائشة: بئسما قلت يا ابن أختي، إنها لو كانت على ما أوّلتها عليه كانت: (فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما) ولكنها إنما أنزلت لأن الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية [التي كانوا يعبدونها] وكان من أهلّ لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾.

وأخرج البخاري عن عاصم بن سليمان قال:

سألت أنساً عن الصفا

(٢٠٥) ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ انصرف عنك ﴿سَعَىٰ﴾ مشى ﴿فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾ من جملة الفساد ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ أي لا يرضى به. (٢٠٦) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في فعلك ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ﴾ حملته الأنفة والحمية على العمل ﴿بِٱلْإِثْمِ﴾ الذي أمر باتقائه ﴿فَحَسْبُهُۥ﴾ كافيه ﴿جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ الفراش هي. (٢٠٧) ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى﴾ يبيع ﴿نَفْسَهُ﴾ أي يبذلها في طاعة الله ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ رضاه، وهو «صهيب» لما آذاه المشركون هاجر إلى المدينة وترك لهم ماله ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ حيث أرشدهم لِمَا فيه رضاه. (٢٠٨) ونزل في عبد الله بن سلام وأصحابه لمّا عظموا السبت وكرهوا الإبل بعد الإسلام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ﴾ بفتح السين وكسرها الإسلام ﴿كَآفَّةً﴾ حال من «السِّلم» أي في جميع شرائعه ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ﴾ طرق ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ تزيينه بالتفريق ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بيّن العداوة. (٢٠٩) ﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ ملتم عن الدخول في جميعه ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ الحجج الظاهرة على أنه حق ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء عن انتقامه منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه. (٢١٠) ﴿هل﴾ ما ﴿يَنظُرُونَ﴾ ينتظر التاركون الدخول فيه ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي أمره كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣] أي عذابه ﴿فِي ظُلَلٍ﴾ جمع «ظلة» ﴿مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ السحاب ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ تمّ أمر هلاكهم، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ بالبناء للمفعول [تُرجَع] والفاعل [تَرجِع] في الآخرة فيجازي كلاًّ بعمله. (٢١١) ﴿سَلْ﴾ يا محمد ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ تبكيتاً ﴿كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم﴾ «كم» استفهامية معلقة «سل» عن المفعول الثاني وهو ثاني مفعولي آتينا ومميزها ﴿مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ﴾ ظاهرة كفلق البحر وإنزال المن والسلوى فبدّلوها كفراً ﴿وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ أي ما أنعم به عليه من الآيات لأنها سبب الهداية ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ﴾ كفراً ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ له. (٢١٢) ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ من أهل مكة ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ بالتمويه فأحبوها ﴿و﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لفقرهم كبلال وعمار وصهيب أي يستهزئون بهم ويتعالَوْن عليهم بالمال ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ الشرك وهم هؤلاء ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي رزقاً واسعاً في الآخرة أو الدنيا بأن يُملِّك المسخور منهم أموال الساخرين ورقابهم. (٢١٣) ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على الإيمان فاختلفوا بأن آمن بعض وكفر بعض ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ إليهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ مَنْ آمن بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ مَنْ كفر بالنار ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بمعنى الكتب ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ«أنزل» ﴿لِيَحْكُمَ﴾ به ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ من الدين ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي الدين ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي الكتاب فآمن بعض وكفر بعض ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ الحجج الظاهرة على التوحيد و«من» متعلقة بـ«اختلف» وهي وما بعدها مقدم على الاستثناء في المعنى ﴿بَغْيًۢا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ﴾ للبيان ﴿ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ بإرادته ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ طريق الحق. (٢١٤) ونزل في جَهْدِ أصاب المسلمين ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأْتِكُم مَّثَلُ﴾ شِبْهُ ما أتى ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم﴾ من المؤمنين من المحن فتصبروا كما صبروا ﴿مَّسَّتْهُمُ﴾ جملة مستأنفة مبينة ما قبلها ﴿ٱلْبَأْسَآءُ﴾ شدة الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾ المرض ﴿وَزُلْزِلُواْ﴾ أزعجوا بأنواع البلاء ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ﴾ بالنصب والرفع أي قال ﴿ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ استبطاء للنصر لتناهي الشدة عليهم

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

الآية.

أخرج ابن مندة في «الصحابة» من طريق السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: قتل تميم بن الحُمَام ببدر، وفيه وفي غيره نزلت: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ﴾ الآية: قال أبو نعيم: اتفقوا على أنه عمير بن الحمام، وأن السُّدي صحفه.

أسباب نزول الآية ١٥٨ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ﴾ الآية:

أخرج الشيخان وغيرهما عن عروة عن عائشة:

قلت: أرأيت قول الله [تعالى] ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فما أرى على أحد شيئاً أن لا يطوف بهما، فقالت عائشة: بئسما قلت يا ابن أختي، إنها لو كانت على ما أوّلتها عليه كانت: (فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما) ولكنها إنما أنزلت لأن الأنصار قبل أن يسلموا كانوا يهلون لمناة الطاغية [التي كانوا يعبدونها] وكان من أهلّ لها يتحرج أن يطوف بالصفا والمروة، فسألوا عن ذلك رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنا كنا نتحرج أن نطوف بالصفا والمروة في الجاهلية، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾.

وأخرج البخاري عن عاصم بن سليمان قال:

سألت أنساً عن الصفا

﴿مَتَىٰ﴾ يأتي ﴿نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ الذي وُعِدْناه؟ فأجيبوا من قِبَل الله ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ إتيانه. (٢١٥) ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي الذي ينفقونه والسائل عمرو بن الجموح وكان شيخاً ذا مال فسأل النبي ﷺ ماذا ينفق وعلى من ينفق؟ ﴿قل﴾ لهم ﴿مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ بيان لـ «ما» شامل للقليل والكثير وفيه بيان المُنْفَق الذي هو أحد شقي السؤال وأجاب عن المصرف الذي هو الشق الآخر بقوله: ﴿فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي هم أولى به ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ﴾ إنفاق أو غيره ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ فمجاز عليه. (٢١٦) ﴿كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ للكفار ﴿وَهُوَ كُرْهٌ﴾ مكروه ﴿لَّكُمْ﴾ طبعاً لمشقته ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ لميل النفس إلى الشهوات الموجبة لهلاكها ونفورها عن التكليفات الموجبة لسعادتها فلعل لكم في القتال ـ وإن كرهتموه ـ خيراً لأن فيه إما الظفر والغنيمة أو الشهادة والأجر وفي تركه ـ وإن أحببتموه ـ شراً لأن فيه الذل والفقر وحرمان الأجر ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما هو خير لكم ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فبادروا إلى ما يأمركم به. (٢١٧) وأرسل النبي ﷺ أول سراياه وعليها عبد الله بن جحش فقاتلوا المشركين وقتلوا ابن الحضرمي آخر يوم من جمادى الآخرة والتبس عليهم برجب فعيرهم الكفار باستحلاله فنزل ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ المحرم ﴿قِتَالٍ فِيهِ ۖ﴾ بدل اشتمال ﴿قل﴾ لهم ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ﴾ عظيم وزراً مبتدأ وخبر ﴿وَصَدٌّ﴾ مبتدأ منع للناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ بالله ﴿و﴾ صد عن ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي مكة ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾ وهم النبي ﷺ والمؤمنون وخبر المبتدأ ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم وزراً ﴿عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾ من القتال فيه ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ الشرك منكم ﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ﴾ لكم فيه ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي الكفار ﴿يُقَٰتِلُونَكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿حَتَّىٰ﴾ كي ﴿يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾ إلى الكفر ﴿إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الصالحة ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ﴾ فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها والتقييد بالموت عليها يفيد أنه لو رجع إلى الإسلام لم يبطل عمله فيثاب عليه ولا يعيده كالحج مثلاً وعليه الشافعي ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. (٢١٨) ولما ظن السرية أنهم إن سلموا من الإثم فلا يحصل لهم أجر نزل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ فارقوا أوطانهم ﴿وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ﴾ ثوابه ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. (٢١٩) ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ﴾ القمار، ما حكمهما؟ ﴿قل﴾ لهم ﴿فِيهِمَآ﴾ أي في تعاطيهما ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ ۖ﴾ عظيم وفي قراءة «كثير» بالمثلثة لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ باللذة والفرح في الخمر وإصابة المال بلا كدٍّ في الميسر ﴿وَإِثْمُهُمَآ﴾ أي ما ينشأ عنهما من المفاسد ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ ولما نزلت، شربها قوم وامتنع آخرون إلى أن حرمتها آية المائدة [٩٠] ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أي ما قدره ﴿قل﴾ أنفقوا ﴿ٱلْعَفْوَ ۗ﴾ أي الفاضل عن الحاجة ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيعوا أنفسكم وفي قراءة بالرفع بتقدير هو ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما بُيِّن لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾. (٢٢٠) ﴿فِى﴾ أمر ﴿ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ﴾ فتأخذون بالأصلح لكم فيهما ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ﴾ وما يلقونه من الحرج في شأنهم فإن واكلوهم يأثموا وإن عزلوا مالهم من أموالهم وصنعوا لهم طعاماً وحدهم فحرج ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

والمروة قال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما جاء الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾

وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال:

كانت الشياطين في الجاهلية تطوف الليل أجمع بين الصفا والمروة، وكان بينهما أصنام لهم، فلما جاء الإسلام قال المسلمون: يا رسول الله، لا نطوف بين الصفا والمروة فإنه شيء كنا نصنعه في الجاهلية، فأنزل الله هذه الآية.

أسباب نزول الآية ١٥٩ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾ الآية:

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال:

سأل معاذ بن جبل، وسعد بن معاذ، وخارجة بن زيد نفراً من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة، فكتموهم إياه وأبوا أن يخبروهم، فأنزل الله فيهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ١٦٤ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية: أخرج سعيد بن منصور في «سننه»، والفريابي في «تفسيره»، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي الضحى قال: لما نزلت: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ تعجب المشركون وقالوا إله واحد: إن كان صادقاً فليأتنا بآية، فأنزل الله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ قلت: هذا معضل، لكن له شاهد: أخرج

ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في كتاب «العظمة» عن عطاء قال: نزل على النبي ﷺ بالمدينة: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ فقال كفار قريش بمكة: كيف يسع الناس إله واحد، فأنزل الله ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله - ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق جيد موصول عن ابن عباس قال: قالت قريش للنبي ﷺ: ادع الله أن يجعل لنا الصفا ذهباً، نتقوّى به على عدونا؛ فأوحى الله إليه أني معطيهم [فأجعل لهم الصفا ذهباً] ولكن إن كفروا بعد ذلك عذبتهم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، فقال: رب دعني وقومي فأدعوهم يوماً بيوم، فأنزل الله هذه الآية: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ وكيف يسألونك الصفا وهم يرون من الآيات ما هو أعظم [من الصفا].

أسباب نزول الآية ١٧٠ - قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟﴾ الآية: أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: دعا رسول الله ﷺ اليهود إلى الإسلام، ورغّبهم فيه، وحذرهم عذاب الله ونقمته، فقال رافع بن خُرَيْملة ومالك بن عوف: بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا، فهم كانوا أعلم وخيراً منا، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ١٧٤ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾

لَهُمْ﴾ في أموالهم بتنميتها ومداخلتكم ﴿خَيْرٌ﴾ من ترك ذلك ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ﴾ أي تخالطوا نفقتكم بنفقتهم ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ أي فهم إخوانكم في الدين ومن شأن الأخ أن يخالط أخاه أي فلكم ذلك ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ﴾ لأموالهم بمخالطته ﴿مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ بها فيجازي كلاً منهما ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾[1] لضيق عليكم بتحريم المخالطة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه. ﴿٢٢١﴾ ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟﴾ تتزوجوا أيها المسلمون ﴿ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ أي الكافرات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ﴾ حرة لأن سبب نزولها العيب على من تزوج أمة وترغيبه في نكاح حرة مشركة ﴿وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ﴾ لجمالها ومالها وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [المائدة: ٥] ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟﴾ تزوجوا ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي الكفار المؤمنات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ لماله وجماله ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي أهل الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ بدعائهم إلى العمل الموجب لها فلا تليق مناكحتهم ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟﴾ على لسان رسله ﴿إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أي العمل الموجب لهما ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ بإرادته فتجب إجابته بتزويج أوليائه ﴿وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون. ﴿٢٢٢﴾ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ أي الحيض أو مكانه ماذا يُفعل بالنساء فيه؟ ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ قذر أو محله ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ﴾ اتركوا وطأهن ﴿فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ أي وقته أو مكانه ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ بسكون الطاء وتشديدها [يطّهرن] والهاء وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء أي يغتسلن بعد انقطاعه ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ﴾ بتجنبه في الحيض وهو القبل ولا تعدوه إلى غيره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ﴾ يثيب ويكرم ﴿ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ من الذنوب ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ من الأقذار.

﴿٢٢٣﴾ ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ أي محل زرعكم الولد ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ﴾ أي محله وهو القبل ﴿أَنَّىٰ﴾ أي كيف ﴿شِئْتُمْ﴾ من قيام وقعود واضطجاع وإقبال وإدبار، ونزل رداً لقول اليهود: مَنْ أتى امرأته في قبلها من جهة دبرها جاء الولد أحول ﴿وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ﴾ العمل الصالح كالتسمية عند الجماع ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في أمره ونهيه ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ بالبعث فيجازيكم بأعمالكم ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين اتقوه بالجنة. ﴿٢٢٤﴾ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي الحلف به ﴿عُرْضَةً﴾ علة مانعة ﴿لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ أي نُصْباً لها بأن تكثروا الحلف به ﴿أَن﴾ لا ﴿تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ فتُكْرَه اليمين على ذلك ويسن فيه الحنث ويكفّر بخلافها على فعل البر ونحوه فهي طاعة ﴿وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ المعنى لا تمتنعوا من فعل ما ذكر من البر ونحوه إذا حلفتم عليه بل ائتوه وكفروا لأن سبب نزولها الامتناع من ذلك ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم. ﴿٢٢٥﴾ ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ﴾ الكائن ﴿فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ وهو ما سبق إليه اللسان من غير قصد الحلف نحو والله، وبلى والله فلا إثم عليه ولا كفارة ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أي قصدته من الأيمان إذا حنثتم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لما كان من اللغو ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها. ﴿٢٢٦﴾ ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾ أي يحلفون أن لا يجامعوهن ﴿تَرَبُّصُ﴾ انتظار ﴿أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَآءُو﴾ رجعوا فيها أو بعدها عن اليمين إلى الوطء ﴿فَإِنَّ

---

(١) ﴿لَأَعْنَتَكُمْ﴾: ههنا وما عنتم بآل عمران والعنت منكم بالنساء وما عنتم بالتوبة ولعنتم بالحجرات العنت الإثم بلغة هذيل.

ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما أتوه من ضرر المرأة بالحلف ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. ﴿٢٢٧﴾ ﴿وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾[1] أي عليه بأن لا يفيئوا فليوقعوه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لقولهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بعزمهم المعنى ليس لهم بعد تربص ما ذكر إلا الفيئة أو الطلاق. ﴿٢٢٨﴾ ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي لينتظرن ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ عن النكاح ﴿ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ تمضي من حين الطلاق، جمع «قرء» بفتح القاف وهو الطهر أو الحيض قولان وهذا في المدخول بهن أما غيرهن فلا عدة عليهن لقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾ [الأحزاب: ٤٩] (وفي غير الآيسة والصغيرة فعدتهن ثلاثة أشهر والحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن) كما في سورة الطلاق [٤] والإماء فعدتهن قرءان بالسنة ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ من الولد أو الحيض ﴿إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ﴾ أزواجهن ﴿أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ بمراجعتهن ولو أبين ﴿فِى ذَٰلِكَ﴾ أي في زمن التربص ﴿إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾ بينهما لا إضرار المرأة وهو تحريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة وهذا في الطلاق الرجعي «وأحق» لا تفضيل فيه إذ لا حق لغيرهم في نكاحهن في العدة ﴿وَلَهُنَّ﴾ على الأزواج ﴿مِثْلُ ٱلَّذِى﴾ لهم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ من الحقوق ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً من حسن العشرة وترك الإضرار ونحو ذلك ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ فضيلة في الحق من وجوب طاعتهن لهم لما ساقوه من المهر والإنفاق ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دبره لخلقه. ﴿٢٢٩﴾ ﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾ أي التطليق الذي يراجَعُ بعده ﴿مَرَّتَانِ﴾ أي اثنتان ﴿فَإِمْسَاكٌۢ﴾ أي فعليكم إمساكهن بعده بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرار ﴿أَوْ تَسْرِيحٌۢ﴾ أي إرسال لهن ﴿بِإِحْسَٰنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ أيها الأزواج ﴿أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهور ﴿شَيْـًٔا﴾ إذا طلقتموهن ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ﴾ أي الزوجان ﴿أ﴾ ن ﴿لا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ أي لا يأتيا بما حده لهما من الحقوق وفي قراءة «يُخافا» بالبناء للمفعول «فأن لا يقيما» بدل اشتمال من الضمير فيه وقرىء بالفوقانية في الفعلين [إلاّ أن تخافا لا تقيما] ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أ﴾ ن ﴿لا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ نفسها من المال ليطلقها أي لا حرج على الزوج في أخذه ولا الزوجة في بذله ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. ﴿٢٣٠﴾ ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الزوج بعد الثنتين ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ﴾ بعد الطلقة الثالثة ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ﴾ تتزوج ﴿زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ ويطأها كما في الحديث الذي رواه الشيخان ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ أي الزوج الثاني ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ﴾ أي الزوجة والزوج الأول ﴿أَن يَتَرَاجَعَآ﴾ إلى النكاح بعد انقضاء العدة ﴿إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ المذكورات ﴿وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون. ﴿٢٣١﴾ ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ قاربن انقضاء عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بأن تراجعوهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرار ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركوهن حتى تنقضي عدتهن ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ﴾ بالرجعة ﴿ضِرَارًا﴾ مفعول له ﴿لِّتَعْتَدُوا۟﴾ عليهن بالإلجاء إلى الافتداء والتطليق وتطويل الحبس ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ بتعريضها إلى عذاب الله ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ مهزوءاً بها بمخالفتها ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ بأن تشكروها بالعمل به ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء.

(١) ﴿عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ﴾: حققوا بلغة هذيل.

الآية: أخرج ابن جرير عن عكرمة في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ والتي في آل عمران ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ نزلتا جميعاً في يهود. وأخرج الثعلبي من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في رؤساء اليهود وعلمائهم، كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والفضل، وكانوا يرجون أن يكون النبيُّ المبعوث منهم؛ فلما بُعث محمد ﷺ من غيرهم خافوا ذهاب مآكلتهم وزوال رياستهم، فعمدوا إلى صفة محمد ﷺ فغيروها، ثم أخرجوها إليهم وقالوا: هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان، لا يشبه نعت هذا النبي، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية.

اسباب نزول الآية ١٧٧ - قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ الآية:

قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن قتادة قال:

كانت اليهود تصلي قِبَلَ المغرب، والنصارى قِبَلَ المشرق، فنزلت: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية مِثْلَهُ.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن قتادة قال:

ذكر لنا أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن البرّ، فأنزل الله هذه الآية: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟﴾، فدعا الرجل فتلاها عليه، وقد كان الرجل قبل الفرائض إذا

﴿٢٣٤﴾ ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ انقضت عدتهن ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾[1] خطاب للأولياء أي تمنعوهن من ﴿أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ المطلّقين لهن لأن سبب نزولها أنّ أخت معقل بن يسار طلقها زوجها فأراد أن يراجعها فمنعها معقل بن يسار كما رواه الحاكم ﴿إِذَا تَرَٰضَوْا﴾ أي الأزواج والنساء ﴿بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً ﴿ذَٰلِكَ﴾ النهي عن العضل ﴿يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ لأنه المنتفع به ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي ترك العضل ﴿أَزْكَىٰ﴾ خير ﴿لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لكم ولهم لما يُخشى على الزوجين من الريبة بسبب العلاقة بينهما ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما فيه المصلحة ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فاتبعوا أمره. ﴿٢٣٣﴾ ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ﴾ أي ليرضعن ﴿أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ عامين ﴿كَامِلَيْنِ﴾ صفة مؤكّدة ذلك ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ ولا زيادة عليه ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ﴾ أي الأب ﴿رِزْقُهُنَّ﴾ إطعام الوالدات ﴿وَكِسْوَتُهُنَّ﴾ على الإرضاع إذا كن مطلقات ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بقدر طاقته ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا﴾ أي بسببه بأن تُكرَه على إرضاعه إذا امتنعت ﴿وَلَا﴾ يضار ﴿مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾ أي بسببه بأن يكلف فوق طاقته وإضافة «الولد» إلى كل منهما في الموضعين للاستعطاف ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ﴾ أي وارث الأب وهو الصبي أي على وليه في ماله ﴿مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ الذي على الأب للوالدة من الرزق والكسوة، ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أي الوالدان ﴿فِصَالًا﴾ فطاماً له قبل الحولين صادراً ﴿عَن تَرَاضٍ﴾ اتفاق ﴿مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ بينهما لتظهر مصلحة الصبي فيه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ في ذلك ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمْ﴾ خطاب للآباء ﴿أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ مراضع غير الوالدات ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه ﴿إِذَا سَلَّمْتُم﴾ إليهن ﴿مَّآ ءَاتَيْتُم﴾ أي أردتم إيتاءه لهن من الأجرة ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بالجميل كطيب النفس ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يخفى عليه شيء منه. ﴿٢٣٤﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ يموتون ﴿مِنكُمْ وَيَذَرُونَ﴾ يتركون ﴿أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ أي ليتربصن ﴿بِأَنفُسِهِنَّ﴾ بعدهم عن النكاح ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ من الليالي وهذا في غير الحوامل أما الحوامل فعدتهن أن يضعن حملهن بآية «الطلاق» والأمَةُ على النصف من ذلك بالسُّنة ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ انقضت عدة تربصهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأولياء ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ﴾ من التزين والتعرض للخطّاب ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بباطنه كظاهره. ﴿٢٣٥﴾ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم﴾ لوّحتم ﴿بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ﴾ المتوفى عنهن أزواجهن في العدة كقول الإنسان مثلاً: إنك لجميلة ومن يجد مثلك؟ ورُبَّ راغب فيك ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ﴾ أضمرتم ﴿فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من قصد نكاحهن ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ بالخطبة ولا تصبرون عنهن فأباح لكم التعريض ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي نكاحاً ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ أي ما عرف شرعاً من التعريض فلكم ذلك ﴿وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ﴾ أي على عقده ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي المكتوب من العدة ﴿أَجَلَهُۥ﴾ بأن ينتهي ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من العزم وغيره ﴿فَٱحْذَرُوهُ﴾ أن يعاقبكم إذا عزمتم ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لمن يحذره ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخيره العقوبة عن مستحقها. ﴿٢٣٦﴾ ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ وفي قراءة (تُماسُوهُنّ) أي تجامعوهن ﴿أَوْ﴾ لم ﴿تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ مهراً و«ما» مصدرية ظرفية أي لا تبعة عليكم في الطلاق ـ زمن عدم

(١) ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾: تحبسوهن بلغة أزدشنوءة.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ثم مات على ذلك يرجى له ويطمع له في خير، فأنزل الله: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ وكانت اليهود توجهت قِبَلَ المغرب، والنصارى قِبَلَ المشرق.

أسباب نزول الآية ١٧٨ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ الآية:

أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال:

إن حيين من العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل، وكان بينهم قتل وجراحات حتى قتلوا العبيد والنساء، فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا، فكان أحد الحيين يتطاول على الآخر في العدد والأموال، فحلفوا أن لا يرضوا حتى يقتل بالعبد منا الحرُّ منهم، والمرأة منا الرجل منهم، فنزل فيهم: ﴿ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾.

أسباب نزول الآية ١٨٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ الآية:

أخرج ابن سعد في «طبقاته» عن مجاهد قال:

هذه الآية نزلت في مولاي قيس بن السائب: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾، فأفطر وأطعم لكل يوم مسكيناً.

أسباب نزول الآية ١٨٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ الآية:

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو الشيخ وغيرهم من طريق عن جرير بن

المسيس والفرض - بإثم ولا مهر فطلقوهن ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾ اعطوهن ما يتمتعن به ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ﴾ الغني منكم ﴿قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ﴾ الضيق الرزق ﴿قَدَرُهُۥ﴾ يفيد أنه لا نظر إلى قدر الزوجة ﴿مَتَٰعًۢا﴾ تمتيعاً ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ شرعاً صفة «متاعاً» ﴿حَقًّا﴾ صفة ثانية أو مصدر مؤكد ﴿عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين.

(٢٣٧) ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ يجب لهن ويرجع لكم النصف ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن يَعْفُونَ﴾ أي الزوجات فيتركنه ﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ وهو الزوج فيترك لها الكل وعن ابن عباس: الولي إذا كانت محجورة فلا حرج في ذلك ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟﴾ مبتدأ وخبره ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ﴾ أي أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

(٢٣٨) ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ الخمس بأدائها في أوقاتها ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ هي العصر أو الصبح أو الظهر أو غيرها أقوال وأفردها بالذكر لفضلها ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ﴾ في الصلاة ﴿قَٰنِتِينَ﴾ قيل مطيعين لقوله ﷺ: «كل قنوت في القرآن فهو طاعة»، رواه أحمد وغيره، وقيل ساكتين لحديث زيد بن أرقم: «كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت فأمرنا بالسكوت ونُهينا عن الكلام» رواه الشيخان.

(٢٣٩) ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدوٍ أو سيل أو سبع ﴿فَرِجَالًا﴾ جمع «راجل» أي مشاة صلّوا ﴿أَوْ رُكْبَانًا ۖ﴾ جمع «راكب» أي كيف أمكن مستقبلي القبلة أو غيرها ويومىء بالركوع والسجود ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمْ﴾ من الخوف ﴿فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي صلّوا ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ قبل تعليمه من فرائضها وحقوقها والكاف بمعنى «مثل» و«ما» مصدرية أو موصولة.

(٢٤٠) ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ فليوصوا ﴿وَصِيَّةً﴾ وفي قراءة بالرفع أي عليهم ﴿لِّأَزْوَٰجِهِم﴾ وليعطوهن ﴿مَّتَٰعًا﴾ ما يتمتعن به من النفقة والكسوة ﴿إِلَى﴾ تمام ﴿ٱلْحَوْلِ﴾ من موتهم الواجب عليهن تربصه ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ حال أي غير مخرجات من مسكنهن ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ بأنفسهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ يا أولياء الميت ﴿فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ﴾ شرعاً كالتزين وترك الإحداد وقطع النفقة عنها ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث وتربص الحول بآية أربعة أشهر وعشر السابقة المتأخرة في النزول والسكنى ثابتة عند الشافعي رحمه الله.

(٢٤١) ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ﴾ يُعْطَيْنَه ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بقدر الإمكان ﴿حَقًّا﴾ نُصِبَ بفعله المقدر ﴿عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ الله تعالى كرره ليعم الممسوسة أيضاً إذ الآية السابقة في غيرها.

(٢٤٢) ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما يبين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تتدبرون.

(٢٤٣) ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ استفهام تعجيب وتشويق إلى استماع ما بعده أي ألم ينته علمك ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ أربعة أو ثمانية أو عشرة أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفاً ﴿حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ مفعول له وهم قوم من بني إسرائيل وقع الطاعون ببلادهم ففروا ﴿فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟﴾ فماتوا ﴿ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۗ﴾ بعد ثمانية أيام أو أكثر بدعاء نبيهم حزقيل - بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي - فعاشوا دهراً عليهم أثر الموت لا يلبسون ثوباً إلا عاد كالكفن واستمرت في أسباطهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ ومنه إحياء هؤلاء ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال ولذا عطف عليه.

(٢٤٤) ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي لإعلاء دينه ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم فيجازيكم.

(٢٤٥) ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرْضًا

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

عبد الحميد، عن عبدة السجستاني، عن الصلت بن حكيم بن معاوية بن حيدة، عن أبيه، عن جده قال:

جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت عنه، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ الآية.

وأخرج عبد الرزاق عن الحسن قال:

سأل أصحاب رسول الله ﷺ النبي ﷺ: أين ربنا؟ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ الآية.

مرسل، وله طرق أخرى.

وأخرج ابن عساكر عن علي قال:

قال رسول الله ﷺ: لا تعجزوا عن الدعاء، فإن الله أنزل علي: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، فقال رجل: يا رسول الله، ربنا يسمع الدعاء أم كيف ذلك؟ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير عن عطاء بن أبي رباح أنه بلغه لما نزلت: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قالوا: لا نعلم أي ساعة ندعو، فنزلت: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ إلى قوله: ﴿يَرْشُدُونَ﴾.

اسباب نزول الآية ١٨٧ - قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾ الآية:

روى أحمد وأبو داود والحاكم من طريق عبد الرحمٰن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل قال:

كانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا، فإذا

حَسَنًا﴾ بأن ينفقه لله عز وجل عن طيب قلب ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ﴾ وفي قراءة «فيضعّفه» بالتشديد ﴿لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة كما سيأتي ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ﴾ يمسك الرزق عمن يشاء ابتلاء ﴿وَيَبْصُۜطُ﴾ يوسعه لمن يشاء امتحاناً ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة بالبعث فيجازيكم بأعمالكم. ﴿٢٤٦﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ﴾ الجماعة ﴿مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ﴾ موت ﴿مُوسَىٰ﴾ أي إلى قصتهم وخبرهم ﴿إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ﴾ هو شموئيل ﴿ٱبْعَثْ﴾ أقم ﴿لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ﴾ معه ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ تنتظم به كلمتنا ونرجع إليه ﴿قَالَ﴾ النبي لهم ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بالفتح والكسر ﴿إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَ﴾ ن ﴿لَّا تُقَٰتِلُوا۟﴾ خبر «عسى» والاستفهام لتقرير التوقع بها ﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ بسببهم وقتلهم وقد فعل بهم ذلك قوم جالوت أي لا مانع منه مع وجود مقتضيه قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟﴾ عنه وجبنوا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ وهم الذين عبروا النهر مع طالوت كما سيأتي ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فمجازيهم وسأل النبي ربه إرسال مَلِكٍ فأجابه إلى إرسال طالوت. ﴿٢٤٧﴾ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ لأنه ليس من سبط المملكة ولا النبوة وكان دباغاً أو راعياً ﴿وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ يستعين بها على إقامة الملك ﴿قَالَ﴾ النبي لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ﴾ اختاره للملك ﴿عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً﴾ سعة ﴿فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ وكان أعلم بني إسرائيل يومئذ وأجملهم وأتمهم خَلْقاً ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾ إيتاءه لا اعتراض عليه ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهل له. ﴿٢٤٨﴾ ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ لما طلبوا منه آية على ملكه ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾ الصندوق وكان فيه صور الأنبياء أنزله الله على آدم واستمر إليهم فغلبتهم العمالقة عليه وأخذوه وكانوا يستفتحون به على عدوهم ويقدمونه في القتال ويسكنون إليه كما قال تعالى ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ طمأنينة لقلوبكم ﴿مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ أي تركاه هما وهي نعلا موسى وعصاه وعمامة هارون وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم ورُضاض من الألواح ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ حال من فاعل «يأتيكم» ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ﴾ على ملكه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فحملته الملائكة بين السماء والأرض وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت فأقروا بملكه وتسارعوا إلى الجهاد فاختار من شبابهم سبعين ألفاً. ﴿٢٤٩﴾ ﴿فَلَمَّا فَصَلَ﴾ خرج ﴿طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ من بيت المقدس وكان الحرُّ شديداً وطلبوا منه الماء ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم﴾ مختبركم ﴿بِنَهَرٍ﴾ ليظهر المطيع منكم والعاصي وهو بين الأردن وفلسطين ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي من مائه ﴿فَلَيْسَ مِنِّى﴾ أي من أتباعي ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ﴾ يذقه ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ﴾ بالفتح والضم ﴿بِيَدِهِۦ﴾ فاكتفى بها ولم يزد عليها فإنه مني ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ﴾ لما وافوه بكثرة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ فاقتصروا على الغرفة، روي أنها كفتهم لشربهم ودوابهم وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ وهم الذين اقتصروا على الغرفة ﴿قَالُوا۟﴾ أي الذين شربوا ﴿لَا طَاقَةَ﴾ قوة ﴿لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ أي بقتالهم وجبنوا ولم يجاوزوه ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ بالبعث وهم الذين جاوزوه ﴿كَم﴾ خبرية بمعنى «كثير» ﴿مِّن فِئَةٍ﴾ جماعة ﴿قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

ناموا امتنعوا. ثم إن رجلاً من الأنصار يقال له قيس بن صِرْمَةَ صلى العشاء ثم نام، فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح، فأصبح مجهوداً؛ وكان عمر أصاب من النساء بعد ما نام، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فأنزل الله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾.

هذا الحديث مشهور عن ابن أبي ليلى، لكنه لم يسمع من معاذ، وله شواهد: فأخرج البخاري عن البراء قال:

كان أصحاب النبي ﷺ إذا كان الرجل صائماً فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صِرْمَةَ الأنصاري كان صائماً، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال: هل عندك طعام؟ فقالت: لا، ولكنني أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فغلبته عينه. وجاءته امرأته فلما رأته قالت: خيبة لك، فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ ففرحوا بها فرحاً شديداً، ونزلت: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾

وأخرج البخاري عن البراء قال: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، فكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا

كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالعون والنصر. (٢٥٠) ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ أي ظهروا لقتالهم وتصافوا ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ﴾ أصبب ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ بتقوية قلوبنا على الجهاد ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. (٢٥١) ﴿فَهَزَمُوهُم﴾ كسروهم ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ﴾ وكان في عسكر طالوت ﴿جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ﴾ أي داود ﴿ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ في بني إسرائيل ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ والنبوة بعد موت شموئيل وطالوت ولم يجتمعا لأحد قبله ﴿وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ كصنعة الدروع ومنطق الطير ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم﴾ بدل بعض من «الناس» ﴿بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ بغلبة المشركين وقتل المسلمين وتخريب المساجد ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فدفع بعضهم ببعض. (٢٥٢) ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ التأكيد بـ«إنّ» وغيرها رداً لقول الكفار له «لست مرسلاً». (٢٥٣) ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ ﴿ٱلرُّسُلُ﴾ صفة، والخبر ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ كموسى ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ أي محمداً ﷺ ﴿دَرَجَٰتٍ﴾ على غيره بعموم الدعوة وختم النبوة وتفضيل أمته على سائر الأمم والمعجزات المتكاثرة والخصائص العديدة ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ﴾ قويناه ﴿بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ جبريل يسير معه حيث سار ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لهدى الناس جميعاً ﴿مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾ بعد الرسل أي أممهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ لاختلافهم وتضليل بعضهم بعضاً ﴿وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟﴾ لمشيئته ذلك ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ﴾ ثبت على إيمانه ﴿وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ كالنصارى بعد المسيح ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ تأكيد ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من توفيق من شاء وخذلان من شاء. (٢٥٤) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ زكاته ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ﴾ فداء ﴿فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ صداقة تنفع ﴿وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ بغير إذنه وهو يوم القيامة وفي قراءة برفع الثلاثة ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ بالله أو بما فرض عليهم ﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ لوضعهم أمر الله في غير محله. (٢٥٥) ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ﴾ أي لا معبود بحق في الوجود ﴿إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ﴾ الدائم البقاء ﴿ٱلْقَيُّومُ﴾ المبالغ في القيام بتدبير خلقه ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ﴾ نعاس ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ لَهُ ﴿مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى﴾ أي لا أحد ﴿يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ له فيها ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي الخلق ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي من أمر الدنيا والآخرة ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ أي لا يعلمون شيئاً من معلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ أن يُعْلِمَهُم به منها بإخبار الرسل ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قيل أحاط علمه بهما وقيل ملكه وقيل الكرسي نفسه مشتمل عليهما لعظمته، لحديث: «ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة ألقيت في ترس» ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ يثقله ﴿حِفْظُهُمَا﴾ أي السموات والأرض ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ الكبير. (٢٥٦) ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ على الدخول فيه ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ أي ظهر بالآيات البينات أن الإيمان رشد والكفر غي نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد أراد أن يكرههم على الإسلام ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ الشيطان أو الأصنام وهو يُطْلَق على المفرد والجمع ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ﴾ تمسك ﴿بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ بالعقد المحكم ﴿لَا ٱنفِصَامَ﴾ انقطاع ﴿لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لما يقال ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يفعل. (٢٥٧) ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ﴾ ناصر ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ﴾

عَنكُمْ﴾. وأخرج أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال:

كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فأمسى فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتى يفطر من الغد، فرجع عمر من عند النبي ﷺ وقد سمر عنده، فأراد امرأته فقالت: إني قد نمت، قال: ما نمت، ووقع عليها؛ وصنع كعب مثل ذلك. فغدا عمر إلى النبي ﷺ فأخبره، فنزلت الآية.

قوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾.

روى البخاري عن سهل بن سعد قال أنزلت: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ ولم ينزل ﴿مِّنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود؛ فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بَعْدُ: ﴿مِّنَ ٱلْفَجْرِ﴾ فعلموا أنما يعني الليل والنهار.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ﴾:

أخرج ابن جرير عن قتادة قال: كان الرجل إذا اعتكف فخرج من المسجد جامع إن شاء، فنزلت: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾.

اسباب نزول الآية ١٨٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟﴾ الآية:

أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال:

إن امرأ القيس بن عابس وعبدان بن أشوع الحضرميّ اختصما في أرض، وأراده امرؤ القيس أن يحلف، ففيه نزلت:

الكفر ﴿إِلَى ٱلنُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ذِكْرُ الإخراج. إما في مقابلة قوله: «يخرجهم من الظلمات»، أو: في كل من آمن بالنبي قبل بعثته من اليهود ثم كفر به ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. ﴿٢٥٨﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ﴾ جادل ﴿إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ لـ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ أي حمله بطره بنعمة الله على ذلك وهو «نمروذ» ﴿إِذْ﴾ بدل من «حاج» ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ لما قال له: من ربك الذي تدعونا إليه؟ ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ أي يخلق الحياة والموت في الأجساد ﴿قَالَ﴾ هو ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ بالقتل والعفو عنه ودعا برجلين فقتل أحدهما وترك الآخر فلما رآه غبياً ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ﴾ منتقلاً إلى حجة أوضح منها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا﴾ أنت ﴿مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ تحيَّرَ ودَهِشَ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بالكفر إلى مَحَجَّةِ الاحتجاج. ﴿٢٥٩﴾ ﴿أَوْ﴾ رأيت ﴿كَٱلَّذِى﴾ الكاف زائدة ﴿مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ هي بيت المقدس راكباً على حمار ومعه سلة تين وقدح عصير وهو «عزير» ﴿وَهِىَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ سقوفها لما خرَّبها بختنصر ﴿قَالَ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾؟ استعظاماً لقدرته تعالى ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ﴾ وألبثه ﴿مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ أحياه ليريه كيفية ذلك ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ مكثت هنا؟ ﴿قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنه نام أول النهار فقُبِضَ وأُحيي عند الغروب فظن أنه يوم النوم ﴿قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ﴾ التين ﴿وَشَرَابِكَ﴾ العصير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ لم يتغير مع طول الزمان و«الهاء» قيل أصل من «سانَهْتُ» وقيل للسكت من «سانَيْتُ» وفي قراءة بحذفها ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ كيف هو؟ فرآه ميتاً وعظامه بيض تلوح! فعلنا ذلك لتعلم ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً﴾ على البعث ﴿لِّلنَّاسِ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ﴾ من حمارك ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ نحييها بضم النون وقرىء بفتحها من «أنشر» و«نشر» ـ لغتان ـ وفي قراءة: «نُنْشِزُها» بضم النون والزاي أي نُحَرِّكُها ونَرْفَعُها ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ فنظر إليها وقد تركبت وكسيت لحماً ونفخ فيه الروح ونهق ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ﴾ ذلك بالمشاهدة ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ علم مشاهدة ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ وفي قراءة «اعْلَمْ» أمرٌ من الله له. ﴿٢٦٠﴾ ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ﴾ تعالى له ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ بقدرتي على الإحياء؟ سأله مع علمه بإيمانه بذلك ليجيبه بما سأل فيعلم السامعون غرضه ﴿قَالَ بَلَىٰ﴾ آمنت ﴿وَلَٰكِن﴾ سألتك ﴿لِّيَطْمَئِنَّ﴾ يسكن ﴿قَلْبِى﴾ بالمعاينة المضمومة إلى الاستدلال ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ بكسر الصاد وضمها أملهن إليك وقطعهن واخلط لحمهن وريشهن ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ من جبال أرضك ﴿مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ﴾ إليك ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ سريعاً ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه فأخذ طاووساً ونسراً وغراباً وديكاً وفعل بهن ما ذكر وأمسك رؤوسهن عنده ودعاهن فتطايرت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت ثم أقبلت إلى رؤوسها. ﴿٢٦١﴾ ﴿مَّثَلُ﴾ صفة نفقات ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي طاعته ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ فكذلك نفقاته تُضاعَف لسبعمائة ضعف ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ﴾ أكثر من ذلك ﴿لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق المضاعفة. ﴿٢٦٢﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا﴾ على المنفق عليه بقولهم مثلاً: قد أحسنت إليه وجبرت حاله ﴿وَلَآ أَذًى﴾ له بذكر ذلك إلى من لا يحب وقوفه عليه ونحوه ﴿لَّهُمْ

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾.

أسباب نزول الآية ١٨٩ ـ قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾:

أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: سأل الناس رسول الله ﷺ عن الأهلة فنزلت هذه الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: بلغنا أنهم قالوا: يا رسول الله، لِمَ خلقت الأهلة؟ فأنزل الله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾.

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر في «تاريخ دمشق» من طريق السدي الصغير، عن الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس:

أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنمة قالا: يا رسول الله، ما بالُ الهلالِ يبدو، أو يطلع دقيقاً، مثل الخيط، ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما كان، لا يكون على حال واحدة؟ فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ﴾ الآية:

روى البخاري عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره، فأنزل الله ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، عن جابر قال:

كانت قريش تُدْعَى الحُمْسَ، وكانوا يدخلون من الأبواب في الإحرام، وكانت الأنصار وسائر العرب لا يدخلون من باب في الإحرام، فبينا رسول الله ﷺ في

أَجْرُهُمْ﴾ ثواب إنفاقهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة. ﴿٢٦٢﴾ ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ كلام حسن وردٌ على السائل جميل ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ له في إلحاحه ﴿خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ بالمن وتعيير له بالسؤال ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن صدقة العباد ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن المان والمؤذي. ﴿٢٦٣﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم﴾ أي أجورها ﴿بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ إبطالاً ﴿كَٱلَّذِى﴾ أي كإبطال نفقة الذي ﴿يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ مرائياً لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ وهو المنافق ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ مطر شديد ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾[1] صلباً أملس لا شيء عليه ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ استئناف لبيان مثل المنافق المنفق رئاء الناس وجُمِعَ الضمير باعتبار معنى «الذي» ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ عملوا أي لا يجدون له ثواباً في الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لإذهاب المطر له ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. ﴿٢٦٤﴾ ﴿وَمَثَلُ﴾ نفقات ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي تحقيقاً للثواب عليه بخلاف المنافقين الذين لا يرجونه لإنكارهم له، و«من» ابتدائية ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ﴾ بستان ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ بضم الراء وفتحها مكان مرتفع مستو ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ﴾ أعطت ﴿أُكُلَهَا﴾ بضم الكاف وسكونها ثمرها ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ مثل ما يثمر غيرها ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ مطر خفيف يصيبها ويكفيها لارتفاعها، المعنى: تثمر وتزكو كَثُرَ المطر أم قَلَّ فكذلك نفقات من ذكر تزكو عند الله كثرت أم قلت ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به. ﴿٢٦٥﴾ ﴿أَيَوَدُّ﴾ أيحب ﴿أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا﴾ ثمر ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ و﴾ قد ﴿أَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ﴾ فضعف من الكِبَرِ عن الكسب ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ أولاد صغار لا يقدرون عليه ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ﴾ ريح شديدة ﴿فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ ففقدها أحوج ما كان إليها وبقي هو وأولاده عجزة متحيرين لا حيلة لهم وهذا تمثيل لنفقة المرائي والمان في ذهابها وعدم نفعها أحوج ما يكون إليها في الآخرة والاستفهام بمعنى النفي، وعن ابن عباس: هو الرجل عمل بالطاعات ثم بُعِثَ له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بين ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فتعتبرون. ﴿٢٦٦﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟﴾ أي زكوا ﴿مِن طَيِّبَٰتِ﴾ جياد ﴿مَا كَسَبْتُمْ﴾ من المال ﴿و مـ﴾ـن طيبات ﴿مـا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ من الحبوب والثمار ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟﴾ تقصدوا ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾ الرديء ﴿مِنْهُ﴾ أي من المذكور ﴿تنفقون﴾ ـه في الزكاة حال من ضمير «تيمموا» ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ أي الخبيث لو أُعطيتموه في حقوقكم ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ بالتساهل وغض البصر فكيف تؤدون منه حق الله؟ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ عن نفقاتكم ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود على كل حال. ﴿٢٦٧﴾ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ﴾ يخوفكم به إن تصدقتم فتمسكون ﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ البخل ومنع الزكاة ﴿وَٱللَّهُ يَعِدُكُم﴾ على الإنفاق ﴿مَّغْفِرَةً مِّنْهُ﴾ لذنوبكم ﴿وَفَضْلًا﴾ رزقاً خلفاً منه ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بالمنفق. ﴿٢٦٩﴾ ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ﴾ أي العلم النافع المؤدي إلى العمل ﴿مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ لمصيره إلى السعادة الأبدية ﴿وَمَا

(١) ﴿صَلْدًا﴾: نقيًا بلغة هذيل.

بستان إذ خرج من بابه وخرج معه قُطْبَةُ بن عامر الأنصاري، فقالوا: يا رسول الله، إن قطبة بن عامر رجل فاجر، وإنه خرج معك من الباب، فقال له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: رأيتك فعلته ففعلت كما فعلت، قال: إني رجل أحمسي، قال له: فإن ديني دينك، فأنزل الله: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس نحوه. وأخرج الطيالسي في «مسنده» عن البراء قال:

كانت الأنصار إذا قدموا من سفرهم لم يدخل الرجل من قِبَلِ بابه، فنزلت هذه الآية.

وأخرج عبد بن حميد عن قيس بن حبتر النهشلي قال:

كانوا إذا أحرموا لم يأتوا بيتاً من قِبَلِ بابه، وكانت الحُمْس بخلاف ذلك، فدخل رسول الله حائطاً ثم خرج من بابه، فاتبعه رجل يقال له رفاعة بن تابوت، ولم يكن من الحُمْسِ، فقالوا: يا رسول الله، نافق رفاعة، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قالت: تبعتك، فقال: إني من الحُمْسِ، قال: فإن ديننا واحد، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾.

أسباب نزول الآية ١٩٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾:

أخرج الواحدي من طريق الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال:

نزلت هذه الآية في صلح الحديبية، وذلك أن رسول الله

يَذَّكَّرُ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال يتعظ ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أصحاب العقول. ﴿٢٧٠﴾ ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ﴾ أديتم من زكاة أو صدقة ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ فوفيتم به ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ فيجازيكم عليه ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ بمنع الزكاة والنذر أو بوضع الإنفاق في غير محله في معاصي الله ﴿مِنْ أَنصَارٍ﴾ مانعين لهم من عذابه. ﴿٢٧١﴾ ﴿إِن تُبْدُواْ﴾ تظهروا ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ أي النوافل ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾ أي نعم شيئاً إبداؤها ﴿وَإِن تُخْفُوهَا﴾ تسروها ﴿وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من إبدائها وإيتائها الأغنياء. أما صدقة الفرض فالأفضل إظهارها ليُقتدىٰ به ولئلا يتهم، وإيتاؤها الفقراء متعين ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بالياء والنون مجزوماً بالعطف على محل «فهو» مرفوعاً على الاستئناف ﴿عَنكُم مِّن﴾ بعض ﴿سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بباطنه كظاهره لا يخفى عليه شيء منه. ﴿٢٧٢﴾ ولما منع ﷺ من التصدق على المشركين ليسلموا نزل ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ أي الناس إلى الدخول في الإسلام إنما عليك البلاغ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ هدايته إلى الدخول فيه ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ مال ﴿فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ لأن ثوابه لها ﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾ أي ثوابه لا غيره من أعراض الدنيا خبر بمعنى النهي ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ تُنقَصون منه شيئاً والجملتان تأكيد للأولى. ﴿٢٧٣﴾ ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي الصدقات ﴿ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي حبسوا أنفسهم على الجهاد. نزلت في أهل الصُّفَّة وهم أربعمائة من المهاجرين أرصدوا لتعلم القرآن والخروج مع السرايا ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾ سفراً ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ أي لتعففهم عن السؤال وتركه ﴿تَعْرِفُهُم﴾ يا مخاطب ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾ علامتهم من التواضع وأثر الجَهْدِ ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ﴾ شيئاً فيُلحفون ﴿إِلْحَافًا﴾ أي لا سؤال لهم أصلاً فلا يقع منهم إلحاف وهو الإلحاح ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ فمجاز عليه. ﴿٢٧٤﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. ﴿٢٧٥﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ أي يأخذونه وهو الزيادة في المعاملة بالنقود والمطعومات في القَدْر أو الأجل ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ من قبورهم ﴿إِلَّا﴾ قياماً ﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ﴾ يصرعه ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ الجنون، متعلق بـ «يقومون» ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي نزل بهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ في الجواز وهذا من عكس التشبيه مبالغة فقال تعالى رداً عليهم ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ﴾ بلغه ﴿مَوْعِظَةٌ﴾ وعظ ﴿مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ﴾ عن أكله ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ قبل النهي أي لا يسترد منه ﴿وَأَمْرُهُۥٓ﴾ في العفو عنه ﴿إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ﴾ إلى أكله مشبهاً له بالبيع في الحلّ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. ﴿٢٧٦﴾ ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ ينقصه ويذهب بركته ﴿وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ يزيدها وينمّيها ويضاعف ثوابها ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ بتحليل الربا ﴿أَثِيمٍ﴾ فاجر أي بأكله أي يعاقبه. ﴿٢٧٧﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. ﴿٢٧٨﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ﴾ اتركوا ﴿مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ صادقين في إيمانكم فإن من شأن المؤمنين امتثال أمر الله تعالى، نزلت لما طالب بعض الصحابة بعد النهي برباً كان لهم

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

ﷺ لما صد عن البيت [هو وأصحابه، نحر الهدي بالحديبية] ثم صالحه المشركون على أن يرجع عامَهُ [ثم يأتي] القابلَ [على أن يُخلُوا له مكة ثلاثة أيام، فيطوف بالبيت ويفعل ما يشاء، وصالحهم رسول الله ﷺ؛] فلما كان العام القابل تجهز [رسول الله ﷺ] هو وأصحابه لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تَفِيَ قريش بذلك، وأن يصدوهم عن المسجد الحرام ويقاتلوهم، وكره أصحابه قتالهم في الشهر الحرام، فأنزل الله ذلك.

أسباب نزول الآية ١٩٤ - وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: أقبل نبي الله ﷺ وأصحابه معتمرين في ذي القعدة ومعهم الهدي، حتى إذا كانوا بالحديبية صدهم المشركون، وصالحهم النبي ﷺ على أن يرجع من عامه ذلك، ثم يرجع من العام المقبل؛ فلما كان العام المقبل أقبل وأصحابه حتى دخلوا مكة معتمرين في ذي القعدة، فأقام فيها ثلاثَ ليالٍ، وكان المشركون قد فَخَروا عليه حين ردوه، فأقصه الله منهم فأدخله مكة في ذلك الشهر الذي كانوا ردوه فيه، فأنزل الله: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾.

أسباب نزول الآية ١٩٥ - قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾.

روى البخاري عن حذيفة قال: نزلت الآية في النفقة.

وأخرج أبو داود والترمذي وصححه وابن حبان والحاكم وغيرهم عن أبي أيوب

قبل. (٢٧٩) ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا﴾ ما أمرتم به ﴿فَأْذَنُوا﴾ اعلموا ﴿بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ لكم فيه تهديد شديد لهم ولما نزلت قالوا: لا يَدَيْ لنا بحربه ﴿وَإِن تُبْتُمْ﴾ رجعتم عنه ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ﴾ أصول ﴿أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ﴾ بزيادة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بنقص.

(٢٨٠) ﴿وَإِن كَانَ﴾ وقع غريم ﴿ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ﴾ له أي عليكم تأخيره ﴿إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ بفتح السين وضمها أي وقت يسر ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا﴾ بالتشديد على إدغام التاء في الأصل في الصاد [تصّدّقوا] وبالتخفيف على حذفها [تصدّقوا] أي تتصدقوا على المعسر بالإبراء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير فافعلوه في الحديث (من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله) رواه مسلم.

(٢٨١) ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ﴾ بالبناء للمفعول [تُرجَعون] تردون وللفاعل [ترجِعون] تصيرون ﴿فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة.

(٢٨٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم﴾ تعاملتم ﴿بِدَيْنٍ﴾ كسَلَم وقرض ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ معلوم ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ استيثاقاً ودفعاً للنزاع ﴿وَلْيَكْتُب﴾ كتاب الدين ﴿بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ بالحق في كتابته لا يزيد في المال والأجل ولا ينقص ﴿وَلَا يَأْبَ﴾ يمتنع ﴿كَاتِبٌ﴾ من ﴿أَن يَكْتُبَ﴾ إذا دعي إليها ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أي فضله بالكتابة فلا يبخل بها والكاف متعلقة بـ«يأب» ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ تأكيد ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾ يُمْلِ الكاتب ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ الدين لأنه المشهود عليه فيُقِرُّ ليُعْلَم ما عليه ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في إملائه ﴿وَلَا يَبْخَسْ﴾ ينقص ﴿مِنْهُ﴾ أي الحق ﴿شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾ مبذراً ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ عن الإملاء لصغر أو كبر ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ﴾ لخرس أو جهل باللغة أو نحو ذلك ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ﴾ متولي أمره من والد ووصي وقيّم ومترجم ﴿بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا﴾ أشهدوا على الدين ﴿شَهِيدَيْنِ﴾ شاهدين ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ أي بالغي المسلمين الأحرار ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا﴾ أي الشهيدان ﴿رَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ يشهدون ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ لدينه وعدالته وتعدد النساء لأجل ﴿أَن تَضِلَّ﴾ تنسى ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ الشهادة لنقص عقلهن وضبطهن ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ الذاكرة ﴿الْأُخْرَىٰ﴾ الناسية وجملة الإذكار محل العلة أي لتذكر إن ضلت ودخلت على الضلال لأنه سببه وفي قراءة بكسر «إن» شرطية ورفع «تذكر» استئناف جوابه ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا﴾ زائدة ﴿دُعُوا﴾ إلى تحمل الشهادة وأدائها ﴿وَلَا تَسْئَمُوا﴾ تملوا من ﴿أَن تَكْتُبُوهُ﴾ أي ما شهدتم عليه من حق لكثرة وقوع ذلك ﴿صَغِيرًا﴾ كان ﴿أَوْ كَبِيرًا﴾ قليلاً أو كثيراً ﴿إِلَىٰ أَجَلِهِ﴾ وقت حلوله حال من الهاء في «تكتبوه» ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي الكتب ﴿أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أي أعون على إقامتها لأنه يذكرها ﴿وَأَدْنَىٰ﴾ أقرب إلى ﴿أَ﴾ ن ﴿لا تَرْتَابُوا﴾ تشكوا في قدر الحق والأجل ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ﴾ تقع ﴿تِجَارَةً حَاضِرَةً﴾ وفي قراءة بالنصب «فتكون» ناقصة واسمها ضمير التجارة ﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أي تقبضونها ولا أجل فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَ﴾ ن ﴿لا تَكْتُبُوهَا﴾ والمراد بها المتَّجر فيه ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ عليه فإنه أدفع للاختلاف وهذا وما قبله أمر ندب

الأنصاري قال:

نزلت الآية فينا معشرَ الأنصار، لما أعز الله الإسلام، وكثر ناصروه قال بعضنا لبعض سراً: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله يرد علينا ما قلنا: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ فكانت التهلكة: الإقامة على أموالنا وإصلاحها وتركنا الغزو.

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن أبي جبيرة بن الضحاك قال:

كانت الأنصار يتصدقون ويعطون ما شاء الله، فأصابتهم سنة فأمسكوا، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ الآية.

وأخرج أيضاً بسند صحيح عن النعمان بن بشير قال: كان الرجل يذنب الذنب فيقول: لا يغفر لي، فأنزل الله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.

وله شاهد عن البراء أخرجه الحاكم.

أسباب نزول الآية ١٩٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾:

أخرج ابن أبي حاتم عن صفوان بن أمية قال:

جاء الرجل إلى النبي ﷺ متضمخاً بالزعفران عليه جبة فقال: كيف تأمرني يا رسول الله في عمرتي؟ فأنزل الله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ فقال: أين السائل عن العمرة؟ قال: ها أنا ذا، فقال له: ألق عنك ثيابك، ثم اغتسل واستنشق ما استطعت، ثم ما كنت صانعاً في حجك فاصنعه في عمرتك.

قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ

﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ صاحب الحق ومن عليه بتحريف أو امتناع من الشهادة أو الكتابة ولا يضرهما صاحب الحق بتكليفهما ما لا يليق في الكتابة والشهادة ﴿وَإِن تَفْعَلُوا﴾ ما نُهيتم عنه ﴿فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ﴾ خروج عن الطاعة لاحِقٌ ﴿بِكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ﴾ في أمره ونهيه ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ مصالح أموركم حال مقدرة أو مستأنف ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(١٨٣) ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي مسافرين وتداينتم ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ﴾ وفي قراءة فرهان جمع «رَهْن» ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ تستوثقون بها وبينت السنة جواز الرهن في الحضر ووجود الكاتب فالتقييد بما ذكر لأن التوثيق فيه أشد وأفاد قوله: «مقبوضة» اشتراط القبض في الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي الدائن والمدين على حقه فلم يرتهن ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ﴾ أي المدين ﴿أَمَٰنَتَهُۥ﴾ دينه ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ في أدائه ﴿وَلَا تَكْتُمُوا ٱلشَّهَٰدَةَ﴾ إذا دُعيتم لإقامتها ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ خص بالذكر لأنه محل الشهادة ولأنه إذا أثم تبعه غيره فيعاقب عليه معاقبة الآثمين ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء منه.

(١٨٤) ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا﴾ تظهروا ﴿مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ من السوء والعزم عليه ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تسروه ﴿يُحَاسِبْكُم﴾ يخبركم ﴿بِهِ ٱللَّهُ﴾ يوم القيامة ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه والفعلان بالجزم عطف على جواب الشرط والرفع أي فهو ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه محاسبتكم وجزاؤكم.

(١٨٥) ﴿ءَامَنَ﴾ صدّق ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ من القرآن ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف عليه ﴿كُلٌّ﴾ تنوينه عوض من المضاف إليه ﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ﴾ بالجمع والإفراد [وكتابه] ﴿وَرُسُلِهِۦ﴾ يقولون ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ أي ما أمرنا به سماع قبول ﴿وَأَطَعْنَا﴾ نسألك ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع بالبعث، ولما نزلت الآية قبلها شكا المؤمنون من الوسوسة وشق عليهم المحاسبة بها فنزل:

(١٨٦) ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي ما تسعه قدرتها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير أي ثوابه ﴿وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ من الشر أي وزره ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد ولا بما يكسبه مما وسوست به نفسه وقالوا ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ بالعقاب ﴿إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ تركنا الصواب لا عن عمد كما آخذت به مَنْ قبلنا وقد رفع الله ذلك عن هذه الأمة كما ورد في الحديث فسؤاله اعتراف بنعمة الله ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ أمراً يثقل علينا حمله ﴿كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ أي بني إسرائيل من قتل النفس في التوبة وإخراج ربع المال في الزكاة وقرض موضع النجاسة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ﴾ قوة ﴿لَنَا بِهِۦ﴾ من التكاليف والبلاء ﴿وَٱعْفُ عَنَّا﴾ امح ذنوبنا ﴿وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا﴾ سيدنا ومتولي أمورنا ﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ بإقامة الحجة والغلبة في قتالهم فإن من شأن المولى أن ينصر مواليه على الأعداء، وفي الحديث: (لما نزلت هذه الآية فقرأها ﷺ قيل له عقب كل كلمة: «قد فعلتُ»).

أبواب النزول في أسباب النزول
سورة البقرة

﴿مِنكُم مَّرِيضًا﴾ الآية:

روى البخاري عن كعب بن عُجْرَةَ أنه سئل عن قوله: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ﴾ قال:

حملت إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: ما كنت أرى الجهد بلغ بك هذا، أما تجد شاة؟ قلت: لا. قال: صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام، واحلق رأسك، فنزلت في خاصة وهي لكم عامة.

وأخرج أحمد عن كعب قال:

كنا مع النبي ﷺ بالحديبية ونحن محرمون وقد حصر المشركون، وكانت لي وَفْرَةٌ، فجعلت الهوام تساقط على وجهي، فمر بي النبي ﷺ فقال: أيؤذيك هوام رأسك؟ فأمره أن يحلق، قال: ونزلت هذه الآية ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾.

وأخرج الواحدي من طريق عطاء عن ابن عباس قال:

لما نزلنا الحديبية جاء كعبُ بن عُجْرَةَ تنتثر هوام رأسه على وجهه، فقال: يا رسول الله، هذا القمل قد أكلني [قال: احلق وافده. قال: فحلق كعب ونحر بقرة] فأنزل الله في ذلك الموقف ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ١٩٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا﴾ الآية:

روى البخاري وغيره عن ابن عباس قال:

كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن

٣ ـ سورة آل عمران

مدنية وآياتها مائتان أو إلا آية نزلت بعد الأنفال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

(١) ﴿الٓمٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. (٢) ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾. (٣) ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن متلبساً ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ بالصدق في أخباره ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾. (٤) ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي قبل تنزيله ﴿هُدًى﴾ حال بمعنى هاديين من الضلالة ﴿لِّلنَّاسِ﴾ ممن تبعهما وعبر فيهما بـ«أنزل» وفي القرآن بـ«نزّل» المقتضي للتكرير لأنهما أنزلا دفعة واحدة بخلافه ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ بمعنى الكتب الفارقة بين الحق والباطل وذِكْرُهُ بعد ذكر الثلاثة ليعم ما عداها. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن وغيره ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره فلا يمنعه شيء من إنجاز وعده ووعيده ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ عقوبة شديدة ممن عصاه لا يقدر على مثلها أحد. (٥) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ﴾ كائن ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ لعلمه بما يقع في العالم من كُلّي وجزئي وخصهما بالذكر لأن الحس لا يتجاوزهما. (٦) ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ من ذكورة وأنوثة وبياض وسواد وغير ذلك ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه. (٧) ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ واضحات الدلالة ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أصله المعتمد عليه في الأحكام ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ لا تفهم معانيها كأوائل السور وجعله كله محكماً في قوله: ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١] بمعنى أنه ليس فيه عيب، ومتشابهاً في قوله: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣] بمعنى أنه يشبه بعضه بعضاً في الحسن والصدق ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ ميل عن الحق ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ﴾ طلب ﴿ٱلْفِتْنَةِ﴾ لجُهّالهم بوقوعهم في الشبهات واللبس ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ تفسيره ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾ تفسيره ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ وحده ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ الثابتون المتمكنون ﴿فِى ٱلْعِلْمِ﴾ مبتدأ خبره ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي بالمتشابه أنه من عند الله ولا نعلم معناه ﴿كُلٌّ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال أي يتعظ ﴿إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أصحاب العقول ويقولون أيضاً إذا رأوا من يتبعه: (٨) ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ تُمِلْها عن الحق ابتغاء تأويله الذي لا يليق بنا كما أزغت قلوب أولئك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أرشدتنا إليه ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿رَحْمَةً﴾ تثبيتاً ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾. (٩) يا ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ﴾ تجمعهم ﴿لِيَوْمٍ﴾ أي في يوم ﴿لَّا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ﴾ هو يوم القيامة فتجازيهم بأعمالهم كما وعدت بذلك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ موعده بالبعث فيه التفات عن الخطاب ويحتمل أن يكون من كلامه تعالى والغرض من الدعاء بذلك بيان أن همّهم أمر الآخرة ولذلك سألوا الثبات على الهداية لينالوا ثوابها، روى الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات﴾ إلى آخرها وقال «فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه

متوكلون، [فإذا قدموا مكة سألوا الناس] فأنزل الله: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾

أسباب نزول الآية ١٩٨ ـ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ الآية:

روى البخاري عن ابن عباس قال:

كانت عُكاظُ ومَجَنَّةُ وذو المَجَازِ أسواقاً في الجاهلية، فتأثموا أن يتّجِروُا في الموسم، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ في مواسم الحج.

وأخرج أحمد وابن أبي حاتم وابن جرير والحاكم وغيرهم من طرق عن أبي أمامة التيمي قال:

قلت لابن عمر: إنا نُكْرِي فهل لنا من حج؟ فقال ابن عمر: جاء رجل إلى النبي ﷺ فسأله عن الذي سألتني عنه، فلم يجبه حتى نزل عليه جبريل بهذه الآية: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فدعاه النبي ﷺ فقال: أنتم حجاج.

أسباب نزول الآية ١٩٩ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟﴾:

أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال:

كانت العرب تقف بعرفة، وكانت قريش تقف دون ذلك بالمزدلفة، فأنزل الله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾.

وأخرج ابن المنذر عن أسماء بنت أبي بكر قالت:

كانت قريش يقفون بالمزدلفة، ويقف الناس بعرفة

منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم» وروى الطبراني في الكبير عن أبي موسى الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول «ما أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال» وذكر منها «أن يُفْتَح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله وليس يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذّكر إلا أولو الألباب» الحديث. ﴿١٠﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ﴾ تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي عذابه ﴿شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ بفتح الواو ما توقد به. ﴿١١﴾ دأبهم ﴿كَدَأْبِ﴾ كعادة ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ﴾[1] من الأمم كعاد وثمود ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِمْ ۗ﴾ والجملة مفسرة لما قبلها ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ ونزل لما أمر النبي ﷺ اليهود بالإسلام بعد مرجعه من بدر فقالوا له: لا يغرنك إن قتلت نفراً من قريش أغماراً لا يعرفون القتال: ﴿١٢﴾ ﴿قل﴾ يا محمد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ من اليهود ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾ بالتاء والياء في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية وقد وقع ذلك ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ بالوجهين في الآخرة ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۖ﴾ فتدخلونها ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ الفراش هي. ﴿١٣﴾ ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ عبرة وذُكِّر الفعل للفصل ﴿فِى فِئَتَيْنِ﴾ فرقتين ﴿ٱلْتَقَتَا ۖ﴾ يوم بدر للقتال ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي طاعته، وهم النبي وأصحابه وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً معهم فَرَسَان وست أدرع وثمانية سيوف وأكثرهم رجالة ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم﴾ أي الكفار ﴿مِّثْلَيْهِمْ﴾ أي المسلمين أي أكثر منهم وكانوا نحو ألف ﴿رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ﴾ أي رؤية ظاهرة معاينة وقد نصرهم الله مع قلتهم ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ﴾ يقوي ﴿بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ﴾ نصره ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ لذوي البصائر أفلا تعتبرون فتؤمنون؟. ﴿١٤﴾ ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ ما تشتهيه النفس وتدعو إليه، زينها الله ابتلاء أو الشيطان ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ﴾ الأموال الكثيرة ﴿ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ المجمعة ﴿مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ الحسان ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي الإبل والبقر والغنم ﴿وَٱلْحَرْثِ ۗ﴾ الزرع ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ يتمتع به فيها ثم يفنى ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ المرجع وهو الجنة فينبغي الرغبة فيه دون غيره. ﴿١٥﴾ ﴿قل﴾ يا محمد لقومك ﴿أَؤُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ﴾ المذكور من الشهوات؟ استفهام تقرير ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ الشرك ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ خبر مبتدؤه ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾ أي مقدرين الخلود ﴿فِيهَا﴾ إذا دخلوها ﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ من الحيض وغيره مما يستقذر ﴿وَرِضْوَٰنٌ﴾ بكسر أوله وضمه لغتان أي رضا كثير ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ﴾ عالم ﴿بِٱلْعِبَادِ﴾ فيجازي كلاً منهم بعمله. ﴿١٦﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت أو بدل من «الذين» قبله ﴿يَقُولُونَ﴾ يا ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾ صدقنا بك وبرسولك ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾. ﴿١٧﴾ ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على الطاعة وعن المعصية نعت ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الإيمان ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ المطيعين لله ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾ المتصدقين ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ الله بأن يقولوا اللهم اغفر لنا ﴿بِٱلْأَسْحَارِ﴾ أواخر الليل خصت بالذكر لأنها وقت الغفلة ولذة النوم. ﴿١٨﴾ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ بيّن لخلقه بالدلائل والآيات ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ﴾ أي لا معبود في الوجود بحق ﴿إِلَّا هُوَ وَ﴾ شهد بذلك ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ بالإقرار ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد

(١) قوله: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾: يعني كأشباه بلغة جرهم.

إلا شيبة بن ربيعة، فأنزل الله: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾

أسباب نزول الآية ٢٠٠ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم﴾ الآية:

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال:

كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم، يقول الرجل منهم: كان أبي يطعم، ويحمل الحمالات، ويحمل الديات، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم، فأنزل الله: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال:

كانوا إذا قضوا مناسكهم وقفوا عند الجمرة، وذكروا آباءهم في الجاهلية، وفعال آبائهم، فنزلت هذه الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال:

كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف، فيقولون: اللهمَّ اجعله عام غيث، وعام خصب، وعام ولاء وحسن، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئاً، فأنزل الله فيهم: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ ويجيء بعدهم آخرون من المؤمنين فيقولون: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾

أسباب نزول الآية ٢٠٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ﴾ الآية، أخرج ابن أبي

واللفظ ﴿قَآئِمًۢا﴾ بتدبير مصنوعاته ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الجملة أي تفرد ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرره تأكيداً ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه. (١٩) ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ﴾ المرضيّ ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ هو الإسلام أي الشرع المبعوث به الرسل المبني على التوحيد وفي قراءة بفتح «إنّ» بدل من أنه الخ بدل اشتمال ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ اليهود والنصارى في الدين بأن وحّد بعض وكفر بعض ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ بالتوحيد ﴿بَغْيًۢا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ أي المجازاة له. (٢٠) ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ خاصمك الكفار يا محمد في الدين ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ انقدت له أنا ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ﴾ وخص الوجه بالذكر لشرفه فغيره أولى ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ اليهود والنصارى ﴿وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ مشركي العرب ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ﴾ أي أسلموا ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ﴾ من الضلال ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الإسلام ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ﴾ التبليغ للرسالة ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ فيجازيهم بأعمالهم وهذا قبل الأمر بالقتال.

(٢١) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ﴾ وفي قراءة «يقاتلون» ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۙ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وهم اليهود رُوي أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبياً فنهاهم مائة وسبعون من عبّادهم فقتلوهم من يومهم ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ أعلمهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم وذكر البشارة تهكم بهم ودخلت الفاء في خبر «إنّ» لشبه اسمها الموصول بالشرط. (٢٢) ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ ما عملوا من خير كصدقة وصلة رحم ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ﴾ فلا اعتداد بها لعدم شرطها ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ مانعين من العذاب. (٢٣) ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا﴾ حظاً ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ التوراة ﴿يُدْعَوْنَ﴾ حال ﴿إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن قبول حكمه، نزلت في اليهود زنى منهم اثنان فتحاكموا إلى النبي ﷺ فحكم عليهما بالرجم فأبوا فجيء بالتوراة فوجد فيها فرجما فغضبوا. (٢٤) ﴿ذَٰلِكَ﴾ التولي والإعراض ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾ أي بسبب قولهم ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ﴾ أربعين يوماً مدة عبادة آبائهم العجل ثم تزول عنهم ﴿وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم﴾ متعلق بقوله ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ من قولهم ذلك. (٢٥) ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ﴾ أي في يوم ﴿لَّا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من أهل الكتاب وغيرهم جزاء ﴿مَّا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ﴾ أي الناس ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة. (٢٦) ونزل لما وعد ﷺ أمته مُلك فارس والروم فقال المنافقون هيهات: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ﴾ يا الله ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى﴾ تعطي ﴿ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ﴾ من خلقك ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ۖ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ﴾ بإيتائه ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ﴾ بنزعه منه ﴿بِيَدِكَ﴾ بقدرتك ﴿ٱلْخَيْرُ﴾ أي والشر ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. (٢٧) ﴿تُولِجُ﴾ تدخل ﴿ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ﴾ تدخله ﴿فِى ٱلَّيْلِ ۖ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ﴾ كالنطفة والبيضة ﴿مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي رزقاً واسعاً. (٢٨) ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ يوالونهم ﴿مِن دُونِ﴾ أي غير ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي يواليهم ﴿فَلَيْسَ مِنَ﴾ دين ﴿ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ﴾ مصدر «تَقَيْتُه» أي «تخافوا مخافة» فلكم موالاتهم باللسان دون القلب وهذا

حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: لما أُصيبت السرية التي فيها عاصم ومرثد، قال رجلان من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا لا هم قعدوا في أهليهم، ولا هم أدّوا رسالة صاحبهم، فأنزل الله ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن السدي قال: نزلت في الأخنس بن شريق أقبل إلى النبي ﷺ وأظهر له الإسلام، فأعجبه ذلك منه ثم خرج فمرّ بزرع لقوم من المسلمين وحمر، فأحرق الزرع وعقر الحمر، فأنزل الله الآية.

أسباب نزول الآية ٢٠٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ الآية، أخرج الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» وابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب قال: أقبل صهيب مهاجراً إلى النبي ﷺ فاتبعه نفر من قريش، فنزل عن راحلته وانتثل ما في كنانته، ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلاً وايم الله لا تصلون إلي حتى أرمي كل سهم معي في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء ثم افعلوا ما شئتم وإن شئتم دللتكم على مالي بمكة وخليتم سبيلي قالوا: نعم، فلما قدم على النبي ﷺ المدينة قال: ربح البيع أبا يحيى ربح أبا يحيى ونزلت: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ (٢٠٧)﴾ وأخرج الحاكم في «المستدرك»

قبل عزة الإسلام ويجري في بلدة ليس قوياً فيها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ﴾ يخوفكم ﴿ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ أن يغضب عليكم إن واليتموهم ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع فيجازيكم. (٢٩) ﴿قل﴾ لهم ﴿إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من موالاتهم ﴿أَوْ تُبْدُوهُ﴾ تظهروه ﴿يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ هو ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيب مَنْ والاهم. (٣٠) اذكر ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ مبتدأ خبره ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ غاية في نهاية البعد فلا يصل إليها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ كرر للتأكيد ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾. (٣١) ونزل لما قالوا: ما نعبد الأصنام إلا حباً لله ليقربونا إليه ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ بمعنى أنه يثيبكم ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لمن اتبعني ما سلف منه قبل ذلك ﴿رَّحِيمٌ﴾ به. (٣٢) ﴿قل﴾ لهم ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ فيما يأمركم به من التوحيد ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا عن الطاعة ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمر أي لا يحبهم بمعنى أنه يعاقبهم. (٣٣) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ اختار ﴿ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾ بمعنى أنفسهما ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بجعل الأنبياء من نسلهم. (٣٤) ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ﴾ ﴿بَعْضٍ﴾ منه ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. (٣٥) اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ «حنة» لما أسنت واشتاقت للولد فدعت الله وأحسّت بالحمل يا ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ﴾ أن أجعل ﴿لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ عتيقاً خالصاً من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ﴾ ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ﴾ للدعاء ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بالنيات، وهلك عمران وهي حامل. (٣٦) ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ ولدتها جارية وكانت ترجو أن يكون غلاماً إذ لم يكن يحرّر إلا الغلمان ﴿قَالَتْ﴾ معتذرة يا ﴿رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿بِمَا وَضَعَتْ﴾ جملة اعتراض من كلامه تعالى وفي قراءة بضم التاء ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ﴾ الذي طلبت ﴿كَٱلْأُنثَىٰ﴾ التي «وهبت» لأنه يقصد للخدمة وهي لا تصلح لها لضعفها وعورتها وما يعتريها من الحيض ونحوه ﴿وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا﴾ أولادها ﴿مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾. المطرود. وفي الحديث «ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخاً إلا مريم وابنها» رواه الشيخان. (٣٧) ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أي قبل مريم من أمها ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾ أنشأها بخَلْق حسن فكانت تنبت في اليوم كما ينبت المولود في العام وأتت بها أمها الأحبار سدنة بيت المقدس فقالت: دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لأنها بنت إمامهم فقال زكريا أنا أحق بها لأن خالتها عندي فقالوا لا حتى نقترع فانطلقوا - وهم تسعة وعشرون - إلى نهر الأردن وألقوا أقلامهم على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بها فثبت قلم زكريا فأخذها وبنى لها غرفة في المسجد بسلم لا يصعد إليها غيره وكان يأتيها بأكلها وشربها ودهنها فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف كما قال تعالى ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ ضمها إليه وفي قراءة بالتشديد ونصب «زكريا» ممدوداً [وكفلها زكرياء] ومقصوراً والفاعل الله ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ الغرفة وهي أشرف المجالس ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ﴾ من أين ﴿لَكِ هَٰذَا﴾؟ ﴿قَالَتْ﴾ وهي صغيرة ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يأتيني به من الجنة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ رزقاً واسعاً بلا تبعة. (٣٨) ﴿هُنَالِكَ﴾ أي لما رأى زكريا ذلك وعلم أن القادر على الإتيان بالشيء في غير حينه قادر على الإتيان بالولد على الكبر وكان أهل بيته انقرضوا ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ لما دخل

نحوه من طريق ابن المسيب عن صهيب موصولاً. وأخرج أيضاً نحوه من مرسل عكرمة، وأخرجه أيضاً من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت عن أنس وفيه التصريح بنزول الآية، وقال: صحيح على شرط مسلم. وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: نزلت في صهيب وأبي ذر وجندب بن السكن أحد أهل أبي ذر.

أسباب نزول الآية ٢٠٨ - قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: قال عبد الله بن سلام وثعلبة وابن يامين وأسد وأسيد ابنا كعب وسعيد بن عمرو وقيس بن زيد كلهم من يهود: يا رسول الله يوم السبت يوم نعظمه فدعنا فلنسبت فيه، وإن التوراة كتاب الله فدعنا فلنقم بها الليل، فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ٢١٤ - قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ الآية:

قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن قتادة قال: نزلت هذه الآية في يوم الأحزاب، أصاب النبي ﷺ يومئذٍ بلاءٌ وحَصْرٌ.

أسباب نزول الآية ٢١٥ - قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ الآية:

أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال:

سأل المؤمنون رسول الله ﷺ أين يضعون أموالهم، فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ الآية.

المحراب للصلاة في جوف الليل ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ولداً صالحاً ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ﴾ مجيب ﴿الدُّعَاءِ﴾. (٣٩) ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي جبرئيل ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ أي المسجد ﴿أَنَّ﴾ أي بأن، وفي قراءة بالكسر [إنّ] بتقدير القول ﴿اللَّهَ يُبَشِّرُكَ﴾ مثقلاً ومخففاً [يبشرك] ﴿بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ﴾ كائنة ﴿مِّنَ اللَّهِ﴾ أي بعيسى أنه روح الله وسمي «كلمة» لأنه خُلِقَ بكلمة «كن» ﴿وَسَيِّدًا﴾ متبوعاً ﴿وَحَصُورًا﴾[1] ممنوعاً من النساء ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ رُوي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها. (٤٠) ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ ولد ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ أي بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ بلغت ثماني وتسعين سنة ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ من خلق الله غلاماً منكما ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ لا يعجزه عنه شيء ولإظهار هذه القدرة العظيمة أُلْهِمَ السؤال ليجاب بها ولما تاقت نفسه إلى سرعة المبشَّر به. (٤١) ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً﴾ أي علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله تعالى ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ أي بلياليها ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾ إشارة ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ﴾ صلِّ ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ أواخر النهار وأوائله. (٤٢) ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي جبريل ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ اختارك ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من مسيس الرجال ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ أي أهل زمانك. (٤٣) ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ أطيعيه ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أي صلي مع المصلين. (٤٤) ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر زكريا ومريم ﴿مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ في الماء يقترعون ليظهر لهم ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ﴾ يربي ﴿مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في كفالتها فتعرف ذلك فتخبر به وإنما عرفته من جهة الوحي. (٤٥) اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي جبريل ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ أي ولد ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ خاطبها بنسبته إليها تنبيهاً على أنها تلده بلا أب إذ عادة الرجال نسبتهم إلى آبائهم ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جاه ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالنبوة ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالشفاعة والدرجات العلا ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عند الله. (٤٦) ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ أي طفلاً قبل وقت الكلام ﴿وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾. (٤٧) ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ بتزوّج ولا غيره؟ ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَٰلِكِ﴾ من خَلْقِ ولد منك بلا أب ﴿اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أراد خلقه ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ أي فهو يكون. (٤٨) ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ بالنون والياء ﴿الْكِتَابَ﴾ الخط ﴿وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾. (٤٩) ﴿و﴾ نجعله ﴿رسولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ في الصبا أو بعد البلوغ فنفخ جبريل في جيب درعها فحملت، وكان من أمرها ما ذكر في سورة «مريم» [١٦ ـ ٣٤] فلما بعثه الله إلى بني إسرائيل قال لهم: إني رسول الله إليكم ﴿أَنِّي﴾ أي بأني ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ﴾ علامة على صدقي ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾ هي ﴿أَنِّي﴾ وفي قراءة بالكسر استئنافاً ﴿أَخْلُقُ﴾ أصوّر ﴿لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ مثل صورته فالكاف اسم مفعول ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ﴾ الضمير للكاف ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ وفي قراءة «طائراً» ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته فخلق لهم «الخُفّاش» لأنه أكمل الطير خلقاً فكان يطير وهم ينظرونه فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً ﴿وَأُبْرِئُ﴾ أشفي ﴿الْأَكْمَهَ﴾ الذي وُلد أعمى ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ وخصا بالذكر لأنهما داءا إعياء وكان

(١) ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾: السيد الحكيم بلغة حمير والحصور الذي لا حاجة له في النساء بلغة كنانة.

وأخرج ابن المنذر عن أبي حيان أن عمرو بن الجموح سأل النبي ﷺ: ماذا ننفق من أموالنا، وأين نضعها فنزلت:

أسباب نزول الآية ٢١٧ ـ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ الآية:

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني في «الكبير» والبيهقي في «سننه» عن جندب بن عبد الله:

أن رسول الله بعث رهطاً، وبعث عليهم عبد الله بن جحش، فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو من جمادى، فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ الآية. فقال بعضهم: إن لم يكونوا أصابوا وزراً ليس لهم أجر، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وأخرجه ابن منده في «الصحابة» من طريق عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن ابن عباس.

أسباب نزول الآية ٢١٩ ـ قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾:

يأتي حديثها في سورة المائدة.

قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾:

أخرج ابن أبي حاتم من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس:

أن نفراً من الصحابة حين

بعثه في زمن الطب فأبرأ في يوم خمسين ألفاً بالدعاء بشرط الإيمان ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ كرره لنفي توهم الألوهية فيه فأحيا عازر صديقاً له وابن العجوز وابنة العاشر فعاشوا وولد لهم، وسام بن نوح ومات في الحال ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ﴾[1] تخبئون ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾ مما لم أعاينه فكان يُخبر الشخص بما أكل وبما لم يأكل بعد ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. ﴿٥٠﴾ ﴿و﴾ جئتكم ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ قبلي ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ فيها فأحل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له وقيل أحل الجميع فـ«بعض» بمعنى «كل» ﴿وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ كرره تأكيداً وليبني عليه ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته. ﴿٥١﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا﴾ الذي آمركم به ﴿صِرَٰطٌ﴾ طريق ﴿مُّسْتَقِيمٌ﴾ فكذبوه ولم يؤمنوا به. ﴿٥٢﴾ ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ﴾ علم ﴿عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾ وأرادوا قتله ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ﴾ أعواني ذاهباً ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ لأنصر دينه ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ أعوان دينه وهم أصفياء عيسى وأول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً من «الحُوْر» وهو البياض الخالص وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب أي يبيضونها ﴿ءَامَنَّا﴾ صدقنا ﴿بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ﴾ يا عيسى ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. ﴿٥٣﴾ ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ﴾ من الإنجيل ﴿وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ﴾ عيسى ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ لك بالوحدانية ولرسولك بالصدق. ﴿٥٤﴾ قال تعالى ﴿وَمَكَرُوا۟﴾ أي كفار بني إسرائيل بعيسى إذ وكلوا به من يقتله غيلة ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ بهم بأن ألقى شبه عيسى على من قصد قتله فقتلوه ورَفَعَ عيسى إلى السماء ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ أعلمهم به. ﴿٥٥﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ من الدنيا من غير موت ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ مبعدك ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾ صدقوا بنبوتك من المسلمين والنصارى ﴿فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ وهم اليهود يعلونهم بالحجة والسيف ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين. ﴿٥٦﴾ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا﴾ بالقتل والسبي والجزية ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ مانعين منه. ﴿٥٧﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ﴾ بالياء والنون ﴿أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي يعاقبهم، روي أن الله تعالى أرسل إليه سحابة فرفعته فتعلّقت به أمه وبكت فقال إن القيامة تجمعنا وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس وله ثلاث وثلاثون سنة وعاشت أمه بعده ست سنين، وروى الشيخان حديث «أنه ينزل قرب الساعة ويحكم بشريعة نبينا ويقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية» وفي حديث مسلم «أنه يمكث سبع سنين» وفي حديث عن أبي داود الطيالسي «أربعين سنة ويتوفّى ويُصلّى عليه» فيحتمل أن المراد مجموع لبثه في الأرض قبل الرفع وبعده. ﴿٥٨﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من أمر عيسى ﴿نَتْلُوهُ﴾ نقصه ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ حال من الهاء في «نتلوه» وعامله ما في «ذلك» من معنى الإشارة ﴿وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ﴾ المحكم أي القرآن. ﴿٥٩﴾ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾ شأنه الغريب ﴿عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ كشأنه في خلقه من غير أب وهو تشبيه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأوقع في النفس ﴿خَلَقَهُۥ﴾ أي آدم أي قالبه ﴿مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾ بشراً ﴿فَيَكُونُ﴾ أي فكان وكذلك عيسى قال

(١) ﴿تَدَّخِرُونَ﴾: مقل بلغة تميم، و«تذخرون» مخفف بلغة كنانة.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

أمروا بالنفقة في سبيل الله أتوا النبي ﷺ فقالوا: إنا لا ندري ما هذه النفقة التي أمرنا بها في أموالنا، فما ننفق منها؟ فأنزل الله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾.

وأخرج أيضاً عن يحيى أنه بلغه أن معاذ بن جبل وثعلبة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله إن لنا أرقاء وأهلين فما ننفق من أموالنا؟ فأنزل الله هذه الآية.

أسباب نزول الآية ٢٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾. أخرج أبو داود والنسائي والحاكم وغيرهم عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ و ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ الآية. انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد ذلك عليهم فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ٢٢١ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾ أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والواحدي عن مقاتل قال: نزلت هذه الآية في ابن أبي مرثد الغنوي استأذن النبي ﷺ في عناق أن يتزوجها، وهي مشركة، وكانت ذات حظ وجمال، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ﴾ الآية. أخرج الواحدي من طريق السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال:

له: كن من غير أب فكان. (٦٠) ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي أمر عيسى ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه. (٦١) ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ﴾ جادلك من النصارى ﴿فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ بأمره ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ فنجمعهم ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾ نتضرع في الدعاء ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ بأن نقول: «اللهم العن الكاذب في شأن عيسى» وقد دعا ﷺ وفد نجران لذلك لما حاجّوه فيه فقالوا: حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك فقال ذو رأيهم: لقد عرفتم نبوته وأنه ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا الرسول ﷺ وقد خرج ومعه الحسن والحسين وفاطمة وعلي وقال لهم: «إذا دعوت فأمّنوا» فأبوا أن يلاعنوا وصالحوه على الجزية رواه أبو نعيم وعن ابن عباس قال: «لو خرج الذين يباهلون لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً»، ورُوي: «لو خرجوا لاحترقوا». (٦٢) ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المذكور ﴿لَهُوَ ٱلْقَصَصُ﴾ الخبر ﴿ٱلْحَقُّ﴾ الذي لا شك فيه ﴿وَمَا مِنْ﴾ زائدة ﴿إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ في صنعه. (٦٣) ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ فيجازيهم وفيه وضع الظاهر موضع المضمر. (٦٤) ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليهود والنصارى ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ﴾ مصدر بمعنى مستو أمرها ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هي ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ كما اتخذتم الأحبار والرهبان ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ أعرضوا عن التوحيد ﴿فَقُولُوا۟﴾ أنتم لهم ﴿ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ موحدون. (٦٥) ونزل لما قال اليهود إبراهيم يهودي ونحن على دينه، وقالت النصارى كذلك: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ﴾ تخاصمون ﴿فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ بزعمكم أنه على دينكم ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ بزمن طويل وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية؟ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بطلان قولكم؟ (٦٦) ﴿ها﴾ للتنبيه ﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأ يا ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ والخبر ﴿حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ من أمر موسى وعيسى وزعمكم أنكم على دينهما ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ من شأن إبراهيم ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ﴾ شأنه ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، قال الله تعالى تبرئة لإبراهيم. (٦٧) ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿مُّسْلِمًا﴾ موحداً ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾. (٦٨) ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ﴾ أحقهم ﴿بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ في زمانه ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ﴾ محمد لموافقته له في أكثر شرعه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ من أمته فهم الذين ينبغي أن يقولوا نحن على دينه لا أنتم ﴿وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ناصرهم وحافظهم. (٦٩) ونزل لما دعا اليهود معاذاً وحذيفة وعماراً إلى دينهم ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ لأن إثم إضلالهم عليهم والمؤمنون لا يطيعونهم فيه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك. (٧٠) ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن المشتمل على نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ تعلمون أنه حق؟ (٧١) ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ﴾ تخلطون ﴿ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بالتحريف والتزوير ﴿وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ أي نعت النبي ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه حق؟ (٧٢) ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليهود لبعضهم ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي القرآن ﴿وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ أوله ﴿وَٱكْفُرُوٓا۟﴾ به ﴿ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ﴾ أي المؤمنين ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عن دينهم إذ يقولون ما رجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه - وهم أولو علم - إلا لعلمهم بطلانه. (٧٣) وقالوا أيضاً ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ تصدقوا ﴿إِلَّا لِمَن﴾ اللام زائدة ﴿تَبِعَ﴾ وافق ﴿دِينَكُمْ﴾ قال تعالى: ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿إِنَّ

نزلت هذه الآية في عبد الله بن رواحة كانت له أمة سوداء، وأنه غضب عليها فلطمها، ثم إنه فزع فأتى النبي ﷺ فأخبره وقال لأعتقنها ولأتزوجنها ففعل، فطعن عليه ناس، وقالوا ينكح أمة، فأنزل الله هذه الآية، وأخرجه ابن جرير عن السدي منقطعاً.

اسباب نزول الآية ٢٢٢ - قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ الآية، روى مسلم والترمذي عن أنس أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ، فأنزل الله ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ الآية، فقال: اصنعوا كل شيء إلا النكاح.

وأخرج البارودي في الصحابة من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس أن ثابت بن الدحداح سأل النبي ﷺ، فنزلت ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ الآية.

وأخرج ابن جرير عن السدي نحوه.

اسباب نزول الآية ٢٢٣ - قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ الآية. روى الشيخان وأبو داود والترمذي عن جابر قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾.

وأخرج أحمد والترمذي عن ابن عباس قال: جاء عمر إلى رسول الله، «فقال يا رسول الله: هلكت، قال: وما أهلكك؟ قال: حولت رحلي الليلة فلم

﴿ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام وما عداه ضلال، والجملة اعتراض ﴿أن﴾ أي بأن ﴿يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ من الكتاب والحكمة والفضائل و«أن» مفعول «تؤمنوا»، والمستثنى منه «أحد» قُدِّمَ عليه المستثنى، والمعنى لا تقروا بأن أحداً يؤتى ذلك إلا لمن تبع دينكم ﴿أو﴾ بأن ﴿يُحَآجُّوكُمْ﴾ أي المؤمنون يغلبوكم ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ يوم القيامة لأنكم أصح ديناً، وفي قراءة: «أأن» بهمزة التوبيخ أي أإيتاء أحد مثله تقرون به؟ قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ فمن أين لكم أنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم؟ ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾ كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهله. (٧٤) ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾. (٧٥) ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ أي بمال كثير ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ لأمانته كعبد الله بن سلام أودعه رجل ألفاً ومائتي أوقية ذهباً فأداها إليه ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ لخيانته ﴿إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ لا تفارقه فمتى فارقته أنكره ككعب بن الأشرف استودعه قرشي ديناراً فجحده ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي ترك الأداء ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟﴾ بسبب قولهم ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ﴾ أي العرب ﴿سَبِيلٌ﴾ أي إثم لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم ونسبوه إليه تعالى، قال تعالى ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ في نسبة ذلك إليه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون. (٧٦) ﴿بَلَىٰ﴾ عليهم فيهم سبيل ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ﴾ الذي عاهد الله عليه أو بعهد الله إليه من أداء الأمانة وغيره ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ الله بترك المعاصي وعمل الطاعات ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر أي يحبهم بمعنى يثيبهم. (٧٧) ونزل في اليهود لما بدلوا نعت النبي ﷺ وعَهْدَ الله إليهم في التوراة وفيمن حلف كاذباً في دعوى أو في بيع سلعة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ يستبدلون ﴿بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ إليهم في الإيمان بالنبي ﷺ وأداء الأمانة ﴿وَأَيْمَٰنِهِمْ﴾ حلفهم به تعالى كاذبين ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ﴾[1] نصيب ﴿لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ غضباً عليهم ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ برحمهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

(٧٨) ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ أي أهل الكتاب ﴿لَفَرِيقًا﴾ طائفة ككعب بن الأشرف ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ أي يعطفونها بقراءته عن المنزل إلى ما حرفوه من نعت النبي ﷺ ونحوه ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي المحرف ﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الذي أنزله الله ﴿وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون. (٧٩) نزل لما قال نصارى نجران إن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربًّا ولما طلب بعض المسلمين السجود له ﷺ: ﴿مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ﴾ أي الفهم للشريعة ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن﴾ يقول ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾[2] علماء عاملين منسوبين إلى «الرب» بزيادة ألف ونون تفخيماً ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ﴾ بالتخفيف والتشديد [تعلّمون] ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ أي بسبب ذلك فإن فائدته أن تعملوا. (٨٠) ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ بالرفع استئنافاً أي الله والنصب عطفاً على «يقول» أي البشر ﴿أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾ كما اتخذت الصابئة الملائكة واليهود عُزيراً والنصارى عيسى ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾؟ لا ينبغي له هذا. (٨١) ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ عهدهم ﴿لَمَآ﴾ بفتح اللام للابتداء وتوكيد

---

(١) ﴿لَا خَلَٰقَ﴾: لا نصيب بلغة كنانة.

(٢) ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾: يعني علماء وافقت لغة السريانية.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

يرد عليه شيئاً، فأنزل الله هذه الآية ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أقبل وأدبر واتق الدبر والحيضة. وأخرج ابن جرير وابن مردويه من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً أصاب امرأته في دبرها فأنكر الناس عليه ذلك فأنزلت ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ الآية، وأخرج البخاري عن ابن عمر قال: أنزلت هذه الآية في إتيان النساء في أدبارهن، وأخرج الطبراني في «الأوسط» بسند جيد عنه قال: إنما أنزلت على الرسول ﷺ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ رخصة في إتيان الدبر. وأخرج أيضاً عنه: «أن رجلاً أصاب امرأة في دبرها في زمن رسول الله ﷺ فأنكر ذلك فأنزل الله ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ وأخرج أبو داود والحاكم عن ابن عباس قال: إن ابن عمر - والله يغفر له - وهِمَ، إنما كان أهل هذا الحي من الأنصار وهم أهل وثن مع هذا الحي من يهود، وهم أهل كتاب كانوا يرون لهم فضلاً عليهم في العلم، فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم، وكان من أمر أهل الكتاب أنهم لا يأتون النساء إلا على حرف، وذلك أستر ما تكون المرأة.

وكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحاً ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه

معنى القسم الذي في أخذ الميثاق وكسرها متعلقة «بأخذ» و«ما» موصولة على الوجهين أي للذي ﴿ءَاتَيْتُكُم﴾ إياه وفي قراءة «آتيناكم» ﴿مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من الكتاب والحكمة وهو محمد ﷺ ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ جواب القسم إن أدركتموه وأممهم تبعٌ لهم في ذلك ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ بذلك ﴿وَأَخَذْتُمْ﴾ قبلتم ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾[1] عهدي ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟﴾ على أنفسكم وأتباعكم بذلك ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ عليكم وعليهم. ﴿٨٢﴾ ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ﴾ أعرض ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الميثاق ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾. ﴿٨٣﴾ ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ بالياء والتاء أي المتولون ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ﴾ انقاد ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا﴾ بلا إباء ﴿وَكَرْهًا﴾ بالسيف ومعاينة ما يلجىء إليه ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ بالتاء والياء والهمزة في أول الآية للإنكار. ﴿٨٤﴾ ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ بالتصديق والتكذيب ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون في العبادة، ونزل فيمن ارتد ولحق بالكفار: ﴿٨٥﴾ ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ لمصيره إلى النار المؤبدة عليه. ﴿٨٦﴾ ﴿كَيْفَ﴾ أي لا ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟﴾ أي وشهادتهم ﴿أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ﴾ قد ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ الحجج الظاهرات على صدق النبي ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي الكافرين. ﴿٨٧﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾. ﴿٨٨﴾ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي اللعنة أو النار المدلول بها عليها ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ يمهلون. ﴿٨٩﴾ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. ﴿٩٠﴾ ونزل في اليهود ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بعيسى ﴿بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ بموسى ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا﴾ بمحمد ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ إذا غرغروا أو ماتوا كفاراً ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾. ﴿٩١﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ﴾ مقدار ما يملؤها ﴿ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ أدخل الفاء في خبر «إن» لشبه «الذين» بالشرط وإيذاناً بتسبب عدم القبول عن الموت على الكفر ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ مانعين منه. ﴿٩٢﴾ ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾ أي ثوابه وهو الجنة ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟﴾ تصدّقوا ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ من أموالكم ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ فيجازي عليه. ﴿٩٣﴾ نزل لما قال اليهود إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان لا يأكل لحوم الإبل وألبانها ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا﴾ حلالاً ﴿لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ﴾ يعقوب ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ وهو الإبل لما حصل له عرق «النسا» بالفتح والقصر فنذر إن شفي لا يأكلها فحُرّم عليه ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ﴾ وذلك بعد إبراهيم ولم تكن على عهده حراماً كما زعموا ﴿قل﴾ لهم ﴿فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾ ليتبين صدق قولكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه فبهتوا ولم يأتوا بها قال تعالى: ﴿٩٤﴾ ﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ أي ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب لا على عهد إبراهيم ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ المتجاوزون الحق إلى الباطل. ﴿٩٥﴾ ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ في هذا كجميع ما

(١) ﴿إِصْرِى﴾: عهدي وافقت لغة النبطية.

وقالت: إنما كنا نؤتى على حرف فسرى أمرهما، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات، يعني بذلك موضع الولد قال الحافظ ابن حجر في «شرح البخاري» السبب الذي ذكره ابن عمر في نزول الآية مشهور، وكأن حديث أبي سعيد حديث لم يبلغ ابن عباس وبلغه حديث ابن عمر فوهمه فيه.

اسباب نزول الآية ٢٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ الآية، أخرج ابن جرير من طريق ابن جريج قال: حدثت أو قوله ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ الآية، نزلت في أبي بكر في شأن مسطح.

اسباب نزول الآية ٢٢٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ﴾ الآية، أخرج أبو داود وابن أبي حاتم عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية قالت: طلقت على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن للمطلقة عدة، فأنزل الله العدة للطلاق ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ وذكر الثعلبي وهبة الله بن سلامة في الناسخ عن الكلبي ومقاتل أن إسماعيل بن عبد الله الغفاري طلق امرأته قتيلة على عهد رسول الله ﷺ ولم يعلم بحملها ثم علم فراجعها فولدت فماتت ومات ولدها، فنزلت ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾.

اسباب نزول الآية ٢٢٩ ـ قوله

أخبر به ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ التي أنا عليها ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن كل دين إلى الإسلام ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. (٩٦) ونزل لما قالوا قبلتنا قبل قبلتكم: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾ مُتَعَبَّداً ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الأرض ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ بالباء لغة في «مكة» سميت بذلك لأنها تَبُكُّ أعناق الجبابرة أي تدقها، بناه الملائكة قبل خلق آدم، ووضع بعده الأقصى وبينهما أربعون سنة كما في حديث الصحيحين وفي حديث «أنه أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والأرض زبدة بيضاء فدحيت الأرض من تحته» ﴿مُبَارَكًا﴾ حال من «الذي» أي ذا بركة ﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ لأنه قبلتهم. (٩٧) ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ منها ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت فأثرَّ قدماه فيه وبقي إلى الآن مع تطاول الزمان وتداول الأيدي عليه ومنها تضعيف الحسنات فيه وأن الطير لا يعلوه ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ لا يُتعَرَّض إليه بقتل أو ظلم أو غير ذلك ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ واجب بكسر الحاء وفتحها لغتان في مصدر «حَجَّ» بمعنى «قصد» ويبدل من «الناس» ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ طريقا فسره ﷺ «بالزاد والراحلة» رواه الحاكم وغيره ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ بالله أو بما فرضه من الحج ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم. (٩٨) ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه. (٩٩) ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي دينه ﴿مَنْ آمَنَ﴾ بتكذيبكم النبي وكتم نعته ﴿تَبْغُونَهَا﴾ أي تطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ مصدر بمعنى معوجة أي مائلة عن الحق ﴿وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ﴾ عالمون بأن الدين المرضي القيم دين الإسلام كما في كتابكم ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب وإنما يؤخركم إلى وقتكم ليجازيكم. (١٠٠) ونزل لما مرَّ بعض اليهود على الأوس والخزرج وغاظهم تآلفهم فذكروهم بما كان بينهم في الجاهلية من الفتن فتشاجروا وكادوا يقتتلون: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾.

(١٠١) ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ استفهام تعجيب وتوبيخ ﴿وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم﴾ يتمسك ﴿بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. (١٠٢) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ «بأن يُطاع فلا يُعصى ويُشكر فلا يُكفر ويُذكر فلا يُنسى» فقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا؟ فنسخ بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ موحدون. (١٠٣) ﴿وَاعْتَصِمُوا﴾ تمسكوا ﴿بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ أي دينه ﴿جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ بعد الإسلام ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ إنعامه ﴿عَلَيْكُمْ﴾ يا معشر الأوس والخزرج ﴿إِذْ كُنتُمْ﴾ قبل الإسلام ﴿أَعْدَاءً فَأَلَّفَ﴾ جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإسلام ﴿فَأَصْبَحْتُم﴾ فصرتم ﴿بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ في الدين والولاية ﴿وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا﴾ طرف ﴿حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾ وليس بينكم وبين الوقوع فيها إلا أن تموتوا كفاراً ﴿فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ بالإيمان ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بيَّن لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

(١٠٤) ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ الإسلام ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ﴾ الداعون الآمرون الناهون ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون «ومن» للتبعيض لأن ما ذكر فرض كفاية لا يلزم كل الأمة ولا يليق بكل أحد كالجاهل وقيل زائدة أي لتكونوا أمة. (١٠٥) ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ عن دينهم ﴿وَاخْتَلَفُوا﴾ فيه ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. (١٠٦) ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ أي يوم القيامة ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ﴾ الآية، أخرج الترمذي والحاكم وغيرهما عن عائشة قالت: كان الرجل يطلق امرأته ما شاء أن يطلقها وهي امرأته إذا ارتجعها وهي في العدة وإن طلقها مائة مرة وأكثر حتى قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك فتبيني ولا آويك أبداً، قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلقك فكلما همت عدتك أن تنقضي راجعتك فذهبت المرأة فأخبرت النبي ﷺ، فسكت حتى نزل القرآن ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ الآية، أخرج أبو داود في الناسخ والمنسوخ عن ابن عباس قال: كان الرجل يأكل مال امرأته من نحله الذي نحلها وغيره لا يرى أن عليه جناحاً فأنزل الله ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾. أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: نزلت هذه الآية في ثابت بن قيس، وفي حبيبة وكانت اشتكته إلى رسول الله ﷺ فقال: أتردين عليه حديقته؟ قالت نعم، فدعاه فذكر ذلك له، قال: وتطيب لي بذلك؟ قال: نعم، قال: قد فعلت، فنزلت: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ٢٣٠ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ الآية، أخرج ابن المنذر عن مقاتل بن حيان قال: نزلت هذه الآية في عائشة بنت عبد الرحمٰن بن عتيك، كانت عند رفاعة بن وهب بن عتيك وهو ابن عمها،

وهم الكافرون فَيُلْقَون في النار ويقال لهم توبيخاً ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ يوم أخذ الميثاق ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾. (١٠٧) ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ وهم المؤمنون ﴿فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ أي جنته ﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. (١٠٨) ﴿تِلْكَ﴾ أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ بأن يأخذهم بغير جُرم.

(١٠٩) ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ﴾ تصير ﴿ٱلْأُمُورُ﴾. (١١٠) ﴿كُنتُمْ﴾ يا أمة محمد في علم الله تعالى ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾ أُظْهِرَت ﴿لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ﴾ الإيمان ﴿خَيْرًا لَّهُم﴾ ﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وأصحابه ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ الكافرون. (١١١) ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ﴾ أي اليهود يا معشر المسلمين بشيء ﴿إِلَّآ أَذًى﴾ باللسان من سب ووعيد ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ منهزمين ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ عليكم بل لكم النصر عليهم. (١١٢) ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟﴾ حيثما وجدوا فلا عز لهم ولا اعتصام ﴿إِلَّا﴾ كائنين ﴿بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ المؤمنين وهو عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية أي لا عصمة لهم غير ذلك ﴿وَبَآءُو﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ﴾ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ تأكيد ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟﴾ أمر الله ﴿وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون الحلال إلى الحرام. (١١٣) ﴿لَيْسُوا۟﴾ أي أهل الكتاب ﴿سَوَآءً﴾ مستوين ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ مستقيمة ثابتة على الحق كعبد الله بن سلام رضي الله عنه وأصحابه ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾[1] أي في ساعاته ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يُصَلُّون، حال. (١١٤) ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذُكِرَ ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ومنهم من ليسوا كذلك وليسوا من الصالحين. (١١٥) ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟﴾ بالتاء أيتها الأمة والياء أي الأمة القائمة ﴿مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾ بالوجهين أي تعدموا ثوابه بل تجازَون عليه ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾. (١١٦) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ﴾ تدفع ﴿عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي من عذابه ﴿شَيْـًٔا﴾ وخصهما بالذكر لأن الإنسان يدفع عن نفسه تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. (١١٧) ﴿مَّثَلُ﴾ صفة ﴿مَا يُنفِقُونَ﴾ أي الكفار ﴿فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ في عداوة النبي من صدقة ونحوها ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ حر أو برد شديد ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ﴾ زرع ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالكفر والمعصية ﴿فَأَهْلَكَتْهُ﴾ فلم ينتفعوا به فكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بضياع نفقاتهم ﴿وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر الموجب لضياعها. (١١٨) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً﴾ أصفياء تطلعونهم على سرّكم ﴿مِّن دُونِكُمْ﴾ أي غيركم من اليهود والنصارى والمنافقين ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾[2] نُصِبَ بنزع الخافض أي لا يقصرون لكم في الفساد ﴿وَدُّوا۟﴾ تمنوا ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ أي عَنَتَكُم وهو شدة الضرر ﴿قَدْ بَدَتِ﴾ ظهرت ﴿ٱلْبَغْضَآءُ﴾

---

(١) ﴿ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾: ساعات بلغة هذيل وكذلك في سورة طه: [الآية: ١٣٠] ﴿وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾.

(٢) ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾: يعني غياً بلغة عمان.

فطلقها طلاقاً بائناً، فتزوجت بعده عبد الرحمٰن بن الزبير القرظي، فطلقها فأتت النبي ﷺ فقالت: إنه طلقني قبل أن يمسني أفأرجع إلى الأول؟ قال ﷺ: لا حتى يمسّ، ونزل فيها ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ فيجامعها فإن طلقها بعدما جامعها فلا جناح عليهما أن يتراجعا.

أسباب نزول الآية ٢٣١ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ الآية، أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها، ثم يطلقها يفعل ذلك يضارها ويعضلها، فأنزل الله هذه الآية. وأخرج عن السدي قال: نزلت في رجل من الأنصار يدعى ثابت بن يسار طلق امرأته حتى إذا انقضت عدتها إلا يومين أو ثلاثة راجعها ثم طلقها مضارّة، فأنزل الله ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟﴾ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا۟﴾ أخرج ابن أبي عمر في «مسنده» وابن مردويه عن أبي الدرداء قال: كان الرجل يطلق ثم يقول: لعبت ويعتق ثم يقول لعبت، فأنزل الله ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا۟﴾ وأخرج ابن المنذر عن عبادة بن الصامت نحوه وأخرج ابن مردويه نحوه عن ابن عباس. وأخرج ابن جرير نحوه من مرسل الحسن.

أسباب نزول الآية ٢٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ الآية، روى البخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم عن معقل بن

العداوة لكم ﴿مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ بالوقيعة فيكم وإطلاع المشركين على سركم ﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ﴾ من العداوة ﴿أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ على عداوتهم ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ذلك فلا توالوهم. (١١٩) ﴿ها﴾ للتنبيه ﴿أَنتُمْ﴾ يا ﴿أُو۟لَآءِ﴾ المؤمنين ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ لقرابتهم منكم وصداقتهم ﴿وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ لمخالفتهم لكم في الدين ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ أي بالكتب كلها ولا يؤمنون بكتابكم ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ﴾ أطراف الأصابع ﴿مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ شدة الغضب لما يرون من ائتلافكم ويعبر عن شدة الغضب بعَضّ الأنامل مجازاً وإن لم يكن ثَمَّ عَضٌّ ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾ أي أبقوا عليه إلى الموت فلن تروا ما يسركم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما في القلوب ومنه ما يضمره هؤلاء. (١٢٠) ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ﴾ تصبكم ﴿حَسَنَةٌ﴾ نعمة كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ تُحزِنهم ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ كهزيمة وجدب ﴿يَفْرَحُوا۟ بِهَا﴾ وجملة الشرط متصلة بالشرط قبل وما بينهما اعتراض والمعنى أنهم متناهون في عداوتكم فلِمَ توالونهم؟ فاجتنبوهم ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟﴾ على أذاهم ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ الله في موالاتهم وغيرها ﴿لَا يَضُرُّكُمْ﴾ بكسر الضاد وسكون الراء [يضِرْكم] وضمها وتشديدها [يضُرّكم] ﴿كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿مُحِيطٌ﴾ عالم فيجازيهم به. (١٢١) ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ من المدينة ﴿تُبَوِّئُ﴾ تنزل ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ﴾ مراكز يقفون فيها ﴿لِلْقِتَالِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم، وهو يوم أحد خرج النبي ﷺ بألف أو إلا خمسين رجلاً والمشركون ثلاثة آلاف ونزل بالشعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاث من الهجرة وجعل ظهره وعسكره إلى أُحد وسوّى صفوفهم وأجلس جيشاً من الرماة وأمّر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل وقال: «انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا ولا تبرحوا غُلبنا أو نُصرنا». (١٢٢) ﴿إذ﴾ بدل من «إذ» قبله ﴿هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ﴾ بنو سَلِمَةَ وبنو حارثة جناحا العسكر ﴿أَن تَفْشَلَا﴾[1] تجبنا عن القتال وترجعا لمّا رجع عبد الله بن أُبيّ المنافق وأصحابه وقال: عَلامَ نقتل أنفسنا وأولادنا؟ وقال لأبي جابر السلمي القائل له أنشدكم الله في نبيكم وأنفسكم لو نعلم قتالاً لاتبعناكم فثبتهما الله ولم ينصرفا ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ ناصرهما ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ليثقوا به دون غيره. (١٢٣) ونزل لما هزموا تذكيراً لهم بنعمة الله ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ موضع بين مكة والمدينة ﴿وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ بقلة العدد والسلاح ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه. (١٢٤) ﴿إذ﴾ ظرف «لنصركم» ﴿تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ توعدهم تطميناً ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُم﴾ يعينكم ﴿رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ بالتخفيف والتشديد. (١٢٥) ﴿بَلَىٰ﴾ يكفيكم ذلك وفي «الأنفال» ﴿بِأَلْفٍ﴾ [٩] لأنه أمدهم أولاً بها ثم صارت ثلاثة ثم صارت خمسة كما قال تعالى ﴿إِن تَصْبِرُوا۟﴾ على لقاء العدو ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ الله في المخالفة ﴿وَيَأْتُوكُم﴾ أي المشركون ﴿مِّن فَوْرِهِمْ﴾[2] وقتهم ﴿هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ بكسر الواو وفتحها أي معلمين وقد صبروا وأنجز الله وعده بأن قاتلت معهم الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر أوبيض أرسلوها بين أكتافهم. (١٢٦) ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾

---

(١) ﴿تَفْشَلَا﴾: تجبنا بلغة حمير.

(٢) ﴿فَوْرِهِمْ﴾: وجوههم بلغة هذيل وقيس عيلان وكنانة.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

يسار أنه زوج أُخته رجلاً من المسلمين فكانت عنده، ثم طلقها تطليقة ولم يراجعها حتى انقضت العدة، فهويها وهويته، فخطبها مع الخطاب، فقال له: يا لكع أكرمتك بها وزوجتكها فطلقتها والله لا ترجع إليك أبداً، فعلم الله حاجته إليها وحاجتها إليه فأنزل الله ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ﴾ إلى قوله ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ فلما سمعها معقل قال: سمعاً لربي وطاعة، ثم دعاه وقال: أزوجك وأكرمك. وأخرجه ابن مردويه من طرق كثيرة ثم أخرج عن السدي قال: نزلت في جابر بن عبد الله الأنصاري، وكانت له ابنة عم فطلقها زوجها تطليقة فانقضت عدتها، ثم رجع يريد رجعتها، فأبى جابر، فقال: طلقت ابنة عمنا ثم تريد أن تنكحها الثانية، وكانت المرأة تريد زوجها قد راضته، فنزلت هذه الآية، والأول، أصح، وهو أقوى.

أسباب نزول الآية ٢٣٨ ـ قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ الآية، أخرج أحمد والبخاري في تاريخه وأبو داود والبيهقي وابن جرير عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ كان يصلي الظهر بالهاجرة، وكانت أثقل الصلاة على أصحابه، فنزلت ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾. أخرج أحمد والنسائي وابن جرير عن زيد بن ثابت أن النبي ﷺ كان يصلي الظهر بالهجير فلا يكون وراءه إلا الصف والصفان والناس في قائلتهم وتجارتهم، فأنزل الله ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ

أي الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ فلا تجزع من كثرة العدو وقلتكم ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ يؤتيه من يشاء وليس بكثرة الجند. (١٢٧) ﴿لِيَقْطَعَ﴾ متعلق «بنصركم» أي ليهلك ﴿طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ بالقتل والأسر ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ يذلهم بالهزيمة ﴿فَيَنقَلِبُوا۟﴾ يرجعوا ﴿خَآئِبِينَ﴾ لم ينالوا ما راموه. (١٢٨) ونزل لما كُسِرَت رباعيته ﷺ وشج وجهه يوم أحد وقال: (كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم) ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ بل الأمر لله فاصبر ﴿أو﴾ بمعنى «إلى أن» ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإسلام ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ بالكفر. (١٢٩) ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بأهل طاعته. (١٣٠) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ بألف ودونها [مضعّفة] بأن تزيدوا في المال عند حلول الأجل وتؤخروا الطلب ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بتركه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون. (١٣١) ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أن تعذبوا بها. (١٣٢) ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. (١٣٣) ﴿وَسَارِعُوٓا۟﴾ بواو ودونها [سارعوا] ﴿إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ أي كعرضهما لو وصلت إحداهما بالأخرى والعَرض: السعة ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ الله بعمل الطاعات وترك المعاصي. (١٣٤) ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله ﴿فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ اليُسر والعُسر ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ الكافين عن إمضائه مع القدرة ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ ممن ظلمهم أي التاركين عقوبتهم ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بهذه الأفعال، أي يثيبهم. (١٣٥) ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ ذنباً قبيحاً كالزنا ﴿أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بما دونه كالقبلة ﴿ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي وعيده ﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن﴾ أي لا ﴿يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟﴾ يداوموا ﴿عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟﴾ بل أقلعوا عنه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أن الذي أتوه معصية. (١٣٦) ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة أي مقدرين الخلود فيها إذا دخلوها ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ بالطاعة هذا الأجر. (١٣٧) ونزل في هزيمة أحد ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ طرائق في الكفار بإمهالهم ثم أخذهم ﴿فَسِيرُوا۟﴾ أيها المؤمنون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فلا تحزنوا لغلبتهم فإنما أمهلهم لوقتهم. (١٣٨) ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ كلهم ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ منهم. (١٣٩) ﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾[1] تضعفوا عن قتال الكفار ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ على ما أصابكم بأحد ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ بالغلبة عليهم. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حقاً وجوابه دل عليه مجموع ما قبله. (١٤٠) ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ﴾ يصبكم بأحد ﴿قَرْحٌ﴾ بفتح القاف وضمها جهد من جرح ونحوه ﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ﴾ الكفار ﴿قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾[2] ببدر ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا﴾ نصرّفها ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ يوماً لفرقة ويوماً لأخرى ليتعظوا ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أخلصوا في إيمانهم من غيرهم ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ يكرمهم بالشهادة ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين أي

(١) ﴿تَهِنُوا﴾: تضعفوا بلغة قريش وكنانة وكذلك في سورة محمد ﷺ: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [الآية: ٣٥].

(٢) ﴿قَرْحٌ﴾: بالفتح لغة الحجاز وبالضم لغة تميم.

ٱلْوُسْطَىٰ﴾ وأخرج الأئمة الستة وغيرهم عن زيد بن أرقم قال كنا نتكلم على عهد رسول الله ﷺ في الصلاة يكلم الرجل منا صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام. وأخرج ابن جرير عن مجاهد قال: كانوا يتكلمون في الصلاة وكان الرجل يأمر أخاه بالحاجة، فأنزل الله ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾.

اسباب نزول الآية ٢٤٠ ـ قوله

تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ الآية. أخرج إسحٰق بن راهويه في «تفسيره» عن مقاتل بن حيان: أن رجلاً من أهل الطائف قدم المدينة وله أولاد رجال ونساء، ومعه أبواه وامرأته، فمات بالمدينة فرفع ذلك إلى النبي ﷺ، فأعطى الوالدين، وأعطى أولاده بالمعروف ولم يعط امرأته شيئاً، غير أنهم أمروا أن ينفقوا عليها من تركة زوجها إلى الحول، وفيه نزلت ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ الآية.

اسباب نزول الآية ٢٤١ ـ قوله

تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: لما نزلت ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. قال رجل: إن أحسنت فعلت وإن لم أرد ذلك لم أفعل، فأنزل الله ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

اسباب نزول الآية ٢٤٥ ـ قوله

يعاقبهم وما ينعم به عليهم استدراج. ﴿١٤١﴾ ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يطهرهم من الذنوب بما يصيبهم ﴿وَيَمْحَقَ﴾ يهلك ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. ﴿١٤٢﴾ ﴿أَم﴾ بل ﴿حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ علم ظهور ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ في الشدائد. ﴿١٤٣﴾ ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ حيث قلتم ليت لنا يوماً كيوم بدر لننال ما نال شهداؤه ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ أي سببه الحرب ﴿وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ أي بصراء تتأملون الحال كيف هي فلِمَ انهزمتم؟ ﴿١٤٤﴾ ونزل في هزيمتهم لما أشيع أن النبي قُتِلَ وقال لهم المنافقون إن كان قتل فارجعوا إلى دينكم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ كغيره ﴿ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ﴾ رجعتم إلى الكفر والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري أي ما كان معبوداً فترجعوا ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ وإنما يضر نفسه ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ نعمه بالثبات. ﴿١٤٥﴾ ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بقضائه ﴿كِتَٰبًا﴾ مصدر أي: كتب الله ذلك ﴿مُّؤَجَّلًا ۗ﴾ مؤقتاً لا يتقدم ولا يتأخر فلمَ انهزمتم! والهزيمة لا تدفع الموت والثبات لا يقطع الحياة؟ ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي جزاءه منها ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۖ﴾ ما قسم له ولا حظَّ له في الآخرة ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ﴾ أي من ثوابها ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾. ﴿١٤٦﴾ ﴿وَكَأَيِّن﴾ كم ﴿مِّن نَّبِىٍّ قُتِلَ﴾ وفي قراءة «قاتَل» والفاعل ضميره ﴿مَعَهُۥ﴾ خبر مبتدؤه ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾[1] جموع كثيرة ﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾ جبنوا ﴿لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ من الجراح وقتل أنبيائهم وأصحابهم ﴿وَمَا ضَعُفُوا۟﴾ عن الجهاد ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ﴾ خضعوا لعدوهم كما فعلتم حين قيل: قُتل النبي ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على البلاء أي يثيبهم. ﴿١٤٧﴾ ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ﴾ عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا﴾ تجاوزنا الحد ﴿فِىٓ أَمْرِنَا﴾ إيذاناً بأن ما أصابهم لسوء فعلهم وهضماً لأنفسهم ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ بالقوة على الجهاد ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. ﴿١٤٨﴾ ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾ النصر والغنيمة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ ۗ﴾ أي الجنة وحُسْنُهُ: التفضل فوق الاستحقاق ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿١٤٩﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ فيما يأمرونكم به ﴿يَرُدُّوكُمْ﴾ إلى الكفر ﴿عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾. ﴿١٥٠﴾ ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ فأطيعوه دونهم. ﴿١٥١﴾ ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ بسكون العين وضمها: الخوف، وقد عزموا بعد ارتحالهم من أحد على العود واستئصال المسلمين فرَعِبُوا ولم يرجعوا ﴿بِمَآ أَشْرَكُوا۟﴾ بسبب إشراكهم ﴿بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ﴾ حجة على عبادته وهو الأصنام ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَى﴾ مأوى ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين هي. ﴿١٥٢﴾ ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾ إياكم بالنصر ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ تقتلونهم ﴿بِإِذْنِهِۦ ۖ﴾ بإرادته ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ جبنتم عن القتال ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي أمر النبي ﷺ بالمقام في سفح الجبل للرمي فقال بعضكم: نذهب فقد نُصر أصحابنا وبعضكم: لا نخالف أمر النبي ﷺ ﴿وَعَصَيْتُم﴾ أمره فتركتم المركز لطلب الغنيمة ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم﴾ الله ﴿مَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ من

(١) ﴿رِبِّيُّونَ﴾: رجال بلغة حضرموت.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾ الآية، روى ابن حبان في «صحيحه» وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عمر قال: لما نزلت ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾ إلى آخرها قال رسول الله ﷺ: رب زد أمتي، فنزلت ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾.

أسباب نزول الآية ٢٥٦ ـ قوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ روى أبو داود والنسائي وابن حبان عن ابن عباس قال: كانت المرأة مقلاة، فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الأنصار فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾.

أخرج ابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: نزلت ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال له الحصين، كان له ابنان نصرانيان، وكان هو مسلماً، فقال للنبي ﷺ ألا أستكرههما، فإنهما قد أبيا إلا النصرانية؟ فأنزل الله الآية.

أسباب نزول الآية ٢٥٧ ـ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أخرج ابن جرير عن عبيدة بن أبي لبابة في قوله ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قال: هم الذين كانوا آمنوا بعيسى، فلما جاءهم محمد ﷺ آمنوا به، وأنزلت فيهم هذه الآية. وأخرج عن مجاهد قال كان قوم آمنوا بعيسى، وقوم كفروا به، فلما

النصر وجواب «إذا» دل عليه ما قبله أي منعكم نصره ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ فترك المركز للغنيمة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ فثبت به حتى قُتِلَ كعبد الله بن جبير وأصحابه ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ﴾ عطف على جواب «إذا» المقدر ردَّكم بالهزيمة ﴿عَنْهُمْ﴾ أي الكفار ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ ليمتحنكم فيظهر المخلص من غيره ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ ما ارتكبتموه ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالعفو. ﴿١٥٣﴾ اذكروا ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ تبعدون في الأرض هاربين ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ﴾ تُعَرِّجُون ﴿عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ أي من ورائكم يقول: «إليّ عباد الله إليّ عباد الله» ﴿فَأَثَٰبَكُمْ﴾ فجازاكم ﴿غَمًّۢا﴾ بالهزيمة ﴿بِغَمٍّ﴾ بسبب غمّكم للرسول بالمخالفة وقيل الباء بمعنى «على»، أي مضاعفاً على غم فوت الغنيمة ﴿لِّكَيْلَا﴾ متعلق «بعفا» أو «بأثابكم» «فلا» زائدة ﴿تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ من القتل والهزيمة ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. ﴿١٥٤﴾ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً﴾ أمناً ﴿نُّعَاسًا﴾ بدل ﴿يَغْشَىٰ﴾ بالياء والتاء ﴿طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ وهم المؤمنون فكانوا يميدون تحت الحَجَفِ وتسقط السيوف منهم ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي حملتهم على الهم فلا رغبة لهم إلا نجاتها دون النبي وأصحابه فلم يناموا وهم المنافقون ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ﴾ ظناً ﴿غَيْرَ﴾ الظن ﴿ٱلْحَقِّ ظَنَّ﴾ أي كظن ﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ حيث اعتقدوا أن النبي قتل أو لا ينصر ﴿يَقُولُونَ هَل﴾ ما ﴿لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾ أي النصر الذي وعدناه ﴿من﴾ ﴿شَىْءٍ قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ﴾ بالنصب توكيد والرفع مبتدأ وخبره ﴿لِلَّهِ﴾ أي القضاء له يفعل ما يشاء ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ﴾ يظهرون ﴿لَكَ﴾ ﴿يَقُولُونَ﴾ بيان لما قبله ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ أي لو كان الاختيار إلينا لم نخرج فلم نقتل لكن أخرجنا كرهاً ﴿قل﴾ لهم ﴿لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ﴾ وفيكم من كتب الله عليه القتل ﴿لَبَرَزَ﴾ خرج ﴿ٱلَّذِينَ كُتِبَ﴾ قضى ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ﴾ منكم ﴿إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم فيقتلوا ولم ينجهم قعودهم لأن قضاءه تعالى كائن لا محالة ﴿و﴾ فعل ما فعل بأحد ﴿لِيَبْتَلِىَ﴾ يختبر ﴿ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من الإخلاص والنفاق ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ يميز ﴿مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما في القلوب لا يخفى عليه شيء وإنما يبتلي ليظهر للناس. ﴿١٥٥﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ﴾ عن القتال ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ جمع المسلمين وجمع الكفار بأُحد وهم المسلمون إلا اثني عشر رجلاً ﴿إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ﴾ أزلهم ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بوسوسته ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ من الذنوب وهو مخالفة أمر النبي ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يُعجِّل على العصاة. ﴿١٥٦﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي المنافقين ﴿وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ أي في شأنهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا۟﴾ سافروا ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ فماتوا ﴿أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى﴾ جمع «غازٍ» فقتلوا ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾ أي لا تقولوا كقولهم ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ القول في عاقبة أمرهم ﴿حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ فلا يمنع عن الموت قعود ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به. ﴿١٥٧﴾ ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي الجهاد ﴿أَوْ مُتُّمْ﴾ بضم الميم وكسرها من «مات يموت ويمات» أي أتاكم الموت فيه ﴿لَمَغْفِرَةٌ﴾ كائنة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لذنوبكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ منه لكم على ذلك واللام ومدخولها جواب القسم وهو في موضع الفعل مبتدأ خبره ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الدنيا بالتاء والياء. ﴿١٥٨﴾ ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿مُّتُّمْ﴾ بالوجهين ﴿أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ في الجهاد أو غيره ﴿لَإِلَى ٱللَّهِ﴾ لا

بعث محمد لله آمن به الذين كفروا بعيسى، وكفر به الذين آمنوا بعيسى، فأنزل الله هذه الآية.

اسباب نزول الآية ٢٦٧ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ الآية، روى الحاكم والترمذي وابن ماجه وغيرهم عن البراء قال: نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار كنا أصحاب نخل، وكان الرجل يأتي من نخله على قدر كثرته وقلته، وكان ناس ممن لا يرغب في الخير يأتي الرجل بالقنو فيه الشيص والحشف وبالقنو قد انكسر فيعلقه، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ الآية. وروى أبو داود والنسائي والحاكم عن سهل بن حنيف قال: كان الناس يتيممون شر ثمارهم يخرجونها في الصدقة فنزلت ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ وروى الحاكم عن جابر قال: أمر النبي ﷺ بزكاة الفطر بصاع من تمر، فجاء رجل بتمر رديء فنزل القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ الآية روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يشترون الطعام الرخيص ويتصدقون به، فأنزل الله هذه الآية.

اسباب نزول الآية ٢٧٢ ـ قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ الآية، روى النسائي والحاكم والبزار والطبراني وغيرهم عن ابن عباس قال: كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين، فسألوا فرخص

إلى غيره ﴿تُحْشَرُونَ﴾ في الآخرة فيجازيكم. (١٥٩) ﴿فَبِمَا﴾ «ما» زائدة ﴿رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ﴾ يا محمد ﴿لَهُمْ﴾ أي سهلت أخلاقك إذ خالفوك ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ سيّىء الخلق ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ جافياً فأغلظت لهم ﴿لَٱنفَضُّوا۟﴾ تفرقوا ﴿مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ﴾ تجاوز ﴿عَنْهُمْ﴾ ما أتوه ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذنبهم حتى أغفر لهم ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ استخرج آراءهم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أي شأنك من الحرب وغيره تطيباً لقلوبهم وليُستَنّ بك وكان ﷺ كثير المشاورة لهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ على إمضاء ما تريد بعد المشاورة ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ ثق به بعد المشاورة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ عليه. (١٦٠) ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ﴾ يُعنكم على عدوكم كيوم بدر ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ﴾ يترك نصركم كيوم أحد ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي بعد خذلانه أي لا ناصر لكم ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ لا غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾ ليثق ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾. (١٦١) ونزل لما فُقِدَت قطيفة حمراء يوم بدر فقال بعض الناس: لعل النبي أخذها: ﴿وَمَا كَانَ﴾ ما ينبغي ﴿لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾ يخون في الغنيمة فلا تظنوا به ذلك، وفي قراءة بالبناء للمفعول أي ينسب إلى الغلول ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ حاملاً له على عنقه ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ الغال وغيره جزاء ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً. (١٦٢) ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ فأطاع ولم يَغُل ﴿كَمَنۢ بَآءَ﴾ رجع ﴿بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ لمعصيته وغلوله ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع هي؟ لا (١٦٣) ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ أي أصحاب درجات ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي مختلفو المنازل فلمن اتبع رضوانه الثواب ولمن باء بسخطه العقاب ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به. (١٦٤) ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي عربياً مثلهم ليفهموا عنه ويَشْرُفُوا به لا ملكاً ولا أعجمياً ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الذنوب ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ السنة ﴿وَإِن﴾ مخففة أي إنهم ﴿كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل بعثه ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيّن. (١٦٥) ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ بأُحد بقتل سبعين منكم ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ ببدر بقتل سبعين وأسر سبعين منهم ﴿قُلْتُمْ﴾ متعجبين ﴿أَنَّىٰ﴾ من أين لنا ﴿هَٰذَا﴾ الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا؟ والجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ لأنكم تركتم المركز فخُذلتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النصر ومنعه وقد جازاكم بخلافكم. (١٦٦) ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ بأُحد ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ الله علم ظهور ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حقاً. (١٦٧) ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ﴾ الذين ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾ لما انصرفوا عن القتال وهم عبد الله بن أُبيّ وأصحابه ﴿تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أعداءه ﴿أَوِ ٱدْفَعُوا۟﴾ عنا القوم بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا ﴿قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ﴾ نحسن ﴿قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾ قال تعالى تكذيباً لهم: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ بما أظهروا من خذلانهم للمؤمنين وكانوا قبل أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ ولو علموا قتالاً لم يتبعوكم ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من النفاق. (١٦٨) ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من «الذين» قبله أو نعت ﴿قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾ في الدين ﴿وَ﴾ قد ﴿قَعَدُوا۟﴾ عن الجهاد ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ أي شهداء أُحد أو إخواننا في القعود ﴿مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ﴾ لهم ﴿فَٱدْرَءُوا۟﴾ ادفعوا ﴿عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أن القعود ينجي منه. (١٦٩) ونزل في الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي لأجل دينه ﴿أَمْوَٰتًا ۚ بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ «أرواحهم في حواصل طيور

لباب النقول في أسباب النزول
سورة البقرة

لهم، فنزلت هذه الآية ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس «أن النبي ﷺ كان يأمر أن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام»، فنزلت ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ الآية. فأمر بالتصدق على كل من سأل من كل دين.

أسباب نزول الآية ٢٧٤ - قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ الآية أخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن يزيد بن عبد الله بن غريب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: نزلت هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ في أصحاب الخيل. يزيد وأبوه مجهولان. وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني بسند ضعيف عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب، كانت معه أربعة دراهم فأنفق بالليل درهماً وبالنهار درهماً وسراً درهماً وعلانية درهماً. وأخرج ابن المنذر عن ابن المسيب قال: الآية نزلت في عبد الرحمٰن بن عوف وعثمان بن عفان في نفقتهم في جيش العسرة.

أسباب نزول الآية ٢٧٨ - قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟﴾ الآية. أخرج أبو يعلى في «مسنده» وابن منده من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: بلغنا أن هذه الآية نزلت في بني عمرو بن عوف من ثقيف. وفي بني المغيرة. وكانت بنو المغيرة يربون لثقيف فلما أظهر الله

خضر تسرح في الجنة حيث شاءت» كما ورد في الحديث ﴿يُرْزَقُونَ﴾ يأكلون من ثمار الجنة. (١٧٠) ﴿فَرِحِينَ﴾ حال من ضمير «يرزقون» ﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ هم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون ﴿بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾ من إخوانهم المؤمنين ويبدل من «الذين» ﴿أَن﴾ ن أي بأن ﴿لَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي الذين لم يلحقوا بهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة المعنى يفرحون بأمنهم وفرحهم. (١٧١) ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ﴾ ثواب ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ زيادة عليه ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح عطفاً على «نعمة» والكسر استئنافاً ﴿ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بل يأجرهم. (١٧٢) ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ دعاءه بالخروج للقتال لما أراد أبو سيفان وأصحابه العَوْدَ وتواعدوا مع النبي ﷺ وأصحابه سوق بدر العام المقبل من يوم أُحد ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ بأُحد وخبر المبتدأ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ مخالفته ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هو الجنة. (١٧٣) ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من «الذين» قبله أو نعت ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ أي نعيم بن مسعود الأشجعي ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ أبا سفيان وأصحابه ﴿قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ الجموع ليستأصلوكم ﴿فَٱخْشَوْهُمْ﴾ ولا تأتوهم ﴿فَزَادَهُمْ﴾ ذلك القول ﴿إِيمَٰنًا﴾ تصديقاً بالله ويقيناً ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ كافينا أمرهم ﴿وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ المفوّض إليه الأمر هو، وخرجوا مع النبي ﷺ فوافوا سوق بدر وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه فلم يأتوا وكان معهم تجارات فباعوا وربحوا، قال الله تعالى: (١٧٤) ﴿فَٱنقَلَبُوا۟﴾ رجعوا من بدر ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ بسلامة وربح ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ من قتل أو جرح ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ﴾ بطاعته وطاعة رسوله في الخروج ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ على أهل طاعته. (١٧٥) ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ﴾ أي القائل لكم إن الناس الخ ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ﴾ بكم ﴿أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ الكفار ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ في ترك أمري ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حقاً. (١٧٦) ﴿وَلَا يَحْزُنكَ﴾ بضم الياء وكسر الزاي وبفتحها وضم الزاي من «حزنه» لغة في «أحزنه» ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ يقعون فيه سريعاً بنصرته وهم أهل مكة أو المنافقون أي لا تهتم لكفرهم ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ بفعلهم وإنما يضرون أنفسهم ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا﴾ نصيباً ﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي الجنة فلذلك خذلهم الله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النار. (١٧٧) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي أخذوه بدله ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ﴾ بكفرهم ﴿شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم. (١٧٨) ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى﴾ أي إملاءنا ﴿لَهُمْ﴾ بتطويل الأعمار وتأخيرهم ﴿خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ و«أنَّ» ومعمولاها سدت مسد المفعولين في قراءة التحتانية ومسد الثاني في الأخرى ﴿إِنَّمَا نُمْلِى﴾ نمهل ﴿لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ بكثرة المعاصي ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة في الآخرة. (١٧٩) ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ﴾ ليترك ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ﴾ أيها الناس ﴿عَلَيْهِ﴾ من اختلاط المخلص بغيره ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ بالتخفيف والتشديد يُفصِّل ﴿ٱلْخَبِيثَ﴾ المنافق ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ المؤمن بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك ففعل ذلك يوم أحد ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى﴾ يختار ﴿مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ فيطلعه على غيبه كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟﴾ النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. (١٨٠) ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ﴾ بالياء والتاء ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي بزكاته ﴿هُوَ﴾ أي بخلهم ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ مفعول ثان والضمير للفصل والأول «بُخلهم» مقدراً قبل الموصول على

ورسوله على مكة وضع يومئذٍ الربا كله، فأتى بنو عمرو وبنو المغيرة إلى عتاب بن أسيد وهو على مكة، فقال بنو المغيرة: أما جعلنا أشقى الناس الربا، ووضع عن الناس غيرنا، فقال بنو عمرو: صولحنا أن لنا ربانا، فكتب عتاب في ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية والتي بعدها. وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: نزلت هذه الآية في ثقيف منهم مسعود، وحبيب، وربيعة، وعبد ياليل: بنو عمرو، وبنو عمير.

أسباب نزول الآية ٢٨٥ ـ قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ الآية، وروى أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ اشتد ذلك على الصحابة. فأتوا رسول الله ﷺ ثم جثوا على الركب، فقالوا: قد أنزل عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾؟ بل قولوا ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾، فلما اقترأها القوم وذلّت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ الآية، فلما فعلوا ذلك نسخها الله، فأنزل ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلى آخرها. وروى مسلم وغيره عن ابن عباس نحوه.

سورة آل عمران

أخرج ابن أبي حاتم عن الربيع أن النصارى أتوا إلى النبي ﷺ فخاصموه في عيسى،

الفوقانية وقبل الضمير على التحتانية ﴿بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ﴾ أي بزكاته من المال ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يُجْعَلَ حية في عنقه تنهشه كما ورد في الحديث ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يرثهما بعد فناء أهلهما ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم به. (١٨١) ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ وهم اليهود قالوه لما نزل ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥، الحديد: ١١] وقالوا لو كان غنياً ما استقرضنا ﴿سَنَكْتُبُ﴾ نأمر بكتب ﴿مَا قَالُوا﴾ في صحائف أعمالهم ليجازوا عليه وفي قراءة بالياء مبنياً للمفعول ﴿و﴾ نكتب ﴿وَقَتْلَهُمُ﴾ بالنصب والرفع ﴿الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾ بالنون والياء أي الله لهم في الآخرة على لسان الملائكة ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ النار. ويقال لهم: إذا ألقو فيها. (١٨٢) ﴿ذلك﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ عبر بها عن الإنسان لأن أكثر الأفعال تُزاول بها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ أي بذي ظلم ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ فيعذبهم بغير ذنب. (١٨٣) ﴿الَّذِينَ﴾ نعت «للذين» قبله ﴿قَالُوا﴾ لمحمد ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ قد ﴿عَهِدَ إِلَيْنَا﴾ في التوراة ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ نصدقه ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ فلا نؤمن لك حتى تأتينا به وهو ما يتقرب به إلى الله من نعم وغيرها فإن قُبِلَ جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقته وإلا بقي مكانه وعَهِدَ إلى بني إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد قال تعالى ﴿قل﴾ لهم توبيخاً ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات ﴿وَبِالَّذِي قُلْتُمْ﴾ كزكريا ويحيى فقتلتموهم والخطاب لمن في زمن نبينا محمد ﷺ وإن كان الفعل لأجدادهم لرضاهم به ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنكم تؤمنون عند الإتيان به؟ (١٨٤) ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُو بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿وَالزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وَالْكِتَابِ﴾ وفي قراءة بإثبات الباء فيهما [وبالزبر وبالكتاب] ﴿الْمُنِيرِ﴾ الواضح هو التوراة والإنجيل فاصبر كما صبروا. (١٨٥) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾ جزاء أعمالكم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ﴾ بُعْدَ ﴿عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ نال غاية مطلوبة ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أي العيش فيها ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ الباطل يُتَمَتَّعُ به قليلاً ثم يفنى. (١٨٦) ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين، لتُختَبَرُنَّ ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بالفرائض فيها والجوائح ﴿وَأَنفُسِكُمْ﴾ بالعبادات والبلاء ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ اليهود والنصارى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ من العرب ﴿أَذًى كَثِيرًا﴾ من السب والطعن والتشبيب بنسائكم ﴿وَإِن تَصْبِرُوا﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله ﴿فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: من معزوماتها التي يُعزم عليها لوجوبها. (١٨٧) ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي العهد عليهم في التوراة ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾ أي الكتاب ﴿لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ أي الكتاب بالتاء والياء بالفعلين ﴿فَنَبَذُوهُ﴾ طرحوا الميثاق ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ فلم يعملوا به ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ﴾ أخذوا بدله ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا من سفلتهم برياستهم في العلم فكتموه خوف فوته عليهم ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ شراؤهم هذا. (١٨٨) ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ بالتاء والياء ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا﴾ فعلوا في إضلال الناس ﴿وَيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من التمسك بالحق وهم على ضلال ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ بالوجهين تأكيد ﴿بِمَفَازَةٍ﴾ بمكان ينجون فيه ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ في الآخرة بل هم في مكان يعذبون فيه وهو جهنم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم فيها، ومفعولا

لباب النقول في أسباب النزول
سورة آل عمران

فأنزل الله ﴿الم ۝١ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝٢﴾ إلى بضع وثمانين آية منها. وقال ابن إسحاق: حدثني محمد بن سهل بن أبي أمامة قال: لما قدم أهل نجران على رسول الله ﷺ يسألونه عن عيسى ابن مريم، نزلت فيهم فاتحة آل عمران إلى رأس الثمانين منها: أخرجه البيهقي في «الدلائل».

أسباب نزول الآية ١٢ - قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾. روى أبو داود في «سننه» والبيهقي في «الدلائل» من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس «أن رسول الله ﷺ لما أصاب ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع» وقال: يا معشر يهود، أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشاً، فقالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل الله ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾. وأخرج ابن المنذر عن عكرمة قال فنحاص اليهودي يوم بدر: لا يغرنَّ محمداً أن قتل قريشاً وغلبها إن قريشاً لا تحسن القتال، فنزلت هذه الآية.

أسباب نزول الآية ٢٣ - قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم وابن المنذر عن عكرمة عن ابن عباس قال: دخل رسول الله ﷺ بيت المدارس على جماعة من

«تحسب» الأولى دل عليهما مفعولا الثانية على قراءة التحتانية وعلى الفوقانية حذف الثاني فقط. (١٨٩) ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيب الكافرين وإنجاء المؤمنين. (١٩٠) ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وما فيهما من العجائب ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ بالمجيء والذهاب والزيادة والنقصان ﴿لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ لذوي العقول. (١٩١) ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نعت لما قبله أو بدل ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ مضطجعين أي في كل حال، وعن ابن عباس: يصلُّون كذلك حسب الطاقة ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ليستدلوا به على قدرة صانعهما يقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا﴾ الخلق الذي نراه ﴿بَٰطِلًا﴾ حال، عبثاً بل دليلاً على كمال قدرتك ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك عن العبث ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾. (١٩٢) ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ﴾ للخلود فيها ﴿فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ أهنته ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين، فيه وضع الظاهر موضع المضمر إشعاراً بتخصيص الخزي بهم ﴿من﴾ زائدة ﴿أَنصَارٍ﴾ يمنعونهم من عذاب الله تعالى. (١٩٣) ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى﴾ يدعو الناس ﴿لِلْإِيمَٰنِ﴾ أي إليه وهو محمد أو القرآن ﴿أن﴾ أي بأن ﴿ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾ به ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ﴾ حطَّ ﴿عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ فلا تظهرها بالعقاب عليها ﴿وَتَوَفَّنَا﴾ اقبض أرواحنا ﴿مع﴾ في جملة ﴿ٱلْأَبْرَارِ﴾ الأنبياء والصالحين. (١٩٤) ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا﴾ أعطنا ﴿مَا وَعَدتَّنَا﴾ به ﴿عَلَىٰ﴾ ألسنة ﴿رُسُلِكَ﴾ من الرحمة والفضل وسؤالهم ذلك ـ وإن كان وعده تعالى لا يُخْلَفُ ـ سؤال أن يجعلهم من مستحقيه لأنهم لم يتيقنوا استحقاقهم له وتكرير «ربنا» مبالغة في التضرع ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ الوعد بالبعث والجزاء. (١٩٥) ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ دعاءهم ﴿أَنِّى﴾ أي بأني ﴿لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم﴾ كائن ﴿مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي الذكور من الإناث وبالعكس والجملة مؤكدة لما قبلها أي هم سواء في المجازاة بالأعمال وترك تضييعها، نزلت لما قالت أم سلمة يا رسول الله إني لا أسمع ذكر النساء في الهجرة بشيء ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾ من مكة إلى المدينة ﴿وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى﴾ ديني ﴿وَقَٰتَلُوا۟﴾ الكفار ﴿وَقُتِلُوا۟﴾ بالتخفيف والتشديد [وقُتلوا] وفي قراءة بتقديمه [وقتلوا وقاتلوا] ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ أسترها بالمغفرة ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا﴾ مصدر من معنى «لأكفرن» مؤكد له ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فيه التفات عن التكلم ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ الجزاء. (١٩٦) ونزل لما قال المسلمون: أعداء الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ تصرفهم ﴿فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ بالتجارة والكسب. (١٩٧) هو: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾ يتمتعون به يسيراً في الدنيا ويفنى ﴿ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ الفراش هي. (١٩٨) ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ﴾ أي مقدّرين الخلود ﴿فِيهَا نُزُلًا﴾ هو ما يعد للضيف ونصبه على الحال من «جنّات» والعامل فيها معنى الظرف ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ من متاع الدنيا. (١٩٩) ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه والنجاشي ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أي القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي التوراة والإنجيل ﴿خَٰشِعِينَ﴾ حال من ضمير «يؤمن» مراعى فيه معنى «من» أي: متواضعين ﴿لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ التي عندهم في التوراة والإنجيل من بعث النبي ﷺ: ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من

اليهود، فدعاهم إلى الله، فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت يا محمد؟ قال: على ملة إبراهيم ودينه، قال: فإن إبراهيم كان يهودياً، فقال لهما رسول الله ﷺ: فهلمّا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبيا عليه، فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ﴾ إلى قوله: ﴿يَفْتَرُونَ﴾.

أسباب نزول الآية ٢٦ ـ قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك الروم وفارس في أمته، فأنزل الله ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ٢٨ ـ قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ﴾ الآية، أخرج ابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: كان الحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق وقيس بن زيد قد بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم. فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعد بن حثمة لأولئك النفر اجتنبوا هؤلاء النفر من يهود، واحذروا مباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم فأبوا، فأنزل الله فيهم ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

أسباب نزول الآية ٣١ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ الآية، أخرج ابن المنذر عن الحسن قال: قال أقوام على عهد نبينا: والله يا محمد إنا لنحب ربنا، فأنزل الله ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى﴾ الآية.

الدنيا بأن يكتموها خوفاً على الرياسة كفعل غيرهم من اليهود ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يؤتونه مرتين كما في «القصص» [٥٠ ـ ٥٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا. (٢٠٠) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ على الطاعات والمصائب وعن المعاصي ﴿وَصَابِرُوا﴾ الكفار فلا يكونوا أشد صبراً منكم ﴿وَرَابِطُوا﴾ أقيموا على الجهاد ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في جميع أحوالكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون بالجنة وتنجون من النار.

٤ ـ سورة النساء

مدنية وآياتها ١٧٦ خمس أو ست أو سبع وسبعون آية
نزلت بعد الممتحنة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(١) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ من أهل مكة ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ أي عقابه بأن تطيعوه ﴿الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء بالمد من ضلع من أضلاعه اليسرى ﴿وَبَثَّ﴾ فرق ونشر ﴿مِنْهُمَا﴾ من آدم وحواء ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ كثيرة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في السين، وفي قراءة بالتخفيف بحذفها أي تتساءلون ﴿به﴾ فيما بينكم حيث يقول بعضكم لبعض «أسألك بالله» و«أنشدك بالله» ﴿و﴾ اتقوا ﴿الْأَرْحَامَ﴾ أن تقطعوها، وفي قراءة بالجر عطفاً على الضمير في «به»، وكانوا يتناشدون بالرحم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ حافظاً لأعمالكم فيجازيكم بها، أي لم يزل متصفاً بذلك. (٢) ونزل في يتيم طلب من وليه ماله فمنعه ﴿وَآتُوا الْيَتَامَىٰ﴾ الصغار الذين لا أب لهم ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾ إذا بلغوا ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ﴾ الحرام ﴿بِالطَّيِّبِ﴾ الحلال أي تأخذوه بدله كما تفعلون من أخذ الجيد من مال اليتيم وجعل الرديء من مالكم مكانه ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ﴾ مضمومة ﴿إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ﴾ أي أكلها ﴿كَانَ حُوبًا﴾ ذنباً ﴿كَبِيرًا﴾ عظيماً. ولما نزلت تحرجوا من ولاية اليتامى وكان فيهم من تحته العشر أو الثمان من الأزواج فلا يعدل بينهن فنزل: (٣) ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَ﴾ ن ﴿لا تُقْسِطُوا﴾ تعدلوا ﴿فِي الْيَتَامَىٰ﴾ فتحرجتم من أمرهم فخافوا أيضاً أن لا تعدلوا بين النساء إذا نكحتموهن ﴿فَانكِحُوا﴾ تزوجوا ﴿ما﴾ بمعنى «من» ﴿طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ أي اثنتين اثنتين وثلاثاً ثلاثاً وأربعاً أربعاً ولا تزيدوا على ذلك ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَ﴾ ن ﴿لا تَعْدِلُوا﴾[1] فيهن بالنفقة والقَسْم ﴿فَوَاحِدَةً﴾ انكحوها ﴿أو﴾ اقتصروا على ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الإماء إذ ليس لهن من الحقوق ما للزوجات ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي نكاح الأربع فقط أو الواحدة أو التسري ﴿أَدْنَىٰ﴾ أقرب إلى ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ تجوروا. (٤) ﴿وَآتُوا﴾ أعطوا ﴿النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ﴾ جمع «صَدُقَة» «مهورهن» ﴿نِحْلَةً﴾[2] مصدر عطية عن طيب نفس ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن

---

(١) ﴿تَعْدِلُوا﴾: تميلوا بلغة جرهم.

(٢) ﴿نِحْلَةً﴾: فريضة بلغة قيس غيلان.

أسباب نزول الآية ٥٨ ـ قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾.

أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: أتى رسول الله ﷺ راهبا نجران، فقال أحدهما من أبو عيسى؟ وكان رسول الله ﷺ لا يعجل حتى يؤامر ربه، فنزل عليه ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (٥٨)﴾ إلى ﴿مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ وأخرج من طريق العوفي عن ابن عباس قال: إن رهطاً من نجران قدموا على النبي ﷺ، وكان فيهم السيد والعاقب، فقالوا ما شأنك تذكر صاحبنا؟ قال من هو؟ قالوا: عيسى تزعم أنه عبد الله، فقال: أجل، فقالوا: فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به؟ ثم خرجوا من عنده، فجاءه جبريل فقال: قل لهم إذا أتوك: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾: إلى قوله: ﴿مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾. وأخرج البيهقي في «الدلائل» من طريق مسلمة بن عبد يشوع عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان «باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب من محمد النبي» الحديث وفيه فبعثوا إليه شرحبيل بن وداعة الهمداني، وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي وجباراً الحرثي، فانطلقوا فأتوه فسألهم وسألوه، فلم يزل به وبهم المسألة، حتى قالوا: ما تقول في عيسى؟ قال: ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم فأصبح الغد وقد أنزل الله هذه الآيات ـ إن مثل عيسى عند الله ـ إلى قوله ـ فنجعل لعنة الله على الكاذبين.

شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ تمييز محول عن الفاعل، أي طابت أنفسهن لكم عن شيء من الصداق فوهبنه لكم ﴿فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا﴾ طيباً ﴿مَّرِيٓـًٔا﴾ محمود العاقبة لا ضرر فيه عليكم في الآخرة نزلت رداً على من كره ذلك. ﴿٥﴾ ﴿وَلَا تُؤْتُوا﴾ أيها الأولياء ﴿ٱلسُّفَهَآءَ﴾ المبذّرين من الرجال والنساء والصبيان ﴿أَمْوَٰلَكُمُ﴾ أي أموالكم التي في أيديكم ﴿ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾ مصدر «قام» أي تقوم بمعاشكم وصلاح أولادِكم فيضيعوها في غير وجهها، وفي قراءة «قِيَماً» جمع «قيمة» ما تقوم به الأمتعة ﴿وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ أطعموهم منها ﴿وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ عِدُوهم عِدَةً جميلة بإعطائهم أموالهم إذا رشدوا. ﴿٦﴾ ﴿وَٱبْتَلُوا۟﴾ اختبروا ﴿ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ قبل البلوغ في دينهم وتصرفهم في أحوالهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ﴾ أي صاروا أهلاً له بالاحتلام أو السن وهو استكمال خمس عشرة سنة عند الشافعي ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم﴾ أبصرتم ﴿مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾ صلاحاً في دينهم ومالهم ﴿فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ﴾ أيها الأولياء ﴿إِسْرَافًا﴾ بغير حق حال ﴿وَبِدَارًا﴾ أي مبادرين إلى إنفاقها مخافة ﴿أَن يَكْبَرُوا۟﴾ رشداء فيلزمكم تسليمها إليهم ﴿وَمَن كَانَ﴾ من الأولياء ﴿غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ أي يَعِفّ عن مال اليتيم ويمتنع من أكله ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ﴾ منه ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ بقدر أجرة عمله ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أي إلى اليتامى ﴿أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ أنهم تسلموها وبرئتم لئلا يقع اختلاف فترجعوا إلى البينة وهذا أمر إرشاد ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ الباء زائدة ﴿حَسِيبًا﴾ حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم. ﴿٧﴾ ونزل رداً لما كان عليه الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار ﴿لِّلرِّجَالِ﴾ الأولاد والأقرباء ﴿نَصِيبٌ:﴾ حظٌّ ﴿مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ المتوفون ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾ أي المال ﴿أَوْ كَثُرَ﴾ جعله الله ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ مقطوعاً بتسليمه إليهم. ﴿٨﴾ ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ للميراث ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ذوو القرابة ممن لا يرث ﴿وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ شيئاً قبل القسمة ﴿وَقُولُوا۟﴾ أيها الأولياء ﴿لَهُمْ﴾ إذا كان الورثة صغاراً ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ جميلاً بأن تعتذروا إليهم أنكم لا تملكونه وأنه للصغار وهذا قيل إنه منسوخ وقيل لا ولكن تهاون الناس في تركه وعليه فهو ندب وعن ابن عباس: واجب. ﴿٩﴾ ﴿وَلْيَخْشَ﴾ أي ليخف على اليتامى ﴿ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟﴾ أي قاربوا أن يتركوا ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي بعد موتهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا﴾ أولاداً صغاراً ﴿خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ الضياع ﴿فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في أمر اليتامى وليأتوا إليهم ما يحبون أن يُفْعَل بذريتهم من بعدهم ﴿وَلْيَقُولُوا۟﴾ لميّت ﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ صواباً بأن يأمروه أن يتصدق بدون ثلثه ويدع الباقي لورثته ولا يتركهم عالة. ﴿١٠﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ظُلْمًا﴾ بغير حق ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ﴾ أي ملأها ﴿نَارًا﴾ لأنه يؤول إليها ﴿وَسَيَصْلَوْنَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول يدخلون ﴿سَعِيرًا﴾ ناراً شديدة يحترقون فيها. ﴿١١﴾ ﴿يُوصِيكُمُ﴾ يأمركم ﴿ٱللَّهُ فِىٓ﴾ شأن ﴿أَوْلَـٰدِكُمْ﴾ بما يذكر ﴿لِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلُ حَظِّ﴾ نصيب ﴿ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ إذا اجتمعتا معه فله نصف المال ولهما النصف فإن كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان وإن انفرد حاز المال ﴿فَإِن كُنَّ﴾ أي الأولاد ﴿نِسَآءً﴾ فقط ﴿فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ الميت وكذا الاثنتان لأنه للأختين بقوله «فلهما الثلثان مما ترك» فهما أولى ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر فمع الأنثى أولى «وفوق» قيل صلة وقيل لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد لمّا فُهِمَ استحقاق البنتين الثلثين من جعل الثلث للواحدة مع الذكر ﴿وَإِن كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَٰحِدَةً﴾ وفي قراءة بالرفع

لباب النقول في أسباب النزول
سورة آل عمران

وأخرج ابن سعد في «الطبقات» عن الأزرق بن قيس قال: قدم على النبي ﷺ أسقف نجران والعاقب، فعرض عليهما الإسلام فقالا: إنا كنا مسلمين قبلك، قال كذبتما، إنه منع منكما الإسلام ثلاث: قولكما اتخذ الله ولداً، وأكلكما لحم الخنزير، وسجودكما للصنم، قالا فمن أبو عيسى، فما درى رسول الله ﷺ ما يرد عليهم حتى أنزل الله ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ فدعاهما إلى الملاعنة فأبيا وأقرا بالجزية ورجعا.

أسباب نزول الآية ٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ﴾ الآية، روى ابن إسحٰق بسنده المتكرر إلى ابن عباس قال اجتمعت نصارى نجران، وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا عنده فقالت الأحبار ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانياً، فأنزل الله ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ﴾ الآية، أخرجه البيهقي في «الدلائل».

أسباب نزول الآية ٧٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ﴾ الآية، روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: قال عبد الله بن الصيف وعدي بن زيد، والحارث بن عوف بعضهم لبعض: تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع، فيرجعون عن دينهم، فأنزل الله فيهم: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ

[واحدةٌ] «فكان» تامة ﴿فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ﴾ أي الميت ويبدل منهما ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ ذكر أو أنثى ونكتة البدل إفادة أنهما لا يشتركان فيه وألحق بالولد ولد الابن وبالأب الجد ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ﴾ فقط أو مع زوج ﴿فَلِأُمِّهِ﴾ بضم الهمزة وكسرها فراراً من الانتقال من ضمة إلى كسرة لثقله في الموضعين ﴿ٱلثُّلُثُ﴾ أي ثلث المال أو ما يبقى بعد الزوج والباقي للأب ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ﴾ أي اثنان فصاعداً ذكورٌ أو إناث ﴿فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ والباقي للأب ولا شيء للإخوة وإرث من ذكر ما ذُكر ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ تنفيذ ﴿وَصِيَّةٍ يُوصِى﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿بِهَآ أَوْ﴾ قضاء ﴿دَيْنٍ﴾ عليه وتقديم الوصية على الدين وإن كانت مؤخرة عنه في الوفاء للاهتمام بها ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ مبتدأ خبره ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ في الدنيا والآخرة فظان أن ابنه أنفع له فيعطيه الميراث فيكون الأب أنفع وبالعكس وإنما العالِمُ بذلك هو الله ففرض لكم الميراث ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبَّره لهم أي: لم يزل متصفاً بذلك. ﴿١٢﴾ ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم أو من غيركم ﴿فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ وألحق بالولد في ذلك ولد الابن بالإجماع ﴿وَلَهُنَّ﴾ أي الزوجات تعددن أو لا ﴿ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ منهن أو من غيرهن ﴿فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ وولد الابن في ذلك كالولد إجماعاً ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ﴾ صفة والخبر ﴿كَلَٰلَةً﴾ أي لا والد له ولا ولد ﴿أَوِ ٱمْرَأَةٌ﴾ تورث كلالة ﴿وَلَهُۥٓ﴾ أي للموروث كلالة ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ أي من أم وقرأ به ابن مسعود وغيره ﴿فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ مما ترك ﴿فَإِن كَانُوٓاْ﴾ أي الإخوة والأخوات من الأم ﴿أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ﴾ أي من واحد ﴿فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ﴾ يستوي فيه ذَكَرُهم وأنثاهم ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ حال من ضمير «يوصى» أي غير مدخل الضرر على الورثة بأن يوصي بأكثر من الثلث ﴿وَصِيَّةً﴾ مصدر مؤكد «ليوصيكم» ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما دبره لخلقه من الفرائض ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عمن خالفه، وخصت السنة توريث من ذكر بمن ليس فيه مانع من قتل أو اختلاف دين أو رقٍّ. ﴿١٣﴾ ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة من أمر اليتامى وما بعده ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ شرائعه التي حدَّها لعباده ليعملوا بها ولا يتعدوها ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فيما حكم به ﴿يُدْخِلْهُ﴾ بالياء والنون التفاتاً ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. ﴿١٤﴾ ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ﴾ بالوجهين [يدخله وندخله] ﴿نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ﴾ فيها ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة وروعي في الضمائر في الآيتين لفظ «من» وفي «خالدين» معناها. ﴿١٥﴾ ﴿وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ الزنا ﴿مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ أي من رجالكم المسلمين ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ عليهن بها ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ احبسوهن ﴿فِى ٱلْبُيُوتِ﴾ وامنعوهن من مخالطة الناس ﴿حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ﴾ أي ملائكته ﴿أَوْ﴾ إلى أن ﴿يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾[1] طريقاً إلى الخروج منها أُمِرُوا بذلك أول الإسلام ثم جعل لهن

(١) ﴿سَبِيلًا﴾: مخرجاً بلغة قريش.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة آل عمران

﴿بِٱلْبَٰطِلِ﴾ إلى قوله: ﴿وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي عن أبي مالك قال: كانت اليهود تقول أحبارهم للذين من دونهم: لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم، فأنزل الله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾.

أسباب نزول الآية ٧٧ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ الآية، روى الشيخان وغيرهما أن الأشعث قال: كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني فقدمته إلى النبي ﷺ، فقال ألك بينة؟ قلت لا، فقال لليهودي احلف، فقلت: يا رسول الله إذن يحلف فيذهب مالي، فأنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى آخر الآية. وأخرج البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى أن رجلاً أقام سلعة له في السوق فحلف بالله لقد أعطي بها ما لم يعطه ليوقع فيها رجلاً من المسلمين فنزلت هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾. قال الحافظ ابن حجر في «شرح البخاري»: لا منافاة بين الحديثين، بل يحمل على أن النزول كان بالسببين معاً. وأخرج ابن جرير عن عكرمة: إن الآية نزلت في حيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف وغيرهما من اليهود الذين كتموا ما أنزل الله في التوراة وبدَّلوه وحلفوا أنه من عند الله. قال الحافظ ابن حجر: الآية محتملة، لكن العمدة في ذلك ما ثبت في الصحيح.

أسباب نزول الآية ٧٩ ـ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ الآية، أخرج ابن إسحاق والبيهقي عن

سبيلاً بجلد البكر مائة وتغريبها عاماً ورجم المحصنة، وفي الحديث لِمَا بين الحد قال «خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلاً» رواه مسلم. (١٦) ﴿وَٱلَّذَانِ﴾ بتخفيف النون وتشديدها ﴿يَأْتِيَٰنِهَا﴾ أي الفاحشة الزنا أو اللواط ﴿مِنكُمْ﴾ أي الرجال ﴿فَـَٔاذُوهُمَا﴾ بالسب والضرب بالنعال ﴿فَإِن تَابَا﴾ منها ﴿وَأَصْلَحَا﴾ العمل ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمَآ﴾ ولا تؤذوهما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا﴾ على من تاب ﴿رَّحِيمًا﴾ به وهذا منسوخ بالحد إن أريد بها الزنا وكذا إن أريد بها اللواط عند الشافعي لكن المفعول به لا يرجم عنده ـ وإن كان محصناً ـ بل يجلد ويغرب، وإرادة اللواط أظهر بدليل تثنية الضمير والأول قال أراد الزاني والزانية ويرده تبيينهما «بمن» المتصلة بضمير الرجال واشتراكهما في الأذى والتوبة والإعراض وهو مخصوص بالرجال لما تقدم في النساء من الحبس. (١٧) ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي التي كتب على نفسه قبولها بفضله ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ﴾ المعصية ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ حال أي جاهلين إذ عصوا ربهم ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن﴾ زمن ﴿قَرِيبٍ﴾ قبل أن يغرغروا ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يقبل توبتهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه بهم. (١٨) ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ الذنوب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ وأخذ في النزع ﴿قَالَ﴾ عند مشاهدة ما هو فيه ﴿إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ فلا ينفعه ذلك ولا يقبل منه ﴿وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ إذا تابوا في الآخرة عند معاينة العذاب لا تقبل منهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا﴾ أعددنا ﴿لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً. (١٩) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ﴾ أي ذاتهن ﴿كَرْهًا﴾ بالفتح والضم لغتان أي مكرهين على ذلك كانوا في الجاهلية يرثون نساء أقربائهم فإن شاؤوا تزوجوهن بلا صداق أو زَوَّجوهن وأخذوا صداقهن أو عضلوهن حتى يفتدين بما ورثنه أو يمتن فيرثوهن فنهوا عن ذلك ﴿وَلَا﴾ أن ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي تمنعوا أزواجكم عن نكاح غيركم بإمساكهن ولا رغبة لكم فيهن ضراراً ﴿لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهر ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ بفتح الياء وكسرها أي بينت أو هي بينة أي زنا أو نشوز فلكم أن تضاروهن حتى يفتدين منكم ويختلعن ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي بالإجمال في القول والنفقة والمبيت ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فاصبروا ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ولعله يجعل فيهن ذلك بأن يرزقكم منهن ولداً صالحاً. (٢٠) ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ﴾ أي أخذ بدلها بأن طلقتموها ﴿و﴾ قد ﴿ءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ﴾ أي الزوجات ﴿قِنطَارًا﴾ مالاً كثيراً صداقاً ﴿فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا﴾ ظلماً ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ بيّناً؟ ونصبهما على الحال والاستفهام للتوبيخ وللإنكار في قوله: (٢١) ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ﴾ أي بأي وجه ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ﴾[1] وصل ﴿بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ بالجماع المقرر للمهر ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا﴾ عهداً ﴿غَلِيظًا﴾ شديداً وهو ما أمر الله به من إمساكهن بمعروف أو تسريحهن بإحسان. (٢٢) ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا﴾ بمعنى «من» ﴿نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا﴾ لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ من فعلكم ذلك فإنه معفو عنه ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي نكاحهن ﴿كَانَ فَٰحِشَةً﴾ قبيحاً ﴿وَمَقْتًا﴾ سبباً للمقت من الله وهو أشد البغض ﴿وَسَآءَ﴾ بئس ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً ذلك. (٢٣) ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ﴾ أن تنكحوهن

(١) ﴿أَفْضَىٰ﴾: الإفضاء الجماع بلغة خزاعة.

ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ، ودعاهم إلى الإسلام أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى؟ قال ﷺ: معاذ الله، فأنزل الله في ذلك ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ إلى قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾. وأخرج عبد الرزاق في «تفسيره» عن الحسن قال: بلغني أن رجلاً قال يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك؟ قال: لا ولكن أكرموا نبيكم واعرفوا الحق لأهله، فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله، فأنزل الله ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ إلى قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

اسباب نزول الآية ٨٦ ـ قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا﴾ الآيات، روى النسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتدّ ثم ندم فأرسل إلى قومه أرسلوا إلى رسول الله ﷺ هل لي من توبة؟ فنزلت ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فأرسل إليه قومه فأسلم. وأخرج مسدد في «مسنده» وعبد الرزاق عن مجاهد قال: جاء الحارث بن سويد فأسلم مع النبي ﷺ ثم كفر، فرجع إلى قومه، فأنزل الله فيه القرآن ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ فحملها إليه رجل من قومه، فقرأها عليه، فقال الحارث: إنك والله ما علمت

وشملت الجدات من قبل الأب أو الأم ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾ وشملت بنات الأولاد وإن سفلن ﴿وَأَخَوَٰتُكُمْ﴾ من جهة الأب أو الأم ﴿وَعَمَّٰتُكُمْ﴾ أي أخوات آبائكم وأجدادكم ﴿وَخَٰلَٰتُكُمْ﴾ أي أخوات أمهاتكم وجداتكم ﴿وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ﴾ ويدخل فيهن أولادهن ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ قبل استكمال الحولين خمس رضعات كما بينه الحديث ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾ ويلحق بذلك بالسنة البنات منها وهن من أرضعتهن موطوءاته والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت منها لحديث «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» رواه البخاري ومسلم ﴿وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ﴾ جمع «ربيبة» وهي بنت الزوجة من غيره ﴿ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ تربونهن صفة موافقة للغالب فلا مفهوم لها ﴿مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ أي جامعتموهن ﴿فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ في نكاح بناتهن إذا فارقتموهن ﴿وَحَلَٰٓئِلُ﴾ أزواج ﴿أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ بخلاف من تبنيتموهم فلكم نكاح حلائلهم ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ من نسب أو رضاع بالنكاح ويلحق بهما بالسنة الجمع بينها وبين عمتها أو خالتها ويجوز نكاح كل واحدة على الانفراد وملكهما معاً ويطأ واحدة ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَا قَدْ سَلَفَ﴾ في الجاهلية من نكاحهم بعض ما ذكر فلا جناح عليكم فيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما سلف منكم قبل النهي ﴿رَّحِيمًا﴾ بكم في ذلك. ﴿٢٤﴾ ﴿و﴾ حرمت عليكم ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ أي ذوات الأزواج ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ أن تنكحوهن قبل مفارقة أزواجهن حرائر مسلمات كن أو لا ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ من الإماء بالسبي فلكم وطؤهن وإن كان لهن أزواج في دار الحرب بعد الاستبراء ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ نصب على المصدر أي كتب ذلك ﴿عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول ﴿لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ أي سوى ما حرم عليكم من النساء ﴿أَن تَبْتَغُوا۟﴾ تطلبوا النساء ﴿بِأَمْوَٰلِكُم﴾ بصداق أو ثمن ﴿مُّحْصِنِينَ﴾ متزوجين ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾[1] زانين ﴿فَمَا﴾ فمن ﴿ٱسْتَمْتَعْتُم﴾ تمتعتم ﴿بِهِۦ مِنْهُنَّ﴾ ممن تزوجتم بالوطء ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن التي فرضتم لهن ﴿فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم﴾ أنتم وهن ﴿بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾ من حطها أو بعضها أو زيادة عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبره لهم. ﴿٢٥﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا﴾ أي غنى لـ﴿أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ الحرائر ﴿ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ هو جريٌ على الغالب فلا مفهوم له ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ ينكح ﴿مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم﴾ فاكتفوا بظاهره وكلوا السرائر إليه فإنه العالم بتفصيلها ورُبَّ أَمَةٍ تفضل الحرة فيه وهذا تأنيس بنكاح الإماء ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي أنتم وهن سواء في الدين فلا تستنكفوا من نكاحهن ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ مواليهن ﴿وَءَاتُوهُنَّ﴾ أعطوهن ﴿أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ من غير مطل ونقص ﴿مُحْصَنَٰتٍ﴾ عفائف حال ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ زانيات جهراً ﴿وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾ أخلاء يزنون بهن سراً ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ زُوِّجن وفي قراءة بالبناء للفاعل تَزَوَّجْنَ ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾ زنا ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ﴾ الحرائر الأبكار إذا زنين ﴿مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ الحد فيجلدن خمسين ويغربن نصف سنة ويقاس عليهن العبيد ولم يجعل الإحصان شرطاً لوجوب

(١) ﴿المسافحة﴾: الزنا بلغة قريش.

لباب النقول في اسباب النزول
سورة آل عمران

لصدوق، وإن رسول الله ﷺ لأصدق منك، وإن الله لأصدق الثلاثة، فرجع فأسلم وحسن إسلامه.

اسباب نزول الآية ٩٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ الآية، أخرج سعيد بن منصور عن عكرمة قال: لما نزلت ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا﴾ الآية، قالت اليهود: فنحن مسلمون، فقال لهم النبي ﷺ: إن الله فرض على المسلمين حج البيت، فقالوا: لم يكتب علينا، وأبوا أن يحجوا، فأنزل الله ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

اسباب نزول الآية ١٠٠ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟﴾ الآية.

أخرج الفريابي وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كانت الأوس والخزرج في الجاهلية بينهم شرٌ، فبينما هم جلوس ذكروا ما بينهم حتى غضبوا، وقام بعضهم إلى بعض بالسلاح، فنزلت ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ الآية والآيتان بعدها.

وأخرج ابن إسحاق وأبو الشيخ عن زيد بن أسلم قال: مرّ شاس بن قيس، وكان يهودياً، على نفر من الأوس والخزرج يتحدثون، فغاظه ما رأى من تآلفهم بعد العداوة، فأمر شاباً معه من يهود أن يجلس بينهم فيذكرهم يَوْمَ بُعَاثٍ، ففعل؛ فتنازعوا وتفاخروا حتى وثب رجلان: أوس بن قيظي من الأوس، وجبار بن صخر من الخزرج، فتقاولا وغضب الفريقان وتواثبوا للقتال، فبلغ ذلك

الحد بل لإفادة أنه لا رجم عليهن أصلاً ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي نكاح المملوكات عند عدم الطول ﴿لِمَنْ خَشِيَ﴾ خاف ﴿ٱلْعَنَتَ﴾ الزنا وأصله المشقة سمي به الزنا لأنه سببها بالحد في الدنيا والعقوبة في الآخرة ﴿مِنكُمْ﴾ بخلاف من لا يخافه من الأحرار فلا يحل له نكاحها وكذا من استطاع طَوْلَ حرة وعليه الشافعي وخرج بقوله «من فتياتكم المؤمنات» الكافرات فلا يحل له نكاحها ولو عدم وخاف ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟﴾ عن نكاح المملوكات ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لئلا يصير الولد رقيقاً ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ بالتوسعة في ذلك. ﴿٢٦﴾ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ شرائع دينكم ومصالح أمركم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ﴾ طرائق ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ من الأنبياء في التحليل والتحريم فتتبعوهم ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ يرجع بكم عن معصيته التي كنتم عليها إلى طاعته ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دبره لكم. ﴿٢٧﴾ ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كرره ليبنى عليه ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ اليهود والنصارى أو المجوس أو الزناة ﴿أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾[1] تعدلوا عن الحق بارتكاب ما حُرم عليكم فتكونوا مثلهم. ﴿٢٨﴾ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ يسهل عليكم أحكام الشرع ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ لا يصبر عن النساء والشهوات. ﴿٢٩﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بالحرام في الشرع كالربا والغصب ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن تَكُونَ﴾ تقع ﴿تِجَٰرَةً﴾ وفي قراءة بالنصب أي تكون الأموال أموال تجارة صادرة ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ وطيب نفس فلكم أن تأكلوها ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ بارتكاب ما يؤدي إلى هلاكها أياً كان في الدنيا أو الآخرة بقرينة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في منعه لكم من ذلك. ﴿٣٠﴾ ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي ما نُهي عنه ﴿عُدْوَٰنًا﴾ تجاوزاً للحلال حال ﴿وَظُلْمًا﴾ تأكيد ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾ ندخله ﴿نَارًا﴾ يحترق فيها ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ هيناً. ﴿٣١﴾ ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ وهي ما ورد عليها وعيد كالقتل والزنا والسرقة، وعن ابن عباس: هي إلى السبعمائة أقرب ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ الصغائر بالطاعات ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا﴾ بضم الميم وفتحها أي إدخالاً أو موضعاً ﴿كَرِيمًا﴾ هو الجنة. ﴿٣٢﴾ ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ من جهة الدنيا أو الدين لئلا يؤدي إلى التحاسد والتباغض ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ ثواب ﴿مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره ﴿وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ من طاعة أزواجهن وحفظ فروجهن، نزلت لما قالت أم سلمة: «ليتنا كنا رجالاً فجاهدنا وكان لنا مثل أجر الرجال» ﴿وَسْـَٔلُوا۟﴾ بهمزة ودونها [وسلوا] ﴿ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ ما احتجتم إليه يعطكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ ومنه محل الفضل وسؤالكم. ﴿٣٣﴾ ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من الرجال والنساء ﴿جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ﴾[2] عَصَبَةً يعطون ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ لهم من المال ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ﴾ بألف ودونها [عقدت] ﴿أَيْمَٰنُكُمْ﴾ جمع «يمين» بمعنى القسم أو اليد أي الحلفاء الذين عاهدتموهم في الجاهلية على النصرة والإرث ﴿فَـَٔاتُوهُمْ﴾ الآن ﴿نَصِيبَهُمْ﴾ حظوظهم من الميراث وهو السدس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾ مطلعاً ومنه حالكم وهذا منسوخ بقوله ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ

---

(١) ﴿تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾: تخطئون خطأ بيناً بلغة سبأ.

(٢) ﴿مَوَٰلِىَ﴾: عصبة بلغة قريش وكذلك في سورة مريم: ﴿وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ﴾ [الآية: ٥].

رسول الله ﷺ فجاء حتى وعظهم وأصلح بينهم، فسمعوا وأطاعوا، فأنزل الله في أوس وجبار ومن كان معهما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية، وفي شاس بن قيس: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ﴾ الآية.

اسباب نزول الآية ١١٣ ـ قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم والطبراني وابن منده في الصحابة عن ابن عباس قال: لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبد، ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام قالت أحبار اليهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد واتبعه إلا أشرارنا، ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله في ذلك ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية. وأخرج أحمد وغيره عن ابن مسعود قال: أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ثم خرج إلى المسجد فإذا الناس ينتظرون الصلاة فقال: أما إنه ليس من أهل هذه الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم، وأنزلت هذه الآية ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ حتى بلغ ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾.

اسباب نزول الآية ١١٨ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟﴾. أخرج ابن جرير وابن إسحاق عن ابن عباس قال: كان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من يهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية، فأنزل الله فيهم

[تَسَوَّى] ومع إدغامها في السين أي تتسوى ﴿بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ بأن يكونوا تراباً مثلها لعظم هوله كما في آية أخرى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ: ٤٠] ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ عما عملوه وفي وقت آخر يكتمونه ويقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]. ﴿٤٣﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي لا تُصَلُّوا ﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ من الشراب لأن سبب نزولها صلاة جماعة في حال السكر ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ بأن تصحوا ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ بإيلاج أو إنزال ونصبه على الحال وهو يطلق على المفرد وغيره ﴿إِلَّا عَابِرِى﴾ مجتازي ﴿سَبِيلٍ﴾ طريق أي مسافرين ﴿حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟﴾ فلكم أن تصلوا واستثناء المسافر لأن له حكماً آخر سيأتي وقيل المراد النهي عن قربان مواضع الصلاة أي المساجد إلا عبورها من غير مكث ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ مرضاً يضره الماء ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي مسافرين وأنتم جنب أو محدثون ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ هو المكان المُعَد لقضاء الحاجة أي أحدث ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ وفي قراءة «لمستم» بلا ألف وكلاهما بمعنى «اللمس» وهو الجس باليد قاله ابن عمر وعليه الشافعي وأُلْحِقَ به الجَسُّ بباقي البشرة وعن ابن عباس: هو الجماع ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً﴾ تتطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش وهو راجع إلى ما عدا المرضى ﴿فَتَيَمَّمُوا۟﴾ اقصدوا بعد دخول الوقت ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ تراباً طاهراً فاضربوا به ضربتين ﴿فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ مع المرفقين منه و«مسح» يتعدى بنفسه وبالحرف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾. ﴿٤٤﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا﴾ حظاً ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وهم اليهود ﴿يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾ بالهدى ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ تخطئوا الطريق الحق لتكونوا مثلهم. ﴿٤٥﴾ ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ﴾ منكم فيخبركم بهم لتجتنبوهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ حافظاً لكم منهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ مانعاً لكم من كيدهم. ﴿٤٦﴾ ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ قوم ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يغيرون ﴿ٱلْكَلِمَ﴾ الذي أنزل الله في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ التي وضع عليها ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للنبي ﷺ إذا أمرهم بشيء ﴿سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ حال بمعنى الدعاء أي «لا سمعتَ» ﴿و﴾ يقولون له ﴿رَٰعِنَا﴾ وقد نهي عن خطابه بها وهي كلمة سب بلغتهم ﴿لَيًّۢا﴾ تحريفاً ﴿بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا﴾ قدحاً ﴿فِى ٱلدِّينِ﴾ الإسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ بدل و«عصينا» ﴿وَٱسْمَعْ﴾ فقط ﴿وَٱنظُرْنَا﴾ انظر إلينا بدل «راعنا» ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ مما قالوه ﴿وَأَقْوَمَ﴾ أعدل منه ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه. ﴿٤٧﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾ من التوراة ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ نمحو ما فيها من العين والأنف والحاجب ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ فنجعلها كالأقفاء لوحاً واحداً ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ نمسخهم قردة ﴿كَمَا لَعَنَّآ﴾ مسخنا ﴿أَصْحَٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ منهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ قضاؤه ﴿مَفْعُولًا﴾ ولما نزلت أسلم عبد الله بن سلام فقيل كان وعيداً بشرط فلما أسلم بعضهم رُفِعَ وقيل يكون طمس ومسخ قبل قيام الساعة. ﴿٤٨﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ﴾ أي الإشراك ﴿بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ﴾ سوى ﴿ذَٰلِكَ﴾ من الذنوب ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾ المغفرة له بأن يدخله الجنة بلا عذاب ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا﴾ ذنباً ﴿عَظِيمًا﴾ كبيراً. ﴿٤٩﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ وهم اليهود حيث قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨] أي ليس الأمر

عن أنس: أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه، فقال: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم، فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ الآية. وروى أحمد والبخاري عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم العن فلاناً، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن سهيل بن عمرو، اللهم العن صفوان بن أمية فنزلت هذه الآية ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ إلى آخرها، فتيب عليهم كلهم، وروى البخاري عن أبي هريرة نحوه قال الحافظ ابن حجر: طريق الجمع بين الحديثين: أنه ﷺ دعا على المذكورين في صلاته بعدما وقع له من الأمر المذكور يوم أحد، فنزلت الآية في الأمرين معاً فيما وقع له وفيما نشأ عنه من الدعاء عليهم، قال: لكن يشكل على ذلك ما وقع في مسلم من حديث أبي هريرة أنه: ﷺ كان يقول في الفجر: اللهم العن رعلاً وذكوان وعصية، حتى أنزل الله عليه ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ ووجه الإشكال أن الآية نزلت في قصة أحد، وقصة رعل وذكوان بعدها، ثم ظهرت لي علة الخبر وأن فيه إدراجاً فإن قوله حتى أنزل الله منقطع من رواية الزهري عمن بلغه بيّن ذلك مسلم وهذا البلاغ لا يصح لما ذكرته قال: ويحتمل أن يقال: إنَّ قصتهم كانت عقب ذلك، وتأخر نزول الآية عن سببها قليلاً ثم نزلت في جميع ذلك قلت ورد في سبب نزولها أيضاً ما أخرجه

بتزكيتهم أنفسهم ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى﴾ يطهر ﴿مَن يَشَآءُ﴾ بالإيمان ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿فَتِيلًا﴾ قدر قشرة النواة. (٥٠) ﴿ٱنظُرْ﴾ متعجباً ﴿كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ بذلك ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ بيّناً. (٥١) ونزل في كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لما قدموا مكة وشاهدوا قتلى بدر وحرضوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبي ﷺ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ صنمان لقريش ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أبي سفيان وأصحابه حين قالوا لهم: أنحن أهدى سبيلاً - ونحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني ونفعل - . . . أم محمد؟ وقد خالف دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم؟ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي أنتم ﴿أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾ أقوم طريقاً. (٥٢) ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ مانعاً من عذابه. (٥٣) ﴿أم﴾ بل أ ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ﴾ أي ليس لهم شيء منه ولو كان ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ أي شيئاً تافهاً قدر النقرة في ظهر النواة لفرط بخلهم. (٥٤) ﴿أم﴾ بل أ ﴿يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ أي النبي ﷺ ﴿عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ من النبوة وكثرة النساء، أي يتمنون زواله عنه ويقولون لو كان نبياً لاشتغل عن النساء ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ جده كموسى وداود وسليمان ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ والنبوة ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ فكان لداود تسع وتسعون امرأة ولسليمان ألف ما بين حُرّةٍ وسُرّية. (٥٥) ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَمِنْهُم مَّن صَدَّ﴾ أعرض ﴿عَنْهُ﴾ فلم يؤمن ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ عذاباً لمن لا يؤمن. (٥٦) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾ ندخلهم ﴿نَارًا﴾ يحترقون فيها ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾ احترقت ﴿جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ بأن تعاد إلى حالها الأول غير محترقة ﴿لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ ليقاسموا شدته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في خلقه. (٥٧) ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ﴾ من الحيض وكل قذر ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ دائماً لا تنسخه شمس هو ظل الجنة. (٥٨) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ﴾ أي ما اؤتمن عليه من الحقوق ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ نزلت لما أخذ علي رضي الله عنه مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة الحجبي سادنها قسراً لما قدم النبي ﷺ مكة عام الفتح ومنعه وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه فأمر رسول الله ﷺ برده إليه وقال «هاك خالدة تالدة» فعجب من ذلك فقرأ له علي الآية فأسلم وأعطاه عند موته لأخيه «شيبة» فبقي في ولده، والآية وإن وردت على سبب خاص فعمومها معتبر بقرينة الجمع ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ يأمركم ﴿أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا﴾ فيه إدغام ميم «نِعْمَ» في «ما» النكره الموصوفة أي «نعم شيئاً» ﴿يَعِظُكُم بِهِۦٓ﴾ تأدية الأمانة والحكم بالعدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا﴾ لما يقال ﴿بَصِيرًا﴾ بما يفعل. (٥٩) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى﴾ وأصحاب ﴿ٱلْأَمْرِ﴾ أي الولاة ﴿مِنكُمْ﴾ إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي إلى كتابه ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ مدة حياته وبعده إلى سنته أي اكشفوا عليه منهما ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ﴾ أي الرد إليهما ﴿خَيْرٌ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً. (٦٠) ونزل لما اختصم يهودي ومنافق فدعا المنافق إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ فأتياه فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وأتيا عمر فذكر له اليهودي ذلك فقال للمنافق أكذلك قال؟ قال نعم

لباب النقول في أسباب النزول
سورة آل عمران

البخاري في «تاريخه» وابن إسحاق عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: جاء رجل من قريش إلى النبي ﷺ، فقال: إنك تنهى عن السب، ثم تحوّل فحوّل قفاه إلى النبي ﷺ، وكشف استه، فلعنه ودعا عليه، فأنزل الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ الآية، ثم أسلم الرجل فحسن إسلامه، مرسل غريب.

اسباب نزول الآية ١٣٠ - قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، أخرج الفريابي عن مجاهد قال: كانوا يتبايعون إلى الأجل فإذا حلّ الأجل زادوا عليهم وزادوا في الأجل فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾، وأخرج أيضاً عن عطاء قال: كانت ثقيف تداين بني النضير في الجاهلية، فإذا جاء الأجل قالوا: نُربيكم وتؤخرون عنا، فنزلت ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾.

اسباب نزول الآية ١٤٠ - قوله تعالى: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾، أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: لما أبطأ على النساء الخبر خرجن ليستخبرن، فإذا رجلان مقبلان على بعير، فقالت امرأة: ما فعل رسول الله ﷺ؟ قالا: حيّ، قالت: فلا أبالي يتخذ الله من عباده الشهداء ونزل القرآن على ما قالت ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾.

اسباب نزول الآية ١٤٣ - قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس: أن رجالاً من الصحابة كانوا يقولون: ليتنا نقتل كما قتل

فقتله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ الكثير الطغيان وهو كعب بن الأشرف ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ ولا يوالوه ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ عن الحق. (٦١) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في القرآن من الحكم ﴿وَإِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ ليحكم بينكم ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ﴾ يُعرضون ﴿عَنكَ﴾ إلى غيرك ﴿صُدُودًا﴾. (٦٢) ﴿فَكَيْفَ﴾ يصنعون ﴿إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ﴾ عقوبة ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ من الكفر والمعاصي أي أيقدرون على الإعراض والفرار منها؟ لا ﴿ثُمَّ جَآءُوكَ﴾ معطوف على «يصدون» ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَآ﴾ بالمحاكمة إلى غيرك ﴿إِلَّآ إِحْسَٰنًا﴾ صلحاً ﴿وَتَوْفِيقًا﴾ تأليفاً بين الخصمين بالتقريب في الحكم دون الحمل على مُرّ الحق. (٦٣) ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وكذبهم في عذرهم ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بالصفح ﴿وَعِظْهُمْ﴾ خوّفهم اللّه ﴿وَقُل لَّهُمْ فِىٓ﴾ شأن ﴿أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ مؤثراً فيهم أي أزجرهم ليرجعوا عن كفرهم. (٦٤) ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ فيما يأمر به ويحكم ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بأمره لا ليُعْصَى ويُخالف ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جَآءُوكَ﴾ تائبين ﴿فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ فيه التفات عن الخطاب تفخيماً لشأنه ﴿لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا﴾ عليهم ﴿رَّحِيمًا﴾ بهم. (٦٥) ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ «لا» زائدة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ﴾ اختلط ﴿بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ ضيقاً أو شكاً ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ به ﴿وَيُسَلِّمُوا۟﴾ ينقادوا لحكمك ﴿تَسْلِيمًا﴾ من غير معارضة. (٦٦) ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ﴾ مفسّرة ﴿ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم﴾ كما كتبنا على بني إسرائيل ﴿مَّا فَعَلُوهُ﴾ أي المكتوب عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ بالرفع على البدل والنصب على الاستثناء ﴿مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ من طاعة الرسول ﷺ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ تحقيقاً لإيمانهم. (٦٧) ﴿وَإِذًا﴾ أي لو ثبتوا ﴿لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ﴾ من عندنا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة. (٦٨) ﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ قال بعض الصحابة للنبي ﷺ: كيف نراك في الجنة وأنت في الدرجات العلا ونحن أسفل منك؟ فنزل: (٦٩) ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ فيما أمرا به ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ أفاضل أصحاب الأنبياء لمبالغتهم في الصدق والتصديق ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ القتلى في سبيل الله ﴿وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ غير من ذكر ﴿وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ رفقاء في الجنة بأن يستمتع فيها برؤيتهم وزيارتهم والحضور معهم وإن كان مقرهم في الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم. (٧٠) ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي كونه مع مَنْ ذكر مبتدأ خبره ﴿ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ تفضل به عليهم لا أنهم نالوه بطاعتهم ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ بثواب الآخرة أي فثقوا بما أخبركم به ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤]. (٧١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ من عدوكم احترزوا منه وتيقظوا له ﴿فَٱنفِرُوا۟﴾ انهضوا إلى قتاله ﴿ثُبَاتٍ﴾ متفرقين سرية بعد أخرى ﴿أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا﴾ مجتمعين. (٧٢) ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ ليتأخرن عن القتال كعبد الله بن أُبيّ المنافق وأصحابه وجعله منهم من حيث الظاهر واللام في الفعل للقسم ﴿فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ كقتل وهزيمة ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا﴾ حاضراً فأصاب. (٧٣) ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ كفتح وغنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ نادماً ﴿كَأَن﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنه ﴿لَّمْ تَكُنۢ﴾ بالياء

أصحاب بدر أو ليت لنا يوماً كيوم بدر نقاتل فيه المشركين ونبلي فيه خيراً أو نلتمس الشهادة والجنة أو الحياة والرزق فأشهدهم الله أحداً فلم يلبثوا إلا من شاء الله منهم، فأنزل الله ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ١٤٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الآية، أخرج ابن المنذر عن عمر قال: تفرقنا عن رسول الله ﷺ يوم أُحد فصعدت الجبل فسمعت يهود تقول: قتل محمد، فقلت: لا أسمع أحداً يقول قتل محمد إلا ضربت عنقه، فنظرت فإذا رسول الله ﷺ والناس يتراجعون، فنزلت ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم عن الربيع قال: لما أصابهم يوم أحد ما أصابهم من القرح وتداعوا نبي الله قالوا: قد قتل، فقال أناس: لو كان نبياً ما قتل، وقال أناس: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى يفتح الله عليكم أو تلحقوا به، فأنزل الله ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الآية، وأخرج البيهقي في «الدلائل» عن أبي نجيح: أن رجلاً من المهاجرين مرّ على رجل من الأنصار وهو يتشحط في دمه، فقال: أشعرت أن محمداً قد قتل، فقال: إن كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم، فنزلت. وأخرج ابن راهويه في «مسنده» عن الزهري: أن الشيطان صاح يوم أُحد أن محمداً قد قتل، قال كعب بن مالك: أنا أول من عرف

رسول الله ﷺ رأيت عينيه من تحت المغفر، فناديت بأعلى صوتي: هذا رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ١٥٤ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم﴾ الآيات، أخرج ابن راهويه عن الزبير قال: لقد رأيتني يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم، فما منا أحد إلا ذقنه في صدره، فوالله إني لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا، فحفظتها، فأنزل الله في ذلك ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

أسباب نزول الآية ١٦١ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ الآية، أخرج أبو داود والترمذي وحسنه عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في قطيفة حمراء، فقدت يوم بدر فقال بعض الناس: لعل رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ إلى آخر الآية. وأخرج الطبراني في «الكبير» بسند رجاله ثقات عن ابن عباس قال: بعث النبي ﷺ جيشاً فردت رايته، ثم بعث فردت، ثم بعث فردت بغلول رأس غزال من ذهب فنزلت ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾.

أسباب نزول الآية ١٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب قال: عوقبوا يوم أحد بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفرّ

والتاء ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ معرفة وصداقة وهذا راجع إلى قوله: «قد أنعم الله عليَّ» اعترض به بين القول ومقوله وهو ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ آخذ حظاً وافراً من الغنيمة. (٧٤) قال تعالى: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ﴾ يبيعون ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ﴾ يستشهد ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾ يظفر بعدوه ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ثواباً جزيلاً. (٧٥) ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ﴾ استفهام توبيخ أي لا مانع لكم من القتال ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في تخليص ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ الذين حبسهم الكفار عن الهجرة وآذوهم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت أنا وأمي منهم ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ داعين يا ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ مكة ﴿ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ بالكفر ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ يتولى أمورنا ﴿وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ يمنعنا منهم وقد استجاب الله دعاءهم فيسر لبعضهم الخروج وبقي بعضهم إلى أن فتحت مكة وولى ﷺ عتاب بن أُسيد فأنصف مظلومهم من ظالمهم. (٧٦) ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ الشيطان ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أنصار دينه تغلبوهم لقوتكم بالله ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ بالمؤمنين ﴿كَانَ ضَعِيفًا﴾ واهياً لا يقاوم كيد الله بالكافرين. (٧٧) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ﴾ عن قتال الكفار لما طلبوه بمكة لأذى الكفار لهم وهم جماعة من الصحابة ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿ٱلنَّاسَ﴾ الكفار، أي عذابهم بالقتل ﴿كَخَشْيَةِ﴾ هم عذاب ﴿ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾ من خشيتهم له ونصب «أشد» على الحال وجواب «لما» دل عليه «إذا» وما بعدها أي فاجأتهم الخشية ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي جزعاً من الموت ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ﴾ هلاَّ ﴿أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ﴾ لهم ﴿مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا﴾ ما يتمتع به فيها أو الاستمتاع بها ﴿قَلِيلٌ﴾ آيل إلى الفناء ﴿وَٱلْآخِرَةُ﴾ أي الجنة ﴿خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ عقاب الله بترك معصيته ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ بالتاء والياء تنقصون من أعمالكم ﴿فَتِيلًا﴾ قدر قشرة من النواة فجاهدوا. (٧٨) ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ﴾ حصون ﴿مُّشَيَّدَةٍ﴾ مرتفعة فلا تخشوا القتال خوف الموت ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ﴾ أي اليهود ﴿حَسَنَةٌ﴾ خصب وسعة ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جدب وبلاء كما حصل لهم عند قدوم النبي ﷺ المدينة ﴿يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ يا محمد أي بشؤمك ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿كُلٌّ﴾ من الحسنة والسيئة ﴿مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ من قِبَلِهِ ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ أي لا يقاربون أن يفهموا ﴿حَدِيثًا﴾ يُلقى إليهم و«ما» استفهام تعجيب من فرط جهلهم ونفي مقاربة الفعل أشد من نفيه. (٧٩) ﴿مَّآ أَصَابَكَ﴾ أيها الإنسان ﴿مِنْ حَسَنَةٍ﴾ خير ﴿فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ أتتك فضلاً منه ﴿وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ﴾ بلية ﴿فَمِن نَّفْسِكَ﴾ أتتك حيث ارتكبت ما يستوجبها من الذنوب ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ حال مؤكدة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على رسالتك. (٨٠) ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ﴾ أعرض عن طاعته فلا يهمنك ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ حافظاً لأعمالهم بل نذيراً وإلينا أمرهم فنجازيهم وهذا قبل الأمر بالقتال. (٨١) ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي المنافقون إذا جاؤوك: أمرنا ﴿طَاعَةٌ﴾ لك ﴿فَإِذَا بَرَزُوا۟﴾ خرجوا ﴿مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ بإدغام التاء في الطاء وتركه أي أضمرت ﴿غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ لك في حضورك من الطاعة أي عصيانك ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ﴾ يأمر بكتب ﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾ في صحائفهم

ليجازوا عليه ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بالصفح ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثق به فإنه كافيك ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ مفوضاً إليه. (٨٢) ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ يتأملون ﴿الْقُرْآنَ﴾ وما فيه من المعاني البديعة ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ تناقضاً في معانيه وتبايناً في نظمه. (٨٣) ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ﴾ عن سرايا النبي ﷺ بما حصل لهم ﴿مِنَ الْأَمْنِ﴾ بالنصر ﴿أَوِ الْخَوْفِ﴾ بالهزيمة ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ أفشوه، نزل في جماعة من المنافقين أو في ضعفاء المؤمنين كانوا يفعلون ذلك فتضعف قلوب المؤمنين ويتأذى النبي ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أي الخبر ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أي ذوي الرأي من أكابر الصحابة أي لو سكتوا عنه حتى يُخبَروا به ﴿لَعَلِمَهُ﴾ هل هو مما ينبغي أن يذاع أو لا ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ يتتبعونه ويطلبون علمه وهم المذيعون ﴿مِنْهُمْ﴾ من الرسول وأولي الأمر ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ لكم بالقرآن ﴿لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ فيما يأمركم به من الفواحش ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾. (٨٤) ﴿فَقَاتِلْ﴾ يا محمد ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فلا تهتم بتخلفهم عنك، المعنى قاتل ولو وحدك فإنك موعود بالنصر ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حثهم على القتال ورغبهم فيه ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ﴾ حرب ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ منهم ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ تعذيباً منهم فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لأخرجن ولو وحدي» فخرج بسبعين راكباً إلى بدر الصغرى فكف الله بأس الكفار بإلقاء الرعب في قلوبهم ومَنْع أبي سفيان عن الخروج كما تقدم في آل عمران. (٨٥) ﴿مَن يَشْفَعْ﴾ بين الناس ﴿شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ موافقة للشرع ﴿يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ﴾ من الأجر ﴿مِنْهَا﴾ بسببها ﴿وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ مخالفة له ﴿يَكُن لَّهُ كِفْلٌ﴾[1] نصيب من الوزر ﴿مِنْهَا﴾ بسببها ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾[2] مقتدراً فيجازي كل أحد بما عمل. (٨٦) ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ﴾ كأن قيل لكم سلام عليكم ﴿فَحَيُّوا﴾ المحيِّي ﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ بأن تقولوا له عليك السلام ورحمة الله وبركاته ﴿أَوْ رُدُّوهَا﴾ بأن تقولوا له كما قال أي الواجب أحدهما والأول أفضل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ محاسباً فيجازي عليه ومنه رد السلام وخصت السنة الكافر والمبتدع والفاسق والمسلِّم على قاضي الحاجة ومن في الحمام والآكل فلا يجب الرد عليهم بل يكره في غير الأخير ويقال للكافر و«عليك». (٨٧) ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ والله ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ من قبوركم ﴿إِلَىٰ﴾ في ﴿يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ قولاً. (٨٨) ولما رجع ناس من أحد اختلف الناس فيهم، فقال فريق نقتلهم: وقال فريق: لا فنزل: ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ أي ما شأنكم صرتم ﴿فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ فرقتين؟ ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم﴾ ردهم ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من الكفر والمعاصي ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ﴾ به ﴿اللَّهُ﴾ أي تعدُّوهم من جملة المهتدين؟، والاستفهام في الموضعين للإنكار ﴿وَمَن يُضْلِلِ﴾ به ﴿اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الهدى. (٨٩) ﴿وَدُّوا﴾ تمنوا ﴿لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ﴾ أنتم وهم ﴿سَوَاءً﴾ في الكفر ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ توالونهم وإن أظهروا الإيمان ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هجرة صحيحة تحقق إيمانهم ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ وأقاموا على ما هم عليه ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ توالونه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ تنتصرون به على

(١) ﴿كِفْلٌ﴾: الكفل النصيب وافقت لغة النبطية.

(٢) ﴿مُقِيتًا﴾: يعني مقتدراً بلغة مذحج.

أصحاب النبي ﷺ وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه فأنزل الله ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ١٦٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ الآية، روى أحمد وأبو داود والحاكم عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم، قالوا يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله هذه الآية ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ الآية وما بعدها، وروى الترمذي عن جابر نحوه.

أسباب نزول الآية ١٧٢ ـ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾ الآية، أخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس قال: إن الله قذف الرعب في قلب أبي سفيان يوم أحد بعد الذي كان منه فرجع إلى مكة، فقال النبي ﷺ: إن أبا سفيان قد أصاب منكم طرفاً وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب، وكانت وقعة أحد في شوال، وكان التجار يقدمون المدينة في ذي القعدة فينزلون ببدر الصغرى، وأنهم قدموا بعد وقعة أحد وكان أصاب المؤمنين القرح واشتكوا ذلك، فندب النبي ﷺ الناس لينطلقوا معه فجاء الشيطان

فخوّف أولياءه، فقال: إن الناس قد جمعوا لكم فأبى عليه الناس أن يتبعوه فقال: إني ذاهب وإن لم يتبعني أحد، فانتدب معه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمٰن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلاً فساروا في طلب أبي سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصفراء. فأنزل الله ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآية، وأخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: لما رجع المشركون من أحد قالوا: لا محمداً قتلتم ولا الكواعب أردفتم، بئسما صنعتم ارجعوا، فسمع رسول الله فندب المسلمين فانتدبوا حتى بلغ حمراء الأسد أو بئر أبي عتبة، فأنزل الله ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الآية، وقد كان أبو سفيان قال للنبي ﷺ: موعدك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا، فأما الجبان فرجع، وأما الشجاع فأخذ أهبة القتال والتجارة فأتوه فلم يجدوا به أحداً وتسوقوا، فأنزل الله ﴿فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الآية. وأخرج ابن مردويه عن أبي رافع أن النبي ﷺ وجه علياً في نفر معه في طلب أبي سفيان فلقيهم أعرابي من خزاعة فقال: إن القوم قد جمعوا لكم، قالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل فنزلت فيهم هذه الآية.

اسباب نزول الآية ١٨١ ـ قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ الآية، أخرج ابن إسحاق وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: دخل

عدوكم. (٩٠) ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ يلجؤون ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ عهد بالأمان لهم ولمن وصل إليهم كما عاهد النبي ﷺ هلال بن عويمر الأسلمي ﴿أَوْ﴾ الذين ﴿جَآءُوكُمْ﴾ وقد ﴿حَصِرَتْ﴾[1] ضاقت ﴿صُدُورُهُمْ﴾ عن ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ﴾ مع قومهم ﴿أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ معكم أي ممسكين عن قتالكم وقتالهم فلا تتعرضوا إليهم بأخذ ولا قتل وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف [التوبة: ٥] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ تسليطهم عليكم ﴿لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بأن يقوّي قلوبهم ﴿فَلَقَٰتَلُوكُمْ﴾ ولكنه لم يشأه فألقى في قلوبهم الرعب ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ﴾[2] الصلح أي انقادوا ﴿فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالأخذ والقتل. (٩١) ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ﴾ بإظهار الإيمان عندكم ﴿وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ بالكفر إذا رجعوا إليهم وهم أسد وغطفان ﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ﴾ دعوا إلى الشرك ﴿أُرْكِسُوا۟ فِيهَا﴾ وقعوا أشد وقوع ﴿فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ بترك قتالكم ﴿و﴾ لم ﴿يُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ و﴾ لم ﴿يَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ﴾ عنكم ﴿فَخُذُوهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ برهاناً بينا ظاهراً على قتلهم وسبيهم لغدرهم. (٩٢) ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ أي ما ينبغي أن يصدر منه قتل له ﴿إِلَّا خَطَـًٔا﴾ مخطئاً في قتله من غير قصد ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا﴾ بأن قصد رمي غيره كصيد أو شجرة فأصابه أو ضربه بما لا يقتل غالباً ﴿فَتَحْرِيرُ﴾ عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ نسمة ﴿مُّؤْمِنَةٍ﴾ عليه ﴿وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ﴾ مؤداة ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ﴾ أي ورثة المقتول ﴿إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ يتصدقوا عليه بأن يعفوا عنها وبينت السنة أنها مائة من الإبل عشرون بنت مخاض وكذا بنات وبنو لبون، وحقاق وجذاع وأنها على عاقلة القاتل وهم عصبته في الأصل والفرع موزعة عليهم على ثلاث سنين على الغني منهم نصف دينار والمتوسط ربع كل سنة فإن لم يفوا فمن بيت المال فإن تعذر فعلى الجاني ﴿فَإِن كَانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ﴾ حرب ﴿لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله كفارة ولا دية تسلم إلى أهله لحرابتهم ﴿وَإِن كَانَ﴾ المقتول ﴿مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ عهد كأهل الذمة ﴿فَدِيَةٌ﴾ له ﴿مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ وهي ثلث دية المؤمن إن كان يهودياً أو نصرانياً وثلثا عشرها إن كان مجوسياً ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ على قاتله ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ﴾ الرقبة بأن فقدها وما يحصلها به ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ عليه كفارة ولم يذكر الله تعالى الانتقال إلى الطعام كالظهار وبه أخذ الشافعي في أصح قوليه ﴿تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبره لهم. (٩٣) ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ بأن يقصد قتله بما يقتل غالباً عالماً بإيمانه ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ أبعده من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ في النار وهذا مُؤَوَّل بمن يستحله أو بأن هذا جزاؤه إن جُوزي ولا بِدْعَ في خُلْف الوعيد لقوله: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] وعن ابن عباس أنها على ظاهرها وإنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة وبينت آية «البقرة» [١٧٨] أن قاتل العمد يقتل به وأن عليه الدية إن عفي عنه وسبق قدرها وبينت السنة أن بين العمد والخطأ قتلاً يسمى شبه العمد وهو أن يقتله بما لا يقتل غالباً فلا قصاص فيه بل دية كالعمد في الصفة والخطأ

(١) ﴿حَصِرَتْ﴾: يعني ضاقت بلغة أهل اليمامة. (٢) ﴿ٱلسَّلَمَ﴾: الصلح بلغة قريش.

في التأجيل والحمل وهو والعمد أولى بالكفارة من الخطأ. (٩٤) ونزل لما مر نفر من الصحابة برجل من بني سليم وهو يسوق غنماً فسلم عليهم فقالوا ما سلم علينا إلا تقية فقتلوه واستاقوا غنمه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم للجهاد ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ وفي قراءة «فتثبتوا» بالمثلثة في الموضعين ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾ بألف ودونها «السلم» أي التحية أو الانقياد بقول كلمة الشهادة التي هي أمارة على الإسلام ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وإنما قلت هذا تقية لنفسك ومالك فتقتلوه ﴿تَبْتَغُونَ﴾ تطلبون بذلك ﴿عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ متاعها من الغنيمة ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل مثله لماله ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ تعصم دماؤكم وأموالكم بمجرد قولكم الشهادة ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بالاشتهار بالإيمان والاستقامة ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ أن تقتلوا مؤمناً وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فُعل بكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به. (٩٥) ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عن الجهاد ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ بالرفع صفة والنصب استثناء من زمانة أو عمى أو نحوه ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ فضل ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ لضرر ﴿دَرَجَةً﴾ فضيلة لاستوائهما في النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة ﴿وَكُلًّا﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ الجنة ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ لغير ضرر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ وبدل منه. (٩٦) ﴿دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ﴾ منازل بعضها فوق بعض من الكرامة ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ منصوبان بفعلهما المقدر ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمًا﴾ بأهل طاعته. (٩٧) ونزل في جماعة أسلموا ولم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بالمقام مع الكفار وترك الهجرة ﴿قَالُواْ﴾ لهم موبخين ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ أي في أي شيء كنتم في أمر دينكم؟ ﴿قَالُواْ﴾ معتذرين ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ عاجزين عن إقامة الدين ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿قَالُوٓاْ﴾ لهم توبيخاً ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ من أرض الكفر إلى بلد آخر كما فعل غيركم؟ قال الله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ هي. (٩٨) ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ الذين ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى أرض الهجرة. (٩٩) ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾. (١٠٠) ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا﴾[1] مهاجراً ﴿كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ في الرزق ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ﴾ في الطريق كما وقع لجُنْدَع بن ضمرة الليثي ﴿فَقَدْ وَقَعَ﴾ ثبت ﴿أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. (١٠١) ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في ﴿أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ بأن تردوها من أربع إلى اثنتين ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ﴾ أي ينالكم بمكروه ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾[2] بيان للواقع إذ ذاك فلا مفهوم له وبينت السنة أن المراد بالسفر الطويل وهو أربعة بُرُدٍ وهي مرحلتان ويؤخذ من قوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أنه رخصة لا واجب وعليه الشافعي ﴿إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ بيّن العداوة.

(١٠٢) ﴿وَإِذَا كُنتَ﴾ يا محمد حاضراً ﴿فِيهِمْ﴾ وأنتم تخافون العدو ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهذا جري على عادة القرآن في الخطاب فلا مفهوم له ﴿فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ وتتأخر طائفة

(١) ﴿مُرَٰغَمًا﴾: منفسحاً بلغة هذيل. (٢) ﴿أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾: يضلكم بلغة هوازن.

أبو بكر بيت المدارس فوجد يهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له فنحاص، فقال له: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر وإنه إلينا لفقير ولو كان غنياً عنا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، فغضب أبو بكر فضرب وجهه فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ، فقال يا محمد انظر ما صنع صاحبك بي، فقال: يا أبا بكر ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رسول الله قال قولاً عظيماً يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء فجحد فنحاص، فأنزل الله ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: أتت اليهود النبي ﷺ حين أنزل الله ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ فقالوا يا محمد افتقر ربك يسأل عباده؟ فأنزل الله ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ١٨٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ﴾ الآية، روى ابن أبي حاتم وابن المنذر بسند حسن عن ابن عباس أنها نزلت فيما كان بين أبي بكر وفنحاص من قوله: إن الله فقير ونحن أغنياء، وذكر عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الرحمٰن بن كعب بن مالك أنها نزلت في كعب بن الأشرف فيما يهجو به النبي ﷺ وأصحابه من الشعر.

أسباب نزول الآية ١٨٨ ـ قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ الآية، روى الشيخان وغيرهما من طريق حميد بن عبد الرحمٰن بن عوف أن مروان

﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾ أي الطائفة التي قامت معك ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ أي صلوا ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ أي الطائفة الأخرى ﴿مِن وَرَآئِكُمْ﴾ يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة وتذهب هذه الطائفة تحرس ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم إلى أن تقضوا الصلاة وقد فعل النبي ﷺ كذلك ببطن نخل رواه الشيخان ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ إذا قمتم إلى الصلاة ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ بأن يحملوا عليكم فيأخذوكم وهذا علة الأمر بأخذ السلاح ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تحملوها وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر وهو أحد قولين للشافعي والثاني أنه سنة ورُجّح ﴿وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من العدو أي احترزوا منه ما استطعتم ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة. ﴿١٠٣﴾ ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ﴾ فرغتم منها ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتهليل والتسبيح ﴿قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ مضطجعين أي في كل حال ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾ أمنتم ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ أدّوها بحقوقها ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا﴾ مكتوباً أي مفروضاً ﴿مَّوْقُوتًا﴾ أي مقدراً وقتها فلا تؤخر عنه. ﴿١٠٤﴾ ونزل لما بعث ﷺ طائفة في طلب أبي سفيان وأصحابه لما رجعوا من أحد فشكوا الجراحات: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ تضعفوا ﴿فِي ابْتِغَاءِ﴾ طلب ﴿الْقَوْمِ﴾ الكفار لتقاتلوهم ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ تجدون ألم الجراح ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ أي مثلكم ولا يجبنون عن قتالكم ﴿وَتَرْجُونَ﴾ أنتم ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ من النصر والثواب عليه ﴿مَا لَا يَرْجُونَ﴾ هم فأنتم تزيدون عليهم بذلك فينبغي أن تكونوا أرغب منهم فيه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه. ﴿١٠٥﴾ وسرق طعمة بن أبيرق درعاً وخبأها عند يهودي فوجدت عنده فرماه طعمة بها وحلف أنه ما سرقها فسأل قومه النبي ﷺ أن يجادل عنه ويبرئه فنزل ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ«أنزل» ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ﴾ أعلمك ﴿اللَّهُ﴾ فيه ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ﴾ كطعمة ﴿خَصِيمًا﴾ مخاصماً عنهم. ﴿١٠٦﴾ ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ مما هممت به ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾. ﴿١٠٧﴾ ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعاصي لأن وبال خيانتهم عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا﴾ كثير الخيانة ﴿أَثِيمًا﴾ أي يعاقبه. ﴿١٠٨﴾ ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ أي طعمة وقومه حياء ﴿مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ بعلمه ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ يضمرون ﴿مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ من عزمهم على الحلف على نفي السرقة ورمي اليهودي بها ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ علماً. ﴿١٠٩﴾ ﴿هَا أَنتُمْ﴾ يا ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ خطاب لقوم طعمة ﴿جَادَلْتُمْ﴾ خاصمتم ﴿عَنْهُمْ﴾ أي عن طعمة وذويه وقرىء «عنه» ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إذا عذبهم ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ يتولى أمرهم ويذبّ عنهم؟ أي لا أحد يفعل ذلك. ﴿١١٠﴾ ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا﴾ ذنباً يسوء به غيره كرمي «طُعْمَة» اليهودي ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾ يعمل ذنباً قاصراً عليه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ منه أي يتب ﴿يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا﴾ له ﴿رَّحِيمًا﴾ به. ﴿١١١﴾ ﴿وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ ذنباً ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ لأن وباله عليها ولا يضر غيره ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ في صنعه. ﴿١١٢﴾ ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ ذنباً صغيراً ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ ذنباً كبيراً ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا﴾ منه ﴿فَقَدِ احْتَمَلَ﴾ تحمل ﴿بُهْتَانًا﴾ برميه ﴿وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ بيناً بكسبه. ﴿١١٣﴾ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ يا

قال لبوابه اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرىء منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لنعذبن أجمعون، فقال ابن عباس: ما لكم وهذه؟ إنما نزلت هذه الآية في أهل الكتاب سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أنهم قد أخبروه بما سألهم عنه. واستحمدوا بذلك إليه وفرحوا بما أتوا من كتمان ما سألهم عنه. وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري: أن رجالاً من المنافقين كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف الرسول ﷺ، فإذا قدم اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا﴾ الآية. وأخرج عبد الرزاق في «تفسيره» عن زيد بن أسلم: أن رافع بن خديج وزيد بن ثابت كانا عند مروان، فقال مروان يا رافع في أي شيء نزلت هذه الآية ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا﴾ قال رافع: أنزلت في أناس من المنافقين كانوا إذا خرج النبي ﷺ اعتذروا وقالوا ما حبسنا عنكم إلا شغل، فلوددنا أنا كنا معكم، فأنزل الله فيهم هذه الآية، وكأن مروان أنكر ذلك فجزع رافع من ذلك فقال لزيد بن ثابت أنشدك بالله هل تعلم ما أقول؟ قال نعم قال الحافظ ابن حجر يجمع بين هذا وبين قول ابن عباس بأنه يمكن أن تكون نزلت في الفريقين معاً، قال وحكى الفراء أنها نزلت في قول اليهود: نحن أهل

محمد ﴿وَرَحْمَتُهُۥ﴾ بالعصمة ﴿لَهَمَّت﴾ أضمرت ﴿طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ من قوم طعمة ﴿أَن يُضِلُّوكَ﴾ عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك ﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ﴾ لأن وبال إضلالهم عليهم ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾ من الأحكام والغيب ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ﴾ بذلك وغيره ﴿عَظِيمًا﴾. ﴿١١٤﴾ ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾ أي الناس أي ما يتناجون فيه ويتحدثون ﴿إِلَّا﴾ نجوى ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ عمل بر ﴿أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿ٱبْتِغَآءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ لا غيره من أمور الدنيا ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ بالنون والياء أي الله ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾. ﴿١١٥﴾ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾ يخالف ﴿ٱلرَّسُولَ﴾ فيما جاء به من الحق ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ ظهر له الحق بالمعجزات ﴿وَيَتَّبِعْ﴾ طريقاً ﴿غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي طريقهم الذي هم عليه من الدين بأن يكفر ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ نجعله والياً لما تولاه من الضلال بأن نخلي بينه وبينه في الدنيا ﴿وَنُصْلِهِۦ﴾ ندخله في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ﴾ فيحترق فيها ﴿وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ مرجعاً هي. ﴿١١٦﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ عن الحق. ﴿١١٧﴾ ﴿إِن﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبد المشركون ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الله أي غيره ﴿إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ أصناماً مؤنثة كاللات والعزى ومناة ﴿وَإِن﴾ ما ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون بعبادتها ﴿إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ خارجاً عن الطاعة لطاعتهم له فيها وهو إبليس. ﴿١١٨﴾ ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ أبعده عن رحمته ﴿وَقَالَ﴾ أي الشيطان ﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾ لأجعلن لي ﴿مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا﴾ حظاً ﴿مَّفْرُوضًا﴾ مقطوعاً أدعوهم إلى طاعتي. ﴿١١٩﴾ ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ عن الحق بالوسوسة ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ ألقي في قلوبهم طول الحياة وأن لا بعث ولا حساب ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾ يقطعن ﴿ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ وقد فُعِلَ ذلك بالبحائر ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ دينه بالكفر وإحلال ما حرم وتحريم ما أحل ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا﴾ يتولاه ويطيعه ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ بينا لمصيره إلى النار المؤبدة عليه. ﴿١٢٠﴾ ﴿يَعِدُهُمْ﴾ طول العمر ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ نيل الآمال في الدنيا وأن لا بعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً. ﴿١٢١﴾ ﴿أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ معدلاً. ﴿١٢٢﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ أي وعدهم الله ذلك وحقه حقاً ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ أي قولاً. ﴿١٢٣﴾ ونزل لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب ﴿لَّيْسَ﴾ الأمر منوطاً ﴿بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ بل بالعمل الصالح ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ إما في الآخرة أو في الدنيا بالبلاء والمحن كما ورد في الحديث ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلِيًّا﴾ يحفظه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يمنعه منه. ﴿١٢٤﴾ ﴿وَمَن يَعْمَلْ﴾ شيئاً ﴿مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ﴾ بالبناء للمفعول والفاعل [يَدخُلون] ﴿ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ قدر نقرة النواة. ﴿١٢٥﴾ ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ﴾ أي انقاد وأخلص عمله ﴿لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ موحد ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ الموافقة لملة الإسلام ﴿حَنِيفًا﴾ حال أي مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ صفيا خالص المحبة له. ﴿١٢٦﴾ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً

الكتاب الأول والصلاة والطاعة، ومع ذلك لا يقرون بمحمد وروى ابن أبي حاتم من طرق عن جماعة من التابعين نحو ذلك، ورجحه ابن جرير، ولا مانع أن تكون نزلت في كل ذلك، انتهى.

أسباب نزول الآية ١٩٠ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية. أخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: أتت قريش اليهود فقالوا: بم جاءكم موسى من الآيات؟ قالوا: عصاه، ويد بيضاء للناظرين، وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى؟ قالوا: كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، فأتوا النبي ﷺ فقالوا ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً، فدعا ربه فنزلت الآية: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ فليتفكروا فيها.

أسباب نزول الآية ١٩٥ ـ قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ﴾ الآية. أخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور والترمذي والحاكم وابن أبي حاتم عن أم سلمة أنها قالت يا رسول الله لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء. فأنزل الله ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ إلى آخر الآية.

أسباب نزول الآية ١٩٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الآية. روى النسائي عن أنس قال: لما جاء نعي النجاشي قال رسول الله ﷺ: صلوا عليه قالوا يا رسول الله نصلي على عبد حبشي؟ فأنزل الله ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن

يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ وروى ابن جرير نحوه عن جابر، وفي «المستدرك» عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت في النجاشي ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ الآية.

سورة النساء

اسباب نزول الآية ٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن أبي صالح قال: كان الرجل إذا زوج ابنته أخذ صداقها دونها، فنهاهم الله عن ذلك، فأنزل ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾

اسباب نزول الآية ٧ ـ قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ﴾ أخرج أبو الشيخ وابن حبان في كتاب الفرائض من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الصغار من الذكور حتى يدركوا، فمات رجل من الأنصار يقال له أوس بن ثابت وترك ابنتين وابناً صغيراً، فجاء ابنا عمه خالد وعرفطة وهما عصبة، فأخذا ميراثه كله، فأتت امرأته رسول الله ﷺ فذكرت له ذلك، فقال ما أدري ما أقول؟ فنزلت ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ﴾ الآية.

اسباب نزول الآية ١١ ـ قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾ أخرج الأئمة الستة عن جابر بن عبد الله قال: عادني رسول الله وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني ﷺ لا أعقل شيئاً، فدعا بماء فتوضأ، ثم رش عليّ فأفقت، فقلت ما تأمرني أن أصنع في مالي؟ فنزلت ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾.

وعبيداً ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾ علماً وقدرة أي لم يزل متصفاً بذلك. (١٢٧) ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿في﴾ شأن ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾ وميراثهن ﴿قل﴾ لهم ﴿ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن من آية الميراث ويفتيكم أيضاً ﴿فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ﴾ فرض ﴿لَهُنَّ﴾ من الميراث ﴿وَتَرْغَبُونَ﴾ أيها الأولياء عن ﴿أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ لدمامتهن وتعضلونهن أن يتزوجن طمعاً في ميراثهن أي يفتيكم أن لا تفعلوا ذلك ﴿و﴾ في ﴿ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ الصغار ﴿مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ﴾ أن تعطوهم حقوقهم ﴿و﴾ يأمركم ﴿أن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل في الميراث والمهر ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا﴾ فيجازيكم به. (١٢٨) ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿خَافَتْ﴾ توقعت ﴿مِنۢ بَعْلِهَا﴾ زوجها ﴿نُشُوزًا﴾ ترفعاً عليها بترك مضاجعتها والتقصير في نفقتها لبغضها وطموح عينه إلى أجمل منها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ عنها بوجهه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد وفي قراءة «يصلحا» من «أصلح» ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ في القسم والنفقة بأن تترك له شيئاً طلباً لبقاء الصحبة فإن رضيت بذلك وإلا فعلى الزوج أن يوفيها حقها أو يفارقها ﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفرقة والنشوز والإعراض، قال الله تعالى في بيان ما جبل عليه الإنسان ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ شدة البخل أي جبلت عليه فكأنها حاضرته لا تغيب عنه، المعنى أن المرأة لا تكاد تسمح بنصيبها من زوجها والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها ﴿وَإِن تُحْسِنُوا۟﴾ عشرة النساء ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ الجور عليهن ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به. (١٢٩) ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟﴾ تسووا ﴿بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ في المحبة ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على ذلك ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾ إلى التي تحبونها في القسم والنفقة ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ أي تتركوا المُمَال عنها ﴿كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ التي لا هي أيّم ولا ذات بعل ﴿وَإِن تُصْلِحُوا۟﴾ بالعدل في القسم ﴿وَتَتَّقُوا۟﴾ الجور ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ لما في قلبكم من الميل ﴿رَّحِيمًا﴾ بكم في ذلك. (١٣٠) ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا﴾ أي الزوجان بالطلاق ﴿يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا﴾ عن صاحبه ﴿مِّن سَعَتِهِۦ﴾ أي فضله بأن يرزقها زوجاً غيره ويرزقه غيرها ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا﴾ لخلقه في الفضل ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبره لهم. (١٣١) ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ بمعنى الكتب ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي اليهود والنصارى ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾ يا أهل القرآن ﴿أَنِ﴾ بأن ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿و﴾ قلنا لهم ولكم ﴿إِن تَكْفُرُوا۟﴾ بما وُصّيتم به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً وعبيداً فلا يضره كفركم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿حَمِيدًا﴾ محموداً في صنعه بهم. (١٣٢) ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كرره تأكيداً لتقرير موجب التقوى ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ شهيداً بأن ما فيهما له. (١٣٣) ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يا ﴿أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ﴾ بدلكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾. (١٣٤) ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ لمن أراده لا عند غيره فلِمَ يطلب أحدكم الأخس وهلا طلب الأعلى بإخلاص له حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده؟! ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾. (١٣٥) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ﴾ قائمين ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿شُهَدَآءَ﴾ بالحق ﴿لله ولو﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ فاشهدوا عليها بأن تقروا بالحق ولا تكتموه ﴿أو﴾ على ﴿ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ﴾ المشهود عليه ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ منكم وأعلم بمصالحهما ﴿فَلَا

﴿تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ في شهادتكم بأن تحابوا الغني لرضاه أو الفقير رحمة له لـ﴿أن﴾ لا ﴿تَعْدِلُواْ﴾ تميلوا عن الحق ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ﴾ تحرفوا الشهادة، وفي قراءة «تلوا» بحذف الواو الأولى تخفيفاً ﴿أَوْ تُعْرِضُواْ﴾ عن أدائها ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به. ﴿١٣٦﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ داوموا على الإيمان ﴿بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ وهو القرآن ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ على الرسل بمعنى «الكتب»، وفي قراءة بالبناء للفاعل في الفعلين [نزّل أنزل] ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ عن الحق. ﴿١٣٧﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بموسى وهم اليهود ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بعبادة العجل ﴿ثُمَّ ءَامَنُواْ﴾ بعده ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بعيسى ﴿ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾ بمحمد ﴿لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما أقاموا عليه ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الحق. ﴿١٣٨﴾ ﴿بَشِّرِ﴾ أخبر يا محمد ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً هو عذاب النار. ﴿١٣٩﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل أو نعت للمنافقين ﴿يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ﴾ لما يتوهمون فيهم من القوة ﴿أَيَبْتَغُونَ﴾ يطلبون ﴿عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ استفهام إنكاري، أي لا يجدونها عندهم ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ في الدنيا والآخرة ولا ينالها إلا أولياؤه. ﴿١٤٠﴾ ﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول [نُزّل] ﴿عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ القرآن في سورة «الأنعام» [٦٨] ﴿أَنْ﴾ مخففة واسمها محذوف، أي أنه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ﴾ أي الكافرين والمستهزئين ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓۚ إِنَّكُمْ إِذًا﴾ إن قعدتم معهم ﴿مِّثْلُهُمْۗ﴾ في الإثم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء. ﴿١٤١﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ بدل من «الذين» قبله ﴿يَتَرَبَّصُونَ﴾ ينتظرون ﴿بِكُمْ﴾ الدوائر ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ﴾ ظفر وغنيمة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ﴾ لكم ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ في الدين والجهاد فأعطونا من الغنيمة ﴿وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ﴾ من الظفر عليكم ﴿قَالُوٓاْ﴾ لهم ﴿أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ﴾ نستول ﴿عَلَيْكُمْ﴾ ونقدر على أخذكم وقتلكم فأبقينا عليكم؟ ﴿و﴾ ألم ﴿نَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أن يظفروا بكم بتخذيلهم ومراسلتكم بأخبارهم؟ فلنا عليكم المنة قال تعالى: ﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ وبينهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ بأن يدخلكم الجنة ويدخلهم النار ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالاستئصال. ﴿١٤٢﴾ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ﴾ بإظهار خلاف ما أبطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم أحكامه الدنيوية ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ مجازيهم على خداعهم فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيه على ما أبطنوه ويعاقبون في الآخرة ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ مع المؤمنين ﴿قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلين ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ بصلاتهم ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾ يصلّون ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياء. ﴿١٤٣﴾ ﴿مُّذَبْذَبِينَ﴾ مترددين ﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿لَآ﴾ منسوبين ﴿إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي الكفار ﴿وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ أي المؤمنين ﴿وَمَن يُضْلِلِ﴾ ه ﴿ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الهدى. ﴿١٤٤﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بموالاتهم ﴿سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ برهاناً بيناً على نفاقكم؟ ﴿١٤٥﴾ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ﴾ المكان ﴿ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ وهو قعرها ﴿وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ مانعاً من العذاب. ﴿١٤٦﴾ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ من النفاق ﴿وَأَصْلَحُواْ﴾ عملهم ﴿وَٱعْتَصَمُواْ﴾ وثقوا ﴿بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ من الرياء ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ﴾ فيما يؤتونه ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ في الآخرة

وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم عن جابر قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله: هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك في أحد شهيداً، وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالاً ولا تنكحان إلا ولهما مال، فقال: يقضي الله في ذلك، فنزلت آية الميراث قال الحافظ ابن حجر: تمسك بهذا من قال: إن الآية نزلت في قصة ابنتي سعد، ولم تنزل في قصة جابر خصوصاً أن جابراً لم يكن له يومئذٍ ولد، قال: والجواب أنها نزلت في الأمرين معاً، ويحتمل أن يكون نزل أولها في قصة البنتين، وآخرها وهو قوله: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ في قصة جابر، ويكون مراد جابر بقوله، فنزلت ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْۖ﴾: أي ذكر الكلالة المتصل بهذه الآية انتهى. وقد ورد سبب ثالث، أخرج ابن جرير عن السدي قال كان أهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفاء من الغلمان لا يرث الرجل من ولده إلا من أطاق القتال، فمات عبد الرحمٰن أخو حسان الشاعر وترك امرأة يقال لها أم كحة وخمس بنات، فجاء الورثة يأخذون ماله فشكت أم كحة ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله هذه الآية ﴿فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ﴾.

ثم قال في أم كحة ﴿وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ﴾. وقد ورد في قصة سعد بن الربيع وجه

وهو الجنة. ﴿١٤٧﴾ ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ﴾ نعمه ﴿وَءَامَنتُمْ﴾ به والاستفهام بمعنى النفي أي لا يعذبكم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا﴾ لأعمال المؤمنين بالإثابة ﴿عَلِيمًا﴾ بخلقه. ﴿١٤٨﴾ ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ من أحد أن يعاقبه عليه ﴿إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ فلا يؤاخذه بالجهر به بأن يخبر عن ظلم ظالمه ويدعو عليه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا﴾ لما يقال ﴿عَلِيمًا﴾ بما يفعل. ﴿١٤٩﴾ ﴿إِن تُبْدُوا۟﴾ تظهروا ﴿خَيْرًا﴾ من أعمال البر ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ تعملوه سراً ﴿أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ﴾ ظلم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾. ﴿١٥٠﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ بأن يؤمنوا به دونهم ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ من الرسل ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ منهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ الكفر والإيمان ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً يذهبون إليه. ﴿١٥١﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة وهو عذاب النار. ﴿١٥٢﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ كلهم ﴿وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ﴾ والياء والنون ﴿أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمًا﴾ بأهل طاعته. ﴿١٥٣﴾ ﴿يَسْـَٔلُكَ﴾ يا محمد ﴿أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ اليهود ﴿أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ جملةً كما أنزل الله على موسى تعنتاً فإن استكبرت ذلك ﴿فَقَدْ سَأَلُوا۟﴾ أي آباؤهم ﴿مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ﴾ أعظم ﴿مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ عياناً ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ الموت عقاباً لهم ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ حيث تعنتوا في السؤال ﴿ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ المعجزات على وحدانية الله ﴿فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ﴾ ولم نستأصلهم ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ تسلطاً بيناً ظاهراً عليهم حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه. ﴿١٥٤﴾ ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ﴾ الجبل ﴿بِمِيثَٰقِهِمْ﴾ بسبب أخذ الميثاق عليهم ليخافوا فيقبلوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمُ﴾ وهو مُظِلٌّ عليهم ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾ باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجود انحناء ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟﴾ وفي قراءة بفتح العين وتشديد الدال [تعدّوا] وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال أي لا تعتدوا ﴿فِى ٱلسَّبْتِ﴾ باصطياد الحيتان فيه ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ على ذلك فنقضوه. ﴿١٥٥﴾ ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ «ما» زائدة والباء للسببية متعلقة بمحذوف، أي لعناهم بسبب نقضهم ﴿مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ﴾ للنبي ﷺ ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ﴾ لا تعي كلامك ﴿بَلْ طَبَعَ﴾ ختم ﴿ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ فلا تعي وعظاً ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم كعبد الله بن سلام وأصحابه. ﴿١٥٦﴾ ﴿وَبِكُفْرِهِمْ﴾ ثانياً بعيسى وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عُطِفَ عليه ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ حيث رموها بالزنا. ﴿١٥٧﴾ ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ مفتخرين ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ في زعمهم، أي بمجموع ذلك عذبناهم قال تعالى تكذيباً لهم في قتله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ المقتول والمصلوب - وهو صاحبهم - بعيسى، أي ألقى الله عليه شبهه فظنوه إياه ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ أي في عيسى ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ من قتله حيث قال بعضهم لما رأوا المقتول: الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده فليس به، وقال آخرون بل هو هو ﴿مَا لَهُم بِهِۦ﴾ بقتله ﴿مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ استثناء منقطع، أي لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا﴾ حال مؤكدة لنفي القتل. ﴿١٥٨﴾ ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ إلى سمائه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه. ﴿١٥٩﴾ ﴿وَإِن﴾ ما ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أحد ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ أي الكتابي حين يعاين ملائكة الموت فلا ينفعه إيمانه أو قبل

آخر، فأخرج القاضي إسماعيل في أحكام القرآن من طريق عبد الملك بن محمد بن حزم أن عمرة بنت حزم كانت تحت سعد بن الربيع، فقتل عنها بأحد، وكان له منها ابنة، فأتت النبي ﷺ تطلب ميراث ابنتها، ففيها نزلت ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية.

اسباب نزول الآية ١٩ - قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ روى البخاري وأبو داود والنسائي عن ابن عباس قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم بسند حسن عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال لما توفي أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته وكان لهم ذلك في الجاهلية، فأنزل الله ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ وله شاهد عن عكرمة عن ابن جرير. وأخرج ابن أبي حاتم والفريابي والطبراني عن عدي بن ثابت عن رجل من الأنصار قال: توفي أبو قيس بن الأسلت، وكان من صالحي الأنصار، فخطب ابنه قيس امرأته، فقالت: إنما أعدّك ولداً وأنت من صالحي قومك، فأتت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: ارجعي إلى بيتك، فنزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾، وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظي قال:

موت عيسى لما ينزل قرب الساعة كما ورد في حديث ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ﴾ عيسى ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بما فعلوه لما بُعِثَ إليهم. (١٦٠) ﴿فَبِظُلْمٍ﴾ أي فبسبب ظلم ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ هم اليهود ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ هي التي في قوله تعالى: ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] الآية ﴿وَبِصَدِّهِمْ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه صداً ﴿كَثِيرًا﴾. (١٦١) ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ في التوراة ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ بالرشا في الحكم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً. (١٦٢) ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ﴾ الثابتون ﴿فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كعبد الله بن سلام ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ المهاجرون والأنصار ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ من الكتب ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ نصب على المدح وقرىء بالرفع ﴿وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ بالنون والياء ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة. (١٦٣) ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ و﴿كما ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ ابنيه ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ ابن إسحٰق ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا﴾ أباه ﴿دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ بالفتح اسم للكتاب المؤتى، وبالضم مصدر بمعنى مزبوراً أي مكتوباً. (١٦٤) ﴿و﴾ أرسلنا ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ﴾ روي أنه تعالى بعث ثمانية آلاف نبي، أربعة آلاف من بني إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس قاله الشيخ في سورة «غافر» [٧٨] ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ﴾ بلا واسطة ﴿تَكْلِيمًا﴾. (١٦٥) ﴿رُّسُلًا﴾ بدل من «رسلاً» قبله ﴿مُّبَشِّرِينَ﴾ بالثواب من آمن ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ بالعقاب من كفر أرسلناهم ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ﴾ تقال ﴿بَعْدَ﴾ إرسال ﴿ٱلرُّسُلِ﴾ إليهم ﴿فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ٤٧] فبعثناهم لقطع عذرهم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه. (١٦٦) ونزل لما سئل اليهود عن نبوته ﷺ فأنكروه ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾ يبين نبوتك ﴿بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ﴾ من القرآن المعجز ﴿أَنزَلَهُۥ﴾ ملتبساً ﴿بِعِلْمِهِۦ﴾ أي عالماً به أو وفيه علمه ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ﴾ لك أيضاً ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ على ذلك. (١٦٧) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالله ﴿وَصَدُّوا۟﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دين الإسلام بكتمهم نعت محمد ﷺ وهم اليهود ﴿قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ عن الحق. (١٦٨) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالله ﴿وَظَلَمُوا۟﴾ نبيه بكتمان نعته ﴿لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ من الطرق. (١٦٩) ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ أي الطريق المؤدي إليها ﴿خَٰلِدِينَ﴾ مقدرين الخلود ﴿فِيهَآ﴾ إذا دخلوها ﴿أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ هيناً. (١٧٠) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أي أهل مكة ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ محمد ﷺ ﴿بِٱلْحَقِّ مِن﴾ عند ﴿رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟﴾ به واقصدوا ﴿خَيْرًا لَّكُمْ ۚ﴾ مما أنتم فيه ﴿وَإِن تَكْفُرُوا۟﴾ به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً فلا يضره كفركم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه بهم. (١٧١) ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الإنجيل ﴿لَا تَغْلُوا۟﴾[1] تتجاوزوا الحد ﴿فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا﴾ القول ﴿ٱلْحَقَّ﴾ من تنزيهه عن الشريك والولد ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ﴾ أوصلها الله ﴿إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ﴾ أي ذو روح ﴿مِّنْهُ﴾ أضيف إليه تعالى تشريفاً له وليس كما زعمتم ابن الله أو إلهاً معه أو ثالث

(١) ﴿لَا تَغْلُوا﴾: لا تزيدوا بلغة مزينة.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة النساء

كان الرجل إذا توفي عن امرأته كان ابنه أحق بها أن ينكحها إن شاء إن لم تكن أمه أو ينكحها من شاء، فلما مات أبو قيس بن الأسلت قام ابنه محصن فورث نكاح امرأته ولم يورثها من المال شيئاً، فأتت النبي فذكرت ذلك له، فقال ارجعي لعل الله ينزل فيك شيئاً، فنزلت هذه الآية ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، ونزلت ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ الآية.

وأخرج أيضاً عن الزهري قال: نزلت هذه الآية في ناس من الأنصار كان إذا مات الرجل منهم كان أملك الناس بامرأته وليه فيمسكها حتى تموت.

وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال: قلت لعطاء ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ قال: كنا نتحدث أنها نزلت في محمد ﷺ حين نكح امرأة زيد بن حارثة، قال المشركون في ذلك، فنزلت ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ﴾ ونزلت ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ﴾. ونزلت ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾.

اسباب نزول الآية ٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ الآية، روى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري قال: أصبنا سبايا من سبي أوطاس لهن أزواج فكرهن أن نقع عليهن، ولهن أزواج فسألنا النبي ﷺ فنزلت ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ يقول إلا ما أفاء الله عليكم فاستحللنا بها فروجهن.

وأخرج الطبراني عن ابن عباس

ثلاثة لأن ذا الروح مركب والإله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب إليه ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟﴾ الآلهة ﴿ثَلَٰثَةٌ ۚ﴾ الله وعيسى وأمه ﴿ٱنتَهُوا۟﴾ عن ذلك وأتوا ﴿خَيْرًا لَّكُمْ ۚ﴾ منه وهو التوحيد ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ﴾ تنزيهاً له عن ﴿أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ خلقاً وملكاً وعبيداً والملكية تنافي البنوة ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ شهيداً على ذلك. ﴿١٧٢﴾ ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ﴾ يتكبر ويأنف ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾ الذي زعمتم أنه إله عن ﴿أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ﴾ عند الله لا يستنكفون أن يكونوا عبيداً لله، وهذا من أحسن الاستطراد ذكر للرد على من زعم أنها آلهة أو بنات الله كما رَدَّ بما قبله على النصارى الزاعمين ذلك المقصود خطابهم ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ في الآخرة. ﴿١٧٣﴾ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ﴾ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ عن عبادته ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً هو عذاب النار ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلِيًّا﴾ يدفعه عنهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يمنعهم منه. ﴿١٧٤﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ﴾ حجة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ ۚ﴾ عليكم وهو النبي ﷺ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ بيناً وهو القرآن. ﴿١٧٥﴾ ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا﴾ طريقاً ﴿مُّسْتَقِيمًا﴾ هو دين الإسلام. ﴿١٧٦﴾ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في الكلالة ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟﴾[1] مرفوع بفعل يفسره ﴿هَلَكَ﴾ مات ﴿لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ أي ولا والد وهو الكلالة ﴿وَلَهُۥٓ أُخْتٌ﴾ من أبوين أو أب ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ﴾ أي الأخ كذلك ﴿يَرِثُهَآ﴾ جميع ما تركت ﴿إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ﴾ فإن كان لها ولد ذكر فلا شيء له أو أنثى فله ما فضل عن نصيبها ولو كانت الأخت أو الأخ من أم ففرضه السدس كما تقدم أول السورة. ﴿فَإِن كَانَتَا﴾ أي الأختان ﴿ٱثْنَتَيْنِ﴾ أي فصاعداً لأنها نزلت في جابر وقد مات عن أخوات ﴿فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ﴾ الأخ ﴿وَإِن كَانُوٓا۟﴾ أي الورثة ﴿إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ﴾ منهم ﴿مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ شرائع دينكم لـ﴿أن﴾ لا ﴿تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[2] ومنه الميراث روى الشيخان عن البراء أنها آخر آية نزلت أي من الفرائض.

٥ ــ سورة المائدة

مدنية وآياتها ١٢٠ مائة وعشرون نزلت بعد الفتح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾[3] العهود المؤكدة التي بينكم وبين الله والناس ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ الإبل والبقر والغنم أكلاً بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في

---

(١) ﴿ٱلْكَلَٰلَةِ﴾: الذي لا ولد له ولا والد بلغة قريش.

(٢) ﴿أَن تَضِلُّوا۟﴾: يعني أن لا تضلوا بلغة قريش.

(٣) قوله تعالى: ﴿أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾: يعني: بالعهود بلغة بني حنيفة.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة النساء

قال: نزلت يوم حنين لما فتح الله حنيناً أصاب المسلمون نساء من نساء أهل الكتاب لهن أزواج، وكان الرجل إذا أراد أن يأتي المرأة قالت: إن لي زوجاً، فسئل ﷺ عن ذلك، فأنزل الله ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية. قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن معمر بن سليمان عن أبيه قال: زعم حضرمي أن رجالاً كانوا يفرضون المهر ثم عسى أن تدرك أحدهم العسرة، فنزلت ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ﴾

أسباب نزول الآية ٢٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا﴾ روى الترمذي والحاكم عن أم سلمة أنها قالت يغزو الرجال ولا يغزو النساء وإنما لنا نصف الميراث، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وأنزل فيها ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: أتت امرأة النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله للذكر مثل حظ الأنثيين، وشهادة امرأتين برجل، أفنحن في العمل هكذا؟ إن عملت المرأة حسنة كتبت لها نصف حسنة فأنزل الله ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ الآية: أخرج أبو داود في «سننه» من طريق ابن إسحاق عن داود بن الحصين قال: كنت أقرأ على أم سعد ابنة الربيع، وكانت مقيمة في حجر أبي بكر، فقرأت ﴿والذين عاقدت أيمانكم﴾ فقالت لا،

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] الآية فالاستثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلاً والتحريم لما عرض من الموت ونحوه ﴿غَيْرَ مُحِلِّي ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ أي مُحْرِمون ونصب «غير» على الحال من ضمير «لكم» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ من التحليل وغيره لا اعتراض عليه. (١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ جمع «شعيرة» أي معالم دينه بالصيد في الإحرام ﴿وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه ﴿وَلَا ٱلْهَدْىَ﴾ ما أهدي إلى الحرم من النعم بالتعرض له ﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ جمع «قلادة» وهي ما كان يقلد به من شجر الحرم ليأمن أي فلا تتعرضوا لها ولا لأصحابها ﴿وَلَآ﴾ تحلوا ﴿ءَآمِّينَ﴾ قاصدين ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ بأن تقاتلوهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا﴾ رزقاً ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾ بالتجارة ﴿وَرِضْوَٰنًا﴾ منه بقصده بزعمهم الفاسد وهذا منسوخ بآية «براءة» [التوبة: ٥] ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من الإحرام ﴿فَٱصْطَادُوا۟﴾ أمر إباحة ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يكسبنكم ﴿شَنَـَٔانُ﴾ بفتح النون وسكونها بغض ﴿قَوْمٍ﴾ لأجل ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ عليهم بالقتل وغيره ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ﴾ بفعل ما أمرتم به ﴿وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ بترك ما نهيتم عنه ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿عَلَى ٱلْإِثْمِ﴾ المعاصي ﴿وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ التعدي في حدود الله ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن خالفه. (٣) ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ أي أكلها ﴿وَٱلدَّمُ﴾ أي المسفوح كما في «الأنعام». ﴿وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ بأن ذبح على اسم غيره ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ﴾ الميتة خنقاً ﴿وَٱلْمَوْقُوذَةُ﴾ المقتولة ضرباً ﴿وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ﴾ الساقطة من علو إلى أسفل فماتت ﴿وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ المقتولة بنطح أخرى لها ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾ منه ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فذبحتموه ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى﴾ اسم ﴿ٱلنُّصُبِ﴾ جمع «نصاب» وهي الأصنام ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟﴾ تطلبوا القَسْم والحكم ﴿بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ جمع «زلم» بفتح الزاي وضمها مع فتح اللام «قدح» بكسر القاف صغير لا ريش له ولا نصل وكانت سبعة عند سادن الكعبة عليها أعلام وكانوا يحكّمونها فإن أمرتهم ائتمروا وإن نهتهم انتهوا ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ خروج عن الطاعة، ونزل يوم عرفة عام حجة الوداع ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ أن ترتدوا عنه بعد طمعهم في ذلك لما رأوا من قوته ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ أحكامه وفرائضه فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ بإكماله وقيل بدخول مكة آمنين ﴿وَرَضِيتُ﴾ أي اخترت ﴿لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ﴾[1] مجاعة إلى أكل شيء مما حرم عليه فأكله ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ﴾ مائل ﴿لِّإِثْمٍ﴾ معصية ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ له ما أكل ﴿رَّحِيمٌ﴾ به في إباحته له بخلاف المائل لإثم أي المتلبس به كقاطع الطريق والباغي مثلاً فلا يحل له الأكل. (٤) ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ من الطعام ﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ المستلذات ﴿و﴾ صيد ﴿ما عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ﴾ الكواسب من الكلاب والسباع والطير ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ حال من «كلّبت الكلب» بالتشديد أي أرسلته على الصيد ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ حال من ضمير «مكلبين» أي تؤدبونهن ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من آداب الصيد ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ وإن قتلنه بأن لم يأكلن منه بخلاف غير المعلمة فلا يحل صيدها وعلامتها أن تُسْتَرْسَلَ إذا أرسلت وتنزجر إذا زجرت وتمسك الصيد ولا تأكل منه وأقل ما يعرف

(١) ﴿مَخْمَصَةٍ﴾: مجاعة بلغة قريش.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة النساء

ولكن والذين عقدت، وإنما نزلت في أبي بكر وابنه حين أبى الإسلام، فحلف أبو بكر أن لا يورثه، فلما أسلم أمره أن يؤتيه نصيبه.

اسباب نزول الآية ٣٤ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ﴾ أخرج ابن أبي حاتم عن الحسن قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تستعدي على زوجها أنه لطمها، فقال رسول الله ﷺ: القصاص، فأنزل الله ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية، فرجعت بغير قصاص. وأخرج ابن جرير من طرق عن الحسن، وفي بعضها أن رجلاً من الأنصار لطم امرأته فجاءت تلتمس القصاص، فجعل النبي ﷺ بينهما القصاص، فنزلت ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ ونزلت ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾، وأخرج نحوه عن ابن جريج والسدي. وأخرج ابن مردويه عن علي قال: أتى النبي ﷺ رجل من الأنصار بامرأة له، فقالت يا رسول الله: إنه ضربني، فأثر في وجهي، فقال رسول الله: ليس له ذلك، فأنزل الله:

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية، فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً.

اسباب نزول الآية ٣٧ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: كان علماء بني إسرائيل يبخلون بما عندهم من العلم، فأنزل الله ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾

به ذلك ثلاث مرات فإن أكلت منه فليس مما أمسكن على صاحبهن فلا يحل أكله كما في حديث الصحيحين وفيه أن صيد السهم إذا أرسل وذكر اسم الله عليه كصيد المعلم من الجوارح ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عند إرساله ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾. ﴿٥﴾ ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ المستلذات ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي ذبائح اليهود والنصارى ﴿حِلٌّ﴾ حلال ﴿لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ﴾ إياهم ﴿حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ﴾ الحرائر ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ حل لكم أن تنكحوهن ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿مُحْصِنِينَ﴾ متزوجين ﴿غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ معلنين بالزنا بهن ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ منهن تُسِرُّون بالزنا بهن ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي يرتد ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾ الصالح قبل ذلك فلا يعتد به ولا يثاب عليه ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ إذا مات عليه. ﴿٦﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ﴾ أي أردتم القيام ﴿إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ وأنتم محدثون ﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ أي معها كما بينته السنة ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾ الباء للإلصاق أي ألصقوا المسح بها من غير إسالة ماء وهو اسم جنس فيكفي أقل ما يصدق عليه وهو مسح بعض شعره وعليه الشافعي، ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ بالنصب عطفاً على «أيديكم» وبالجر على الجوار ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ أي معهما كما بينته السنة وهما العظمان الناتئان في كل رجل عند مفصل الساق والقدم والفصل بين الأيدي والأرجل المغسولة بالرأس الممسوح يفيد وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء وعليه الشافعي ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟﴾ فاغتسلوا ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ مرضاً يضره الماء ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ أي مسافرين ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ أي أحدث ﴿أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ سبق مثله في آية «النساء» [٤٣] ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً﴾ بعد طلبه ﴿فَتَيَمَّمُوا۟﴾ اقصدوا ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ تراباً طاهراً ﴿فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم﴾ مع المرفقين ﴿مِّنْهُ﴾ بضربتين، والباء للإلصاق، وبينت السنة أن المراد استيعاب العضوين بالمسح ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾[1] ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ من الأحداث والذنوب ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ببيان شرائع الدين ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه. ﴿٧﴾ ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام ﴿وَمِيثَٰقَهُ﴾ عهده ﴿ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ عاهدكم عليه ﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾ للنبي ﷺ حين بايعتموه ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ﴾ في كل ما تأمر به وتنهى [عنه] مما نحب ونكره ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ في ميثاقه أن تنقضوه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما في القلوب فبغيره أولى. ﴿٨﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ﴾ قائمين ﴿لِلَّهِ﴾ بحقوقه ﴿شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ بالعدل ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ يحملنكم ﴿شَنَـَٔانُ﴾ بغض ﴿قَوْمٍ﴾ أي الكفار ﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ﴾ فتنالوا منهم لعداوتهم ﴿ٱعْدِلُوا۟﴾ في العدو والولي ﴿هُوَ﴾ أي العدل ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به. ﴿٩﴾ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وعداً حسناً ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ هو الجنة. ﴿١٠﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾. ﴿١١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ هم قريش ﴿أَن يَبْسُطُوٓا۟﴾ يمدوا ﴿إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾

---

(١) ﴿مِّنْ حَرَجٍ﴾: يعني من ضيق بلغة قيس غيلان.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة النساء

الآية. وأخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد عن ابن عباس قال: كان كردم بن زيد حليف كعب بن الأشرف، وأسامة بن حبيب، ونافع بن أبي نافع، وبحري بن عمرو، وحيي بن أخطب، ورفاعة بن زيد بن التابوت يأتون رجالاً من الأنصار ينصحون لهم فيقولون: لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرون ما يكون، فأنزل الله فيهم ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ إلى قوله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾.

أسباب نزول الآية ٤٣ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟﴾ الآية، روى أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم عن علي قال: صنع لنا عبد الرحمٰن بن عوف طعاماً فدعانا وسقانا من الخمر، فأخذت الخمر منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾ ونحن نعبد ما تعبدون، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ وأخرج الفريابي وابن أبي حاتم وابن المنذر عن علي قال: نزلت هذه الآية قوله: ﴿وَلَا جُنُبًا﴾ في المسافر تصيبه الجنابة فيتيمم ويصلي. وأخرج ابن مردويه عن الأسلع بن شريك قال: كنت أُرحل ناقة رسول الله ﷺ فأصابتني جنابة في ليلة باردة، فخشيت أن

ليفتكوا بكم ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ وعصمكم مما أرادوا بكم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. (١٢) ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ بما يذكر بعد ﴿وَبَعَثْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة أقمنا ﴿مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ من كل سبط نقيب يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بالعهد توثقة عليهم ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصرة ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾ نصرتموهم ﴿وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بالإنفاق في سبيله ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الميثاق ﴿مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أخطأ طريق الحق، و«السواء» في الأصل «الوسط» فنقضوا الميثاق. (١٣) قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ «ما» زائدة ﴿مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ أبعدناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ لا تلين لقبول الإيمان ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة من نعت محمد ﷺ وغيره ﴿عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها أي يبدلونه ﴿وَنَسُوا﴾ تركوا ﴿حَظًّا﴾ نصيباً ﴿مِّمَّا ذُكِّرُوا﴾ أمروا ﴿به﴾ في التوراة من اتباع محمد ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿تَطَّلِعُ﴾ تظهر ﴿عَلَىٰ خَائِنَةٍ﴾ أي خيانة ﴿مِّنْهُمْ﴾ بنقض العهد وغيره ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ ممن أسلم ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف [التوبة: ٥].

(١٤) ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ متعلق بقوله ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ كما أخذنا على بني إسرائيل اليهود ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ في الإنجيل من الإيمان وغيره ونقضوا الميثاق ﴿فَأَغْرَيْنَا﴾ أوقعنا ﴿بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بتفريقهم واختلاف أهوائهم فكل فرقة تُكَفِّرُ الأخرى ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه. (١٥) ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ﴾ تكتمون ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة والإنجيل كآية الرجم وصفته ﴿وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ من ذلك فلا يبينه إذا لم يكن فيه مصلحة إلا افتضاحكم و﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَكِتَابٌ﴾ قرآن ﴿مُّبِينٌ﴾ بَيِّنٌ ظاهر. (١٦) ﴿يَهْدِي بِهِ﴾ أي الكتاب ﴿اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ بأن آمن ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ طرق السلامة ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام. (١٧) ﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ حيث جعلوه إلهاً وهم اليعقوبية فرقة من النصارى ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ﴾ أن يدفع ﴿من﴾ عذاب ﴿اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي لا أحد يملك ذلك ولو كان المسيح إلهاً لقدر عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ شاءه ﴿قَدِيرٌ﴾. (١٨) ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ﴾ أي كل منهما ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ أي كأبنائه في القرب والمنزلة وهو كأبينا في الرحمة والشفقة ﴿وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ إن صدقتم في ذلك ولا يعذب الأب ولده ولا الحبيب حبيبه وقد عذبكم فأنتم كاذبون ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ﴾ مِنْ جملة مَنْ ﴿خَلَقَ﴾ من البشر لكم ما لهم وعليكم ما عليهم ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تعذيبه لا اعتراض عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

أغتسل بالماء البارد فأموت أو أمرض، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ﴾ الآية كلها.

وأخرج الطبراني عن الأسلع قال: كنت أخدم النبي ﷺ وأرحل له، فقال لي ذات يوم: يا أسلع قم فارحل، فقلت: يا رسول الله أصابتني جنابة، فسكت رسول الله ﷺ وأتاه جبريل بآية الصعيد فقال رسول الله ﷺ: قم يا أسلع فتيمم، فأراني التيمم ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين، فقمت فتيممت ثم رحلت له.

وأخرج ابن جرير عن يزيد بن أبي حبيب: أن رجالاً من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد، فكانت تصيبهم جنابة ولا ماء عندهم فيريدون الماء ولا يجدون ممراً إلا في المسجد، فأنزل الله قوله: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار كان مريضاً فلم يستطع أن يقوم فيتوضأ، ولم يكن له خادم يناوله فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾. الآية.

وأخرج ابن جرير عن إبراهيم النخعي قال: نال أصحاب النبي ﷺ جراحة ففشت فيهم، ثم ابتلوا بالجنابة فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فنزلت ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾ الآية كلها.

أسباب نزول الآية ٤٤ ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال:

وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ المرجع. (١٩) ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ شرائع الدين ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ﴾ انقطاع ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ إذ لم يكن بينه وبين عيسى رسول ومدة ذلك خمسمائة وتسع وستون سنة لـ﴿أَن﴾ لا ﴿تَقُولُوا۟﴾ إذا عذبتم ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ﴾ زائدة ﴿بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ فلا عذر لكم إذاً ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيبكم إن لم تتبعوه. (٢٠) ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ﴾ أي منكم ﴿أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾[1] أصحاب خدم وحشم ﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ من المن والسلوى وفلق البحر وغير ذلك. (٢١) ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ المطهرة ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أمركم بدخولها وهي الشام ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِكُمْ﴾ تنهزموا خوف العدو ﴿فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ في سعيكم. (٢٢) ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ من بقايا «عاد» طوالاً ذوي قوة ﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا ۖ فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾ لها. (٢٣) ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ مخالفة أمر الله وهما «يوشع وكالب» من النقباء الذين بعثهم موسى في كشف أحوال الجبابرة ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بالعصمة فكتما ما اطّلعا عليه من حالهم إلا عن موسى بخلاف بقية النقباء فأفشوه فجبنوا ﴿ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ ولا تخشوهم فإنهم أجساد بلا قلوب ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾ قالا ذلك تيقناً بنصر الله وإنجاز وعده ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

(٢٤) ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ﴾ هم. ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ عن القتال. (٢٥) ﴿قَالَ﴾ موسى حينئذ ﴿رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى و﴾ إلا ﴿أَخِى﴾ ولا أملك غيرهما فأجبرهم على الطاعة ﴿فَٱفْرُقْ﴾ فافصل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[2]. (٢٦) ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ أن يدخلوها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ﴾ يتحيرون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وهي تسعة فراسخ قاله ابن عباس ﴿فَلَا تَأْسَ﴾[3] تحزن ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ روي أنهم كانوا يسيرون الليل جادين فإذا أصبحوا إذا هم في الموضع الذي ابتدأوا منه ويسيرون النهار كذلك حتى انقرضوا كلهم إلا من لم يبلغ العشرين، قيل وكانوا ستمائة ألف ومات هارون وموسى في التيه وكان رحمة لهما وعذاباً لأولئك «وسأل موسى ربه عند موته أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر فأدناه» كما في الحديث، ونبّئ يوشع بعد الأربعين وأمر بقتال الجبارين فسار بمن بقي معه وقاتلهم وكان يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم، وروى أحمد في مسنده حديث «إن الشمس لم تحبس على بشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس». (٢٧) ﴿وَٱتْلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على قومك ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿ٱبْنَىْ ءَادَمَ﴾ هابيل وقابيل ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ«اتل» ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ إلى الله وهو كبش لهابيل وزرع لقابيل ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ وهو هابيل بأن نزلت نار من السماء فأكلت قربانه ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ﴾ وهو قابيل فغضب وأضمر الحسد في نفسه إلى أن حج آدم ﴿قَالَ﴾ له

---

(١) ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾: يعني أحراراً بلغة هذيل وكنانة.

(٢) ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا﴾: فاقض بلغة مدين.

(٣) ﴿فَلَا تَأْسَ﴾: تحزن بلغة قريش.

لباب النقول في اسباب النزول
سورة النساء

كان رفاعة بن زيد بن التابوت من عظماء اليهود، وإذا كلم رسول الله ﷺ لوى لسانه، وقال أرعنا سمعك يا محمد حتى نفقهك، ثم طعن في الإسلام دعابة، فأنزل الله فيه ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ﴾.

اسباب نزول الآية ٤٧ ـ قوله

تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية أخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال: كلم رسول الله ﷺ رؤساء من أحبار اليهود، منهم عبد الله بن صوريا وكعب بن أسيد، فقال لهم: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به الحق، فقالوا ما نعرف ذلك يا محمد فأنزل الله فيهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا﴾ الآية.

اسباب نزول الآية ٤٨ ـ قوله

تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ أخرج ابن أبي حاتم والطبراني عن أبي أيوب الأنصاري قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام، قال: وما دينه؟ قال يصلي ويوحد الله، قال: استوهب منه دينه فإن أبى فابتعه منه، فطلب الرجل ذلك منه فأبى عليه، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: وجدته شحيحاً على دينه، فنزلت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

اسباب نزول الآية ٤٩ ـ قوله

تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كانت اليهود يقدمون صبيانهم يصلون بهم،

﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ قال: لِمَ؟ قال لتقبل قربانك دوني ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾. (٢٨) ﴿لَئِن﴾ لام قسم ﴿بَسَطتَ﴾ مددت ﴿إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في قتلك. (٢٩) ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ﴾ ترجع ﴿بِإِثْمِي﴾ بإثم قتلي ﴿وَإِثْمِكَ﴾ الذي ارتكبته من قبل ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ ولا أريد أن أبوء بإثمك إذا قتلتك فأكون منهم، قال تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. (٣٠) ﴿فَطَوَّعَتْ﴾ زينت ﴿لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ﴾ فصار ﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ بقتله ولم يدر ما يصنع به لأنه أول ميت على وجه الأرض من بني آدم فحمله على ظهره. (٣١) ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ينبش التراب بمنقاره وبرجليه ويثيره على غراب معه ميت حتى واراه ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَٰرِى﴾ يستر ﴿سَوْءَةَ﴾ جيفة ﴿أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ﴾ عن ﴿أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ على حمله وحفر له وواراه.

(٣٢) ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ الذي فعله قابيل ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ﴾ أي الشأن ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ قتلها ﴿أَوْ﴾ بغير ﴿فَسَادٍ﴾ أتاه ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من كفر أو زنا أو قطع طريق أو نحوه ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ بأن امتنع عن قتلها ﴿فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ قال ابن عباس: من حيث انتهاك حرمتها وصونها ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ﴾ أي بني إسرائيل ﴿رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك. (٣٣) ونزل في العرنيين لما قدموا المدينة وهم مرضى فأذن لهم النبي ﷺ أن يخرجوا إلى الإبل ويشربوا من أبوالها وألبانها فلما صحوا قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا الإبل ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بمحاربة المسلمين ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ بقطع الطريق ﴿أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ أي أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى ﴿أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ «أو» لترتيب الأحوال فالقتل لمن قتل فقط والصلب لمن قتل وأخذ المال والقطع لمن أخذ ولم يقتل والنفي لمن أخاف فقط قاله ابن عباس وعليه الشافعي وأصح قوليه أن الصلب ثلاثاً بعد القتل وقيل قبله قليلاً ويلحق بالنفي ما أشبهه في التنكيل من الحبس وغيره ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجزاء المذكور ﴿لَهُمْ خِزْىٌ﴾ ذل ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هم عذاب النار.

(٣٤) ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟﴾ من المحاربين والقطاع ﴿مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لهم ما أتوه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم عَبَّرَ بذلك دون «فلا تحدُّوهم» ليفيد أنه لا يسقط عنه بتوبته إلا حدود الله دون حقوق الآدميين كذا ظهر لي ولم أرَ من تعرض له والله أعلم فإذا قتل وأخذ المال يقتل ويقطع ولا يصلب وهو أصح قولي الشافعي ولا تفيد توبته بعد القدرة عليه شيئاً وهو أصح قوليه أيضاً. (٣٥) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿وَٱبْتَغُوٓا۟﴾ اطلبوا ﴿إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ ما يقربكم إليه من طاعته ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ لإعلاء دينه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون. (٣٦) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ﴾ ثبت ﴿أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. (٣٧) ﴿يُرِيدُونَ﴾ يتمنون ﴿أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم. (٣٨) ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ «أل» فيهما موصولة مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو ﴿فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾ أي يمين كل

لباب النقول في أسباب النزول
سورة النساء

ويقربون قربانهم، ويزعمون أنهم لا خطايا لهم ولا ذنوب، فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾. وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة ومجاهد وأبي مالك وغيرهم.

اسباب نزول الآية ٥١ ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا﴾ الآية، أخرج أحمد وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة، قالت قريش: ألا ترى هذا المنصبر المنبتر من قومه يزعم أنه خير منه، ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة، وأهل السقاية؟ قال: أنتم خير، فنزلت فيهم ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ ونزلت ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى ﴿نَصِيرًا﴾. وأخرج ابن إسحاق عن ابن عباس قال: كان الذين حزبوا الأحزاب من قريش وغطفان، وبني قريظة: حيي بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق وأبو رافع والربيع بن أبي الحقيق، وأبو عمارة وهوذة بن قيس، وكان سائرهم من بني النضير فلما قدموا على قريش، قالوا هؤلاء أحبار يهود وأهل العلم بالكتب الأولى، فاسألوهم أدينكم خير أم دين محمد؟ فسألوهم فقالوا دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه، وممن اتبعه، فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى قوله: ﴿مُلْكًا عَظِيمًا﴾ وأخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس قال: قال أهل الكتاب زعم محمد أنه أوتي ما أوتي في تواضع، وله تسع نسوة وليس

منهما من الكوع وبينت السنة أن الذي يقطع فيه ربع دينار فصاعداً وإنه إذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى ثم الرجل اليمنى وبعد ذلك يعزر ﴿جَزَآءً﴾ نصب على المصدر ﴿بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا﴾ عقوبة لهما ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في خلقه. (٣٩) ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ﴾ رجع عن السرقة ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ في التعبير بهذا ما تقدم فلا يسقط عنه بتوبته حق الآدمي من القطع ورد المال، نعم بيّنت السنة أنه إن عفا عنه قبل الرفع إلى الإمام سقط القطع وعليه الشافعي. (٤٠) ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبه ﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ المغفرة له ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه التعذيب والمغفرة. (٤١) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ﴾ صُنْعُ ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ يقعون فيه بسرعة أي يظهرونه إذا وجدوا فرصة ﴿من﴾ للبيان ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بألسنتهم متعلق «بقالوا» ﴿وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ وهم المنافقون ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ قوم ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ الذي افترته أحبارهم سماع قبول ﴿سَمَّٰعُونَ﴾ منك ﴿لِقَوْمٍ﴾ لأجل قوم ﴿ءَاخَرِينَ﴾ من اليهود ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ وهم أهل خيبر زنى فيهم محصنان فكرهوا رجمهما فبعثوا قريظة ليسألوا النبي ﷺ عن حكمهما ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة كآية الرجم ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ التي وضعه الله عليها أي يبدّلونه ﴿يَقُولُونَ﴾ لمن أرسلوهم ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا﴾ الحكم المحرف أي الجلد أي أفتاكم به محمد ﴿فَخُذُوهُ﴾ فاقبلوه ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ﴾ بل أفتاكم بخلافه ﴿فَٱحْذَرُواْ﴾ أن تقبلوه ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ﴾ إضلاله ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ في دفعها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ من الكفر ولو أراده لكان ﴿لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ﴾ ذل بالفضيحة والجزية ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

(٤٢) هم ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ بضم الحاء وسكونها أي الحرام كالرشا ﴿فَإِن جَآءُوكَ﴾ لتحكم بينهم ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ هذا التخيير منسوخ بقوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم﴾ [المائدة: ٤٩] الآية فيجب الحكم بينهم إذا ترافعوا إلينا وهو أصح قولي الشافعي فلو ترافعوا إلينا مع مسلم وجب إجماعاً ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ﴾ بينهم ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين في الحكم أي يثيبهم. (٤٣) ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ بالرجم استفهام تعجب أي لم يقصدوا بذلك معرفة الحق بل ما هو أهون عليهم ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾ يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم ﴿مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ التحكيم ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. (٤٤) ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾ بيان للأحكام ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ﴾ من بني إسرائيل ﴿ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ﴾ انقادوا لله ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ العلماء منهم ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾ الفقهاء ﴿بِمَا﴾ أي بسبب الذي ﴿ٱسْتُحْفِظُواْ﴾ استودعوه أي استحفظهم الله إياه ﴿مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ أن يبدلوه ﴿وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ أنه حق ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ﴾ أيها اليهود في إظهار ما عندكم من نعت محمد ﷺ والرجم وغيرهما ﴿وَٱخْشَوْنِ﴾ في كتمانه ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ﴾ تستبدلوا ﴿بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا تأخذونه على كتمانها ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ به. (٤٥) ﴿وَكَتَبْنَا﴾

همه إلا النكاح، فأيُّ مُلك أفضل من هذا؟ فأنزل الله ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ﴾ الآية، وأخرج ابن سعد عن عمر مولى عفرة نحوه أبسط منه.

أسباب نزول الآية ٥٨ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾، أخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: لما فتح رسول الله ﷺ مكة دعا عثمان بن طلحة، فلما أتاه قال: أرني المفتاح، فأتاه به فلما بسط يده إليه قام العباس فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي اجمعه لي مع السقاية، فكفَّ عثمان يده، فقال رسول الله ﷺ هات المفتاح يا عثمان، فقال: هاك أمانة الله، فقام ففتح الكعبة، ثم خرج فطاف بالبيت، ثم نزل عليه جبريل برد المفتاح، فدعا عثمان بن طلحة فأعطاه المفتاح ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ حتى فرغ من الآية. وأخرج شعبة في «تفسيره» عن حجاج عن ابن جريج قال: نزلت هذه الآية في عثمان بن طلحة أخذ منه رسول الله مفتاح الكعبة، فدخل به البيت يوم الفتح، فخرج وهو يتلو هذه الآية، فدعا عثمان، فناوله المفتاح، قال: وقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول الله من الكعبة، وهو يتلو هذه الآية: فداه أبي وأمي ما سمعته يتلوها قبل ذلك، قلت: ظاهر هذا أنها نزلت في جوف الكعبة.

أسباب نزول الآية ٥٩ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ روى البخاري وغيره عن

فرضنا ﴿عَلَيْهِمْ فِيهَآ﴾ أي التوراة ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ﴾ تقتل ﴿بِٱلنَّفْسِ﴾ إذا قتلتها ﴿وَٱلْعَيْنَ﴾ تُفقأ ﴿بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ﴾ يُجدع ﴿بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ﴾ تُقطع ﴿بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ﴾ تُقلع ﴿بِٱلسِّنِّ﴾ وفي قراءة بالرفع في الأربعة ﴿وَٱلْجُرُوحَ﴾ بالوجهين [والجروحَ، والجروحُ] ﴿قِصَاصٌ﴾ أي يقتص فيها إذا أمكن كاليد والرجل والذَكَرِ ونحو ذلك وما لا يمكن فيه الحكومة وهذا الحكم وإن كتب عليهم فهو مقرر في شرعنا ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ أي بالقصاص بأن مكن من نفسه ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ لما أتاه ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ في القصاص وغيره ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

﴿٤٦﴾ ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أتبعنا ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾ أي النبيين ﴿بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله ﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾ بيان للأحكام ﴿وَمُصَدِّقًا﴾ حال ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ لما فيها من الأحكام ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾. ﴿٤٧﴾ ﴿و﴾ قلنا ﴿لِيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ من الأحكام وفي قراءة بنصب «يحكم» وكسر لامه عطفاً على معمول «آتيناه» ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾. ﴿٤٨﴾ ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق «بأنزلنا» ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله ﴿مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا﴾ شاهداً ﴿عَلَيْهِ﴾ «والكتاب» بمعنى الكتب ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم﴾ بين أهل الكتاب إذا ترافعوا إليك ﴿بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إليك ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ عادلاً ﴿عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ أيها الأمم ﴿شِرْعَةً﴾ شريعة ﴿وَمِنْهَاجًا﴾ طريقاً واضحاً في الدين يمشون عليه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ على شريعة واحدة ﴿وَلَٰكِن﴾ فرقكم فرقاً ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ من الشرائع المختلفة لينظر المطيع منكم والعاصي ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ سارعوا إليها ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ بالبعث ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين ويجزي كلاً منكم بعمله. ﴿٤٩﴾ ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَّيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ﴾ لـ﴿أن﴾ لا ﴿يَفْتِنُوكَ﴾ يضلوك ﴿عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ عن الحكم المنزل وأرادوا غيره ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم﴾ بالعقوبة في الدنيا ﴿بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ التي أتوها ومنها التولي ويجازيهم على جميعها في الأخرى ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ﴾. ﴿٥٠﴾ ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ بالياء والتاء يطلبون من المداهنة والميل إذا تولوا؟ استفهام إنكاري ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ﴾ عند قوم ﴿يُوقِنُونَ﴾ به؟ خصوا بالذكر لأنهم الذين يتدبرونه. ﴿٥١﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ توالونهم وتوادونهم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ لاتحادهم في الكفر ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ من جملتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بموالاتهم الكفار. ﴿٥٢﴾ ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد كعبد الله بن أُبيّ المنافق ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ في موالاتهم ﴿يَقُولُونَ﴾ معتذرين عنها ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ يدور بها الدهر علينا من جدب أو غلبة ولا يتم أمر محمد فلا يميرونا، قال تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ﴾ بالنصر لنبيه بإظهار دينه ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ بهتك ستر المنافقين وافتضاحهم ﴿فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ من الشك وموالاة الكفار ﴿نَٰدِمِينَ﴾. ﴿٥٣﴾ ﴿وَيَقُولُ﴾ بالرفع استئنافاً بواو ودونها وبالنصب عطفاً على «يأتي» ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ لبعضهم ـ إذا هتك سترهم ـ تعجباً ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ في الدين؟ قال تعالى: ﴿حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ الصالحة

ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في عبد الله بن حُذَافة بن قيس إذ بعثه النبي ﷺ في سرية، كذا أخرجه مختصراً وقال الداودي هذا وهم، يعني الافتراء على ابن عباس، فإن عبد الله بن حُذَافة خرج على جيش فغضب فأوقد ناراً وقال: اقتحموا فامتنع بعض وهمَّ بعض أن يفعل، قال: فإن كانت الآية نزلت قبل، فكيف يخص عبد الله بن حذافة بالطاعة دون غيره، وإن كانت نزلت بعده فإنما قيل لهم: إنما الطاعة في المعروف، وما قيل لهم لِمَ لم تطيعوه، وأجاب الحافظ ابن حجر بأن المقصود في قصته: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ﴾ فإنهم تنازعوا في امتثال الأمر بالطاعة، والتوقف فراراً من النار فناسب أن ينزل في ذلك ما يرشدهم إلى ما يفعلونه عند التنازع، وهو الرد إلى الله والرسول، وقد أخرج ابن جرير أنها نزلت في قصة جرت لعمار بن ياسر مع خالد بن الوليد وكان خالد أميراً، فأجار عمار رجلاً بغير أمره فتخاصما، فنزلت.

أسباب نزول الآية ٦٠ ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾، أخرج ابن أبي حاتم والطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: كان أبو برزة الأسلمي كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون فيه، فتنافر إليه ناس من المسلمين فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾. وأخرج ابن

أبي حاتم من طريق عكرمة أو سعيد عن ابن عباس قال: كان الجلاس بن الصامت، ومتعب بن قشير، ورافع بن زيد، وبشر يدّعون الإسلام فدعاهم رجال من قومهم من المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله ﷺ فدعوهم إلى الكهان حكام الجاهلية فأنزل الله فيهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن الشعبي قال: كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة، فقال اليهودي أحاكمك إلى أهل دينك أو قال النبي لأنه قد علم أنه لا يأخذ الرشوة في الحكم، فاختلفا واتفقا على أن يأتيا كاهناً في جهينة، فنزلت.

اسباب نزول الآية ٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾، أخرج الأئمة الستة عن عبد الله بن الزبير قال: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شراج الحرة، فقال ﷺ: اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك، فقال الأنصاري يا رسول الله إن كان ابن عمتك فتلون وجهه ثم قال: اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدار، ثم أرسل الماء إلى جارك واستوعب للزبير حقه، وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة، قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾. وأخرج الطبراني في «الكبير» والحميدي في «مسنده» عن أم سلمة قالت: خاصم الزبير رجلاً إلى رسول الله ﷺ فقضى للزبير فقال

﴿فَأَصْبَحُوا﴾ صاروا ﴿خَاسِرِينَ﴾ الدنيا بالفضيحة والآخرة بالعقاب. ﴿٥٤﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ﴾ بالفك والإدغام [يرتدد] يرجع ﴿مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ إلى الكفر إخبار بما علم الله تعالى وقوعه وقد ارتد جماعة بعد موت النبي ﷺ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ﴾ بدلهم ﴿بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ قال النبي ﷺ: «هم قوم هذا» وأشار إلى أبي موسى الأشعري رواه الحاكم في صحيحه ﴿أَذِلَّةٍ﴾ عاطفين ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ﴾ أشداء ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ فيه كما يخاف المنافقون لوم الكفار ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور من الأوصاف ﴿فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ كثير الفضل ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن هو أهله. ﴿٥٥﴾ ونزل لما قال ابن سلام يا رسول الله إن قومنا هجرونا ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ خاشعون أو يصلّون صلاة التطوع. ﴿٥٦﴾ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ فيعينهم وينصرهم ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ لنصره إياهم أوقعه موقع «فإنهم» بياناً لأنهم من حزبه أي أتباعه. ﴿٥٧﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا﴾ مهزوءاً به ﴿وَلَعِبًا مِّنَ﴾ للبيان ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ﴾ المشركين بالجر والنصب ﴿أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك موالاتهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ صادقين في إيمانكم. ﴿٥٨﴾ ﴿و﴾ الذين ﴿إِذَا نَادَيْتُمْ﴾ دعوتم ﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾ بالأذان ﴿اتَّخَذُوهَا﴾ أي الصلاة ﴿هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ بأن يستهزئوا بها ويتضاحكوا ﴿ذَٰلِكَ﴾ الاتخاذ ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾. ﴿٥٩﴾ ونزل لما قال اليهود للنبي ﷺ: بمن تؤمن من الرسل؟ فقال: ﴿بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية فلما ذكر عيسى قالوا: لا نعلم ديناً شراً من دينكم ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ﴾ تنكرون ﴿مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ إلى الأنبياء ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ عطف على «أن آمنا» المعنى ما تنكرون إلا إيماننا ومخالفتكم في عدم قبوله المعبر عنه بالفسق اللازم عنه وليس هذا مما ينكر. ﴿٦٠﴾ ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم﴾ أخبركم ﴿بِشَرٍّ مِّن﴾ أهل ﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي تنقمونه ﴿مَثُوبَةً﴾ ثواباً بمعنى جزاء ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ هو ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ﴾ أبعده عن رحمته ﴿وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ بالمسخ ﴿و﴾ من ﴿عَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ الشيطان بطاعته، وراعى في «منهم» معنى «مَنْ» وفيما قبله لفظها وهم اليهود، وفي قراءة بضم باء «عبد» وإضافته إلى ما بعده اسم جمع «العبْد» ونصبه بالعطف على «القردة» ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ تمييز لأن مأواهم النار ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ طريق الحق وأصل «السواء» الوسط وذكر «شر» و«أضل» في مقابلة قولهم لا نعلم ديناً شراً من دينكم. ﴿٦١﴾ ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ﴾ أي منافقو اليهود ﴿قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا﴾ إليكم متلبسين ﴿بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا﴾ من عندكم متلبسين ﴿به﴾ ولم يؤمنوا ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ ه من النفاق. ﴿٦٢﴾ ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ أي اليهود ﴿يُسَارِعُونَ﴾ يقعون سريعاً ﴿فِي الْإِثْمِ﴾ الكذب ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ الظلم ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ الحرام كالرشا ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ه عملهم هذا. ﴿٦٣﴾ ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ منهم ﴿عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ﴾ الكذب ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ه ترك نهيهم. ﴿٦٤﴾ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبي ﷺ بعد أن كانوا أكثر الناس مالاً ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ مقبوضة عن إدرار الرزق علينا كنّوا به عن البخل ـ تعالى الله عن ذلك ـ قال تعالى: ﴿غُلَّتْ﴾ أمسكت ﴿أَيْدِيهِمْ﴾ عن فعل الخيرات دعاء عليهم ﴿وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ مبالغة في الوصف بالجود وثنّي اليد لإفادة الكثرة إذ غاية ما يبذله السخي

بِهِۦ﴾ بما أخذه منكم بزعمكم؟ ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾ نبين ﴿ٱلْآيَـٰتِ﴾ الدلالات على وحدانيتنا ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾[1] يُعرضون عنها فلا يؤمنون.

﴿٤٧﴾ ﴿قل﴾ لهم ﴿أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾ ليلاً أو نهاراً ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ الكافرون؟ أي ما يهلك إلا هم. ﴿٤٨﴾ ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿فَمَنْ ءَامَنَ﴾ بهم ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة. ﴿٤٩﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ يخرجون عن الطاعة. ﴿٥٠﴾ ﴿قل﴾ لهم ﴿لَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ التي منها يرزق ﴿وَلَآ﴾ أني ﴿أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ ما غاب عني ولم يوح إلي ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ من الملائكة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾ الكافر ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾ المؤمن؟ لا ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فتؤمنوا؟ ﴿٥١﴾ ﴿وَأَنذِرْ﴾ خوِّف ﴿به﴾ أي بالقرآن ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ﴾ أي غيره ﴿وَلِىٌّ﴾ ينصرهم ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم وجملة النفي حال من ضمير «يحشروا» وهي محل الخوف والمراد بهم المؤمنون العاصون ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الله بإقلاعهم عما هم فيه وعمل الطاعات. ﴿٥٢﴾ ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ﴾ بعبادتهم ﴿وَجْهَهُۥ﴾ تعالى لا شيئاً من أعراض الدنيا وهم الفقراء، وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردهم ليجالسوه وأراد النبي ﷺ ذلك طمعاً في إسلامهم ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن﴾ زائدة ﴿شَىْءٍ﴾ إن كان باطنهم غير مرضي ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جواب النفي ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ إن فعلت ذلك. ﴿٥٣﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا﴾ ابتلينا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ أي الشريف بالوضيع والغني بالفقير بأن قدمناه بالسبق إلى الإيمان ﴿لِّيَقُولُوٓا۟﴾ أي الشرفاء والأغنياء منكرين ﴿أَهَـٰٓؤُلَآءِ﴾ الفقراء ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ بالهداية؟ أي لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا إليه قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ له فيهديهم؟ بلى. ﴿٥٤﴾ ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ﴾ لهم ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ﴾ قضى ﴿رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ﴾ أي الشأن، وفي قراءة بالفتح [أنه] بدل من «الرحمة» ﴿مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ﴾ منه حيث ارتكبه ﴿ثُمَّ تَابَ﴾ رجع ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ بعد عمله عنه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَأَنَّهُۥ﴾ أي الله ﴿غَفُورٌ﴾ له ﴿رَّحِيمٌ﴾ به، وفي قراءة بالفتح [أنه] أي فالمغفرة له. ﴿٥٥﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُفَصِّلُ﴾ نبين ﴿ٱلْآيَـٰتِ﴾ القرآن ليظهر الحق فيُعْمَل به ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾ تظهر ﴿سَبِيلُ﴾ طريق ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ فتُجْتَنَب، وفي قراءة: بالتحتانية، وفي أخرى بالفوقانية ونصب «سبيل» خطاب للنبي ﷺ.

﴿٥٦﴾ ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ في عبادتها ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ إن اتبعتها ﴿وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾. ﴿٥٧﴾ ﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿مِّن رَّبِّى﴾ قد ﴿كَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ بربي حيث أشركتم ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ من العذاب ﴿إِنِ﴾ ما ﴿ٱلْحُكْمُ﴾ في ذلك وغيره ﴿إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ﴾ القضاء ﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَـٰصِلِينَ﴾ الحاكمين وفي قراءة «يَقْصُصُ» أي يقول. ﴿٥٨﴾ ﴿قل﴾ لهم ﴿لَوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى

(١) ﴿يَصْدِفُونَ﴾: يعرضون بلغة قريش، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ [الآية: ١٧٥]: أعرض.

أراد أن يأتيه فأبى قومه أن يدعوه قال: فليأت من يبلغه عني ويبلغني عنه، فانتدب له رجلان، فأتيا النبي ﷺ، فقالا: نحن رسل أكثم بن صيفي وهو يسألك من أنت وما أنت وبم جئت؟ قال: أنا محمد بن عبد الله، وأنا عبد الله ورسوله، ثم تلا عليهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ الآية، فأتيا أكثم فقالا له ذلك؟ قال: أي قوم إنه يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن ملائمها، فكونوا في هذا الأمر رؤساء، ولا تكونوا فيه أذناباً فركب بعيره متوجهاً إلى المدينة فمات في الطريق، فنزلت فيه ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا﴾ الآية، مرسل إسناده ضعيف. وأخرج أبو حاتم في كتاب المعمرين من طريقين عن ابن عباس: أنه سئل عن هذه الآية، فقال: نزلت في أكثم بن صيفي، قيل فأين الليثي؟ قال: ذا قبل الليثي بزمان وهي خاصة عامة.

أسباب نزول الآية ١٠١ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ الآية.

أخرج ابن جرير عن علي قال: سأل قوم من بني النجار رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله إنا نضرب في الأرض فكيف نصلي؟ فأنزل الله ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ ثم انقطع الوحي فلما كان بعد ذلك بحول غزا النبي ﷺ فصلى الظهر، فقال المشركون لقد أمكنكم محمد وأصحابه من ظهورهم هلا شددتم عليهم؟ فقال قائل منهم إن لهم أخرى مثلها في إثرها، فأنزل الله بين الصلاتين ﴿إِنَّ

وَبَيْنَكُمْ﴾ بأن أعجله لكم وأستريح ولكنه عند الله ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ متى يعاقبهم. (٥٩) ﴿وَعِندَهُ﴾ تعالى ﴿مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾ خزائنه أو الطرق الموصلة إلى علمه ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ وهي الخمسة التي في قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية كما رواه البخاري ﴿وَيَعْلَمُ مَا﴾ يحدث ﴿فِي الْبَرِّ﴾ القفار ﴿وَالْبَحْرِ﴾ القرى التي على الأنهار ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن﴾ زائدة ﴿وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ عطف على «ورقة» ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ هو اللوح المحفوظ والاستثناء بدل اشتمال من الاستثناء قبله. (٦٠) ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ﴾ يقبض أرواحكم عند النوم ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾ كسبتم ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ أي النهار برد أرواحكم ﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ هو أجل الحياة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به. (٦١) ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ مستعلياً ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ ملائكة تحصي أعمالكم ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ﴾ وفي قراءة «توفاه» ﴿رُسُلُنَا﴾ الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ يقصرون فيما يؤمرون به. (٦٢) ﴿ثُمَّ رُدُّوا﴾ أي الخلق ﴿إِلَىٰ اللَّهِ مَوْلَاهُمُ﴾ مالكهم ﴿الْحَقِّ﴾ الثابت العدل ليجازيهم ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ فيهم ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك. (٦٣) ﴿قل﴾ يا محمد لأهل مكة ﴿مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أهوالهما في أسفاركم حين ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا﴾ علانية ﴿وَخُفْيَةً﴾ سراً تقولون ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَنجَانَا﴾ وفي قراءة «أنجانا» أي الله ﴿مِنْ هَٰذِهِ﴾ الظلمات والشدائد ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ المؤمنين. (٦٤) ﴿قل﴾ لهم ﴿اللَّهُ يُنَجِّيكُم﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ غمّ سواها ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ به. (٦٥) ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ من السماء كالحجارة والصيحة ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كالخسف ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ﴾ يخلطكم ﴿شِيَعًا﴾ فرقاً مختلفة الأهواء ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ بالقتال، قال ﷺ: لما نزلت «هذه أهون وأيسر» ولما نزل ما قبله: «أعوذ بوجهك» رواه البخاري وروى مسلم حديث «سألت ربي أن لا يجعل بأس أمتي بينهم فمنعنيها» وفي حديث لما نزلت قال «أما إنها كائنة ولم يأت تأويلها بعد» ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ﴾ نبين لهم ﴿الْآيَاتِ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ يعلمون أن ما هم عليه باطل. (٦٦) ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ الصدق ﴿قل﴾ لهم ﴿لَسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ فأجازيكم إنما أنا منذر وأمركم إلى الله وهذا قبل الأمر بالقتال. (٦٧) ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ﴾ خبر ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾ وقت يقع فيه ويستقر ومنه عذابكم ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد لهم. (٦٨) ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن بالاستهزاء ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تجالسهم ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿يُنسِيَنَّكَ﴾ بسكون النون والتخفيف وفتحها والتشديد [ينسينك] ﴿الشَّيْطَانُ﴾ فقعدت معهم ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ﴾ أي تذكره ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر. (٦٩) وقال المسلمون إن قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف فنزل: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الله ﴿مِن حِسَابِهِم﴾ أي الخائضين ﴿من﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ إذا جالسوهم ﴿وَلَٰكِن﴾ عليهم ﴿ذِكْرَىٰ﴾ تذكرة لهم وموعظة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوض. (٧٠) ﴿وَذَرِ﴾ اترك ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾ الذي كلفوه ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ باستهزائهم به ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فلا تتعرض

لباب النقول في أسباب النزول
سورة النساء

خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾ فنزلت صلاة الخوف. وأخرج أحمد والحاكم وصححه البيهقي في «الدلائل» عن ابن عياش الزرقي قال: كنا مع رسول الله بعسفان، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة، فصلى بنا النبي ﷺ الظهر فقالوا قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم، ثم قالوا: يأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم، فنزل جبريل بهذه الآيات بين الظهر والعصر ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ وروى الترمذي نحوه عن أبي هريرة وابن جرير نحوه عن جابر بن عبد الله وابن عباس.

اسباب نزول الآية ١٠٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، أخرج البخاري عن ابن عباس قال نزلت ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾ في عبد الرحمٰن بن عوف كان جريحاً.

اسباب نزول الآية ١٠٥ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا﴾ الآية، روى الترمذي والحاكم وغيرهما عن قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق بشر وبشير ومبشر، وكان بشير رجلاً منافقاً يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثم ينحله بعض العرب يقول: قال فلان كذا وكانوا أهل بيت حاجة وفاقة في الجاهلية والإسلام، وكان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر والشعير، فابتاع عمي رفاعة بن زيد حملاً من الدرمك، فجعله في مشربة له فيها سلاح ودرع

لهم وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿وَذَكِّرْ﴾ عظ ﴿به﴾ بالقرآن الناس لـ﴿أن﴾ لا ﴿تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾ تسلم إلى الهلاك ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلِيٌّ﴾ ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يمنع عنها العذاب ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ تفد كل فداء ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ ما تفدي به ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم. (٧١) ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟﴾ أنعبد ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ بتركها وهو الأصنام ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِنَا﴾ نرجع مشركين ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ إلى الإسلام ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ﴾ أضلته ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ متحيراً لا يدري أين يذهب حال من الهاء ﴿لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ﴾ رفقة ﴿يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى﴾ أي ليهدوه الطريق يقولون له ﴿ٱئْتِنَا﴾ فلا يجيبهم فيهلك والاستفهام للإنكار وجملة التشبيه حال من ضمير «نرد» ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ وما عداه ضلال ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ﴾ أي بأن نسلم ﴿لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. (٧٢) ﴿وَأَنْ﴾ أي بأن ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾ تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تجمعون يوم القيامة للحساب. (٧٣) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي محقاً ﴿و﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾ للشيء ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ هو يوم القيامة يقول للخلق قوموا فيقوموا ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ الصدق الواقع لا محالة ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ القرن النفخة الثانية من إسرافيل لا ملك فيه لغيره ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ﴾ [غافر: ١٦] ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ بباطن الأشياء كظاهرها. (٧٤) ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ هو لقبه واسمه «تارخ» ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ تعبدها؟ استفهام توبيخ ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ﴾ باتخاذها ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾ عن الحق ﴿مُّبِينٍ﴾ بيّن. (٧٥) ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما أريناه إضلال أبيه وقومه ﴿نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ﴾ ملك ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ليستدل به على وحدانيتنا ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ بها وجملة «وكذلك» وما بعدها اعتراض وعطف على «قال». (٧٦) ﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ أظلم ﴿عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ قيل هو الزهرة ﴿قَالَ﴾ لقومه وكانوا قوماً نجامين ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾ في زعمكم ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ أن أتخذهم أرباباً لأن الرب لا يجوز عليه التغيير والانتقال لأنهما من شأن الحوادث فلم ينجع فيهم ذلك. (٧٧) ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا﴾ طالعاً ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى﴾ يثبتني على الهدى ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ تعريض لقومه بأنهم على ضلال فلم ينجع فيهم ذلك. (٧٨) ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا﴾ ذكّره لتذكير خبره ﴿رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ من الكوكب والقمر ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ﴾ وقويت عليهم الحجة ولم يرجعوا ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بالله من الأصنام والأجرام المحدثة المحتاجة إلى محدث فقالوا له ما تعبد؟ (٧٩) قال ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ﴾ قصدت بعبادتي ﴿لِلَّذِى فَطَرَ﴾ خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أي الله ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً إلى الدين القيم ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ به. (٨٠) ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ جادلوه في دينه وهددوه بالأصنام أن تصيبه بسوء إن تركها ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى﴾ بتشديد النون وتخفيفها بحذف إحدى النونين وهي نون الرفع عند النحاة ونون الوقاية عند الفراء أتجادلونني ﴿فِى﴾ وحدانية ﴿ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ تعالى إليها ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ من الأصنام أن تصيبني بسوء لعدم قدرتها على شيء ﴿إِلَّآ﴾ لكن ﴿أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ من المكروه يصيبني فيكون

وسيف، فعدي عليه من تحت فثقبت المشربة وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعة فقال يا ابن أخي إنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا وذهب بطعامنا وسلاحنا، فتجسسنا في الدار وسألنا فقيل لنا: قد رأينا بني أبيرق استوقدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم، فقال بنو أبيرق، ونحن نسأل في الدار: والله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل: رجل منا له صلاح وإسلام، فلما سمع لبيد اخترط سيفه وقال: أنا أسرق والله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة، قالوا إليك عنا أيها الرجل فما أنت بصاحبها فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها، فقال لي عمي: يا ابن أخي لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فأتيته فقلت: أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي، فنقبوا مشربة له وأخذوا سلاحه وطعامه فليردوا علينا سلاحنا، وأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال رسول الله ﷺ: سأنظر في ذلك، فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلاً منهم يقال له أسير بن عروة، فكلموه في ذلك فاجتمع في ذلك أناس من أهل الدار فقالوا يا رسول الله: إن قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرقة من غير بينة ولا ثبت. قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ، فقال: عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرقة على غير ثبت وبينة؟

﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي وسع علمه كل شيء ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون؟ (٨١) ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ بالله وهي لا تضر ولا تنفع ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ أنتم من الله ﴿أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ﴾ في العبادة ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ﴾ بعبادته ﴿عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ حجة وبرهاناً وهو القادر على كل شيء ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ أنحن أم أنتم؟ ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ من الأحق به - أي وهو نحن - فاتبعوه. (٨٢) قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ يخلطوا ﴿إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي شرك كما فُسِّرَ بذلك في حديث الصحيحين ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ من العذاب ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾. (٨٣) ﴿وَتِلْكَ﴾ مبتدأ ويبدل منه ﴿حُجَّتُنَا﴾ التي احتج بها إبراهيم على وحدانية الله أفول الكوكب وما بعده والخبر ﴿آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ أرشدناه لها حجة ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ بالإضافة والتنوين [درجات] في العلم والحكمة ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه. (٨٤) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ابنه ﴿كُلًّا﴾ منهما ﴿هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي قبل إبراهيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي نوح ﴿دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ بن يعقوب ﴿وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. (٨٥) ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ﴾ ابنه ﴿وَعِيسَىٰ﴾ ابن مريم يفيد أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿وَإِلْيَاسَ﴾ بن هارون أخي موسى ﴿كُلٌّ﴾ منهم ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾. (٨٦) ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ بن إبراهيم ﴿وَالْيَسَعَ﴾ اللام زائدة ﴿وَيُونُسَ وَلُوطًا﴾ ابن هاران أخي إبراهيم ﴿وَكُلًّا﴾ منهم ﴿فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بالنبوة. (٨٧) ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾ عطف على «كلاً» أو «نوحاً» و«من» للتبعيض لأن بعضهم لم يكن له ولد وبعضهم كان في ولده كافر ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ اخترناهم ﴿وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾. (٨٨) ﴿ذَٰلِكَ﴾ الدين الذي هُدوا إليه ﴿هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا﴾ فرضاً ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. (٨٩) ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى الكتب ﴿وَالْحُكْمَ﴾ الحكمة ﴿وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ أي بهذه الثلاثة ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ أي أهل مكة ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ أرصدنا لها ﴿قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ هم المهاجرون والأنصار. (٩٠) ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى﴾ هم ﴿اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ﴾ طريقهم من التوحيد والصبر ﴿اقْتَدِهْ﴾ بهاء السكت وقفاً ووصلاً وفي قراءة بحذفها وصلاً ﴿قل﴾ لأهل مكة ﴿لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي القرآن ﴿أَجْرًا﴾ تعطونيه ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما للقرآن ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن. (٩١) ﴿وَمَا قَدَرُوا﴾ أي اليهود ﴿اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي ما عظموه حق عظمته أو ما عرفوه حق معرفته ﴿إِذْ قَالُوا﴾ للنبي ﷺ - وقد خاصموه في القرآن - ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ﴾ لهم ﴿مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ﴾ بالياء والتاء في المواضع الثلاثة ﴿قَرَاطِيسَ﴾ أي يكتبونه في دفاتر مقطعة ﴿يُبْدُونَهَا﴾ أي ما يحبون إبداءه منها ﴿وَيُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ مما فيها كنعت محمد ﷺ ﴿وَعُلِّمْتُم﴾ أيها اليهود في القرآن ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ﴾ من التوراة ببيان ما التبس عليكم واختلفتم فيه ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أنزله إن لم يقولوه لا جواب غيره ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ﴾ باطلهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾. (٩٢) ﴿وَهَٰذَا﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَلِتُنذِرَ﴾ بالتاء والياء عطف على معنى ما قبله أي أنزلناه للبركة التصديق ولتنذر به ﴿أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي أهل مكة وسائر الناس ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ خوفاً من عقابها. (٩٣) ﴿وَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ

لباب النقول في أسباب النزول
سورة النساء

فرجعت فأخبرت عمي فقال: الله المستعان، فلم نلبث أن نزل القرآن ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) بني أبيرق ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ أي مما قلت لقتادة إلى قوله ﴿عَظِيمًا﴾ فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلاح فرده إلى رفاعة ولحق بشير بالمشركين، فنزل على سلافة بنت سعد، فأنزل الله ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ إلى قوله ﴿ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. وأخرج ابن سعد في «الطبقات» بسنده عن محمود بن لبيد قال: عدا بشير بن الحارث على علية رفاعة بن زيد عم قتادة بن النعمان فنقبها من ظهرها وأخذ طعاماً له ودرعين بأداتهما، فأتى قتادة النبي ﷺ فأخبره بذلك فدعا بشيراً فسأله فأنكر ورمى بذلك لبيد بن سهل رجلاً من أهل الدار ذا حسب ونسب، فنزل القرآن بتكذيب بشير وبراءة لبيد ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ فلما نزل القرآن في بشير وعثر عليه هرب إلى مكة مرتداً، فنزل على سلافة بنت سعد، فجعل يقع في النبي ﷺ وفي المسلمين، فنزل فيه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ﴾ الآية، وهجاه حسان بن ثابت حتى رجع وكان ذلك في شهر ربيع سنة أربع من الهجرة.

أسباب نزول الآية ١٢٣ - قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن

عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بادعاء النبوة ولم ينبأ ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ نزلت في مسيلمة ﴿و﴾ مِن ﴿مَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ وهم المستهزئون قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ المذكورون ﴿فِى غَمَرَٰتِ﴾ سكرات ﴿ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ إليهم بالضرب والتعذيب يقولون لهم تعنيفاً ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ إلينا لنقبضها ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ الهوان ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ بدعوى النبوة والإيحاء كذباً ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تتكبرون عن الإيمان بها وجواب «لو» لرأيت أمراً فظيعاً. ﴿٩٤﴾ ﴿و﴾ يقال لهم إذا بعثوا ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ منفردين عن الأهل والمال والولد ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي حفاة عراة غرلاً ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾ أعطيناكم من الأموال ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ في الدنيا بغير اختياركم ﴿و﴾ يقال لهم توبيخاً ﴿مَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾ الأصنام ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ أي في استحقاق عبادتكم ﴿شُرَكَٰٓؤُا۟﴾ لله ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ وصلكم أي تشتت جمعكم وفي قراءة بالنصب [بينكم] ظرف أي وصلكم بينكم ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ في الدنيا من شفاعتها. ﴿٩٥﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ﴾ شاق ﴿ٱلْحَبِّ﴾ عن النبات ﴿وَٱلنَّوَىٰ﴾ عن النخل ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ﴾ النطفة والبيضة ﴿مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ﴾ الفالق المخرج ﴿ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ فكيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان؟. ﴿٩٦﴾ ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ مصدر بمعنى الصبح أي شاق عمود الصبح وهو أول ما يبدو من نور النهار عن ظلمة الليل ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾[1] تسكن فيه الخلق من التعب ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ بالنصب عطفاً على محل «الليل» ﴿حُسْبَانًا﴾ حساباً للأوقات أو الباء محذوفة وهو حال من مقدر أي يجريان بحسبان كما في آية «الرحمن» [٥] ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بخلقه. ﴿٩٧﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ في الأسفار ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ بينا ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون. ﴿٩٨﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم﴾ خلقكم ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هي آدم ﴿فَمُسْتَقَرٌّ﴾ منكم في الرحم ﴿وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ منكم في الصلب، وفي قراءة بفتح القاف أي مكان قرار لكم ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ ما يقال لهم. ﴿٩٩﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿به﴾ بالماء ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ ينبت ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أي النبات شيئاً ﴿خَضِرًا﴾ بمعنى أخضر ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ من «الخضر» ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ يركب بعضه بعضاً كسنابل الحنطة ونحوها ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ﴾ خبر ويبدل منه ﴿مِن طَلْعِهَا﴾ أول ما يخرج منها والمبتدأ ﴿قِنْوَانٌ﴾ عراجين ﴿دَانِيَةٌ﴾ قريب بعضها من بعض ﴿و﴾ أخرجنا به ﴿جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا﴾ ورقهما حال ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ ثمرهما ﴿ٱنظُرُوٓا۟﴾ يا مخاطبين نظر اعتبار ﴿إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾[2] بفتح الثاء والميم وبضمهما وهو جمع «ثمرة» كـ«شجرة» و«شجر» و«خشبة» و«خشب» ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ أول ما يبدو كيف هو؟ ﴿و﴾ إلى ﴿يَنْعِهِۦٓ﴾ نضجه إذا أدرك كيف يعود؟ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ﴾ دلالات على قدرته تعالى على البعث وغيره ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين. ﴿١٠٠﴾ ﴿وَجَعَلُوا۟

(١) وفي تلاوة: «وجاعلُ اللّيلِ سكناً».
(٢) ﴿ثَمَرِهِۦٓ﴾: بالفتح لغة كنانة وبالضم لغة تميم.

عباس قال: قالت اليهود والنصارى لا يدخل الجنة غيرنا، وقالت قريش: إنا لا نبعث فأنزل الله ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وأخرج ابن جرير عن مسروق قال تفاخر النصارى وأهل الإسلام فقال هؤلاء: نحن أفضل منكم، وقال هؤلاء: نحن أفضل منكم، فأنزل الله ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾. وأخرج نحوه عن قتادة والضحاك والسدي وأبي صالح، ولفظهم: تفاخر أهل الأديان، وفي لفظ جلس ناس من اليهود وناس من النصارى وناس من المسلمين فقال هؤلاء: نحن أفضل، وقال هؤلاء: نحن أفضل فنزلت. وأخرج أيضاً عن مسروق قال: لما نزلت ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال أهل الكتاب نحن وأنتم سواء، فنزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾.

اسباب نزول الآية ١٢٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية، روى البخاري عن عائشة في هذه الآية قالت: هو الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها ووارثها قد شركته في مالها حتى في العذق فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجها رجلاً فيشركه في مالها فيعضلها، فنزلت. وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي: كان لجابر بنت عم دميمة ولها مال ورثته عن أبيها، وكان جابر يرغب عن نكاحها ولا ينكحها خشية أن يذهب الزوج بمالها، فسأل النبي ﷺ

لِلَّهِ﴾ مفعول ثان ﴿شُرَكَاءَ﴾ مفعول أول ويبدل منه ﴿الْجِنَّ﴾ حيث أطاعوهم في عبادة الأوثان ﴿و﴾ قد ﴿خَلَقَهُمْ﴾ فكيف يكونون شركاء ﴿وَخَرَقُوا﴾ بالتخفيف والتشديد أي اختلقوا ﴿لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حيث قالوا: عزير ابن الله والملائكة بنات الله ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأن له ولداً. ﴿١٠١﴾ هو ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما من غير مثال سبق ﴿أَنَّى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ﴾ زوجة ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ من شأنه أن يُخلق ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. ﴿١٠٢﴾ ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ وحدوه ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ حفيظ. ﴿١٠٣﴾ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أي لا تراه وهذا مخصوص لرؤية المؤمنين له في الآخرة لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] وحديث الشيخين «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» وقيل المراد لا تحيط به ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ أي يراها ولا تراه ولا يجوز في غيره أن يدرك البصر وهو لا يدركه أو يحيط بها علماً ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ بأوليائه ﴿الْخَبِيرُ﴾ بهم. ﴿١٠٤﴾ قل يا محمد لهم ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ﴾ حجج ﴿مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ ها فآمن ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ أبصر لأن ثواب إبصاره له ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عنها فضل ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وبال إضلاله ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ رقيب لأعمالكم إنما أنا نذير. ﴿١٠٥﴾ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُصَرِّفُ﴾ نبين ﴿الْآيَاتِ﴾ ليعتبروا ﴿وَلِيَقُولُوا﴾ أي الكفار في عاقبة الأمر ﴿دَارَسْتَ﴾ ذاكرت أهل الكتاب وفي قراءة «دَرَسْتَ» أي كتب الماضين وجئت بهذا منها ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. ﴿١٠٦﴾ ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ أي القرآن ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾. ﴿١٠٧﴾ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ رقيباً فتجازيهم بأعمالهم ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ فتجبرهم على الإيمان وهذا قبل الأمر بالقتال. ﴿١٠٨﴾ ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هم ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي الأصنام ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾ اعتداء وظلماً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي جهلاً منهم بالله ﴿كَذَلِكَ﴾ كما زينا لهؤلاء ما هم عليه ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ من الخير والشر فأتوه ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به. ﴿١٠٩﴾ ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي كفار مكة ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أي غاية اجتهادهم فيها ﴿لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ مما اقترحوا ﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ ينزلها كما يشاء وإنما أنا نذير ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ يدريكم بإيمانهم إذا جاءت؟ أي أنتم لا تدرون ذلك ﴿أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لما سبق في علمي، وفي قراءة بالتاء خطاباً للكفار وفي أخرى بفتح «إن» بمعنى «لعل» أو معمولة لما قبلها. ﴿١١٠﴾ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ نحول قلوبهم عن الحق فلا يفهمونه ﴿وَأَبْصَارَهُمْ﴾ عنه فلا يبصرونه ولا يؤمنون ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ أي بما أنزل من الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ﴾ نتركهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ ضلالهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون متحيرين. ﴿١١١﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾ كما اقترحوا ﴿وَحَشَرْنَا﴾ جمعنا ﴿عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾[1] بضمتين جمع «قبيل» أي فوجاً فوجاً وبكسر القاف وفتح الباء أي معاينة فشهدوا بصدقك ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ لما سبق في علم الله ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إيمانهم فيؤمنوا ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ذلك. ﴿١١٢﴾ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ

(١) ﴿قُبُلًا﴾: عياناً بالضم لغة تميم وبالكسر لغة كنانة.

عن ذلك فنزلت.

اسباب نزول الآية ١٢٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ﴾ الآية، روى أبو داود والحاكم عن عائشة قالت: فرقت سودة أن يفارقها رسول الله ﷺ حين أسنت فقالت: يومي لعائشة، فأنزل الله ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ الآية، وروى الترمذي مثله عن ابن عباس. وأخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب أن ابنة محمد بن مسلمة كانت عند رافع بن خديج فكره منها أمراً إما كبراً أو غيره، فأراد طلاقها، فقالت: لا تطلقني واقسم لي ما بدا لك، فأنزل الله ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ﴾ الآية، وله شاهد موصول أخرجه الحاكم من طريق ابن المسيب عن رافع بن خديج. أخرج الحاكم عن عائشة قالت: نزلت هذه الآية ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ في رجل كانت تحته امرأة قد ولدت له أولاداً، فأراد أن يستبدل بها، فراضته على أن تقرّ عنده ولا يقسم لها. وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: جاءت امرأة حين نزلت هذه الآية ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ قالت: إني أريد أن تقسم لي من نفقتك، وقد كانت رضيت أن يدعها فلا يطلقها ولا يأتيها، فأنزل الله ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾.

اسباب نزول الآية ١٣٥ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن السدي قال: لما نزلت هذه الآية في النبي ﷺ اختصم إليه رجلان غني وفقير،

لباب النقول في أسباب النزول
سورة النساء

عَدُوًّا﴾ كما جعلنا هؤلاء أعداءك ويبدل منه ﴿شَيَٰطِينَ﴾ مردة ﴿ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى﴾ يوسوس ﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ مموهه من الباطل ﴿غُرُورًا﴾ أي ليغروهم ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ أي الإيحاء المذكور ﴿فَذَرْهُمْ﴾ دع الكفار ﴿وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ من الكفر وغيره مما زين لهم وهذا قبل الأمر بالقتال. (١١٣) ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾ عطف على «غروراً» أي تميل ﴿إِلَيْهِ﴾ أي الزخرف ﴿أَفْـِٔدَةُ﴾ قلوب ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا﴾ يكتسبوا ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ من الذنوب فيعاقبوا عليه. (١١٤) ونزل لما طلبوا من النبي ﷺ أن يجعل بينه وبينهم حكماً، قل ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى﴾ أطلب ﴿حَكَمًا﴾ قاضياً بيني وبينكم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿مُفَصَّلًا﴾ مبيناً فيه الحق من الباطل ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه والمراد بذلك التقرير للكفار أنه حق. (١١٥) ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالأحكام والمواعيد ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ تمييز ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ بنقض أو خُلْفٍ ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يفعل. (١١٦) ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي الكفار ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿إِن﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ في مجادلتهم لك في أمر الميتة إذ قالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك. (١١٧) ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي عالم ﴿مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ فيجازي كلاً منهم. (١١٨) ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي ذبح على اسمه ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾. (١١٩) ﴿وَمَا لَكُمْ أ﴾ ن ﴿لَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ من الذبائح ﴿وَقَدْ فَصَّلَ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل في الفعلين ﴿لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ في آية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: ٣] ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ منه فهو أيضاً حلال لكم، المعنى لا مانع لكم من أكل ما ذكر وقد بين لكم المحرَّم أكله وهذا ليس منه ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾ بفتح الياء وضمها ﴿بِأَهْوَآئِهِم﴾ بما تهواه أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ يعتمدونه في ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين الحلال إلى الحرام. (١٢٠) ﴿وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ علانيته وسره. و«الإثم» قيل الزنا وقيل كل معصية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ يكتسبون. (١٢١) ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ بأن مات أو ذبح على اسم غيره وإلا فما ذبحه المسلم ولم يسم فيه عمداً أو نسياناً فهو حلال قاله ابن عباس وعليه الشافعي ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي الأكل منه ﴿لَفِسْقٌ﴾ خروج عما يحل ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ﴾ يوسوسون ﴿إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ الكفار ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ في تحليل الميتة ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فيه ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾. (١٢٢) ونزل في أبي جهل وغيره ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا﴾ بالكفر ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ بالهدى ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ يتبصر به الحق من غيره وهو الإيمان ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ﴾ «مثل» زائدة أي كمن هو ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ وهو الكافر؟ لا ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما زين للمؤمنين الإيمان ﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي. (١٢٣) ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما جعلنا فُساق مكة أكابرها ﴿جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ بالصد عن الإيمان ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ لأن وباله عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك. (١٢٤) ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ﴾ أي أهل مكة ﴿ءَايَةٌ﴾ على صدق النبي ﷺ ﴿قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ﴾ به ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ من

وكان النبي ﷺ مع الفقير يرى أن الفقير لا يظلم الغني فأبى الله إلا أن يقوم بالقسط في الغني والفقير.

اسباب نزول الآية ١٤٨ ـ قوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ﴾

الآية، أخرج هناد بن السري في كتاب الزهد عن مجاهد قال: أنزلت ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ في رجل أضاف رجلاً بالمدينة فأساء قراه فتحوّل عنه فجعل يثني عليه بما أولاه فرخص له أن يثني عليه بما أولاه.

اسباب نزول الآية ١٥٣ ـ قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾

الآية، أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: جاء ناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: إن موسى جاءنا بالألواح من عند الله، فأتنا بالألواح حتى نصدقك، فأنزل الله ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى قوله ﴿بُهْتَٰنًا عَظِيمًا﴾ فجثا رجل من اليهود، فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً، فأنزل الله ﴿وَمَا قَدَرُوا ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ الآية.

اسباب نزول الآية ١٦٣ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾

الآية، روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: قال عدي بن زيد: ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى، فأنزل الله الآية.

اسباب نزول الآية ١٦٦ ـ قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾

الآية، روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: دخل جماعة من اليهود على رسول الله ﷺ فقال

الرسالة والوحي إلينا لأننا أكثر مالاً وأكبر سناً قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ بالجمع والإفراد و«حيث» مفعول به لفعل دل عليه «أعلم» أي يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها وهؤلاء ليسوا أهلاً لها ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ بقولهم ذلك ﴿صَغَارٌ﴾ ذل ﴿عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ أي بسبب مكرهم.

(١٢٥) ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ بأن يقذف في قلبه نوراً فينفسح له ويقبله كما ورد في حديث ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ الله ﴿أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ بالتخفيف والتشديد عن قبوله ﴿حَرَجًا﴾[1] شديد الضيق بكسر الراء صفة وفتحها مصدر وُصِفَ فيه مبالغة ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾ وفي قراءة «يصّاعد» وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد وفي أخرى بسكونها ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ إذ كُلِّفَ الإيمان لشدته عليه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الجعل ﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾ العذاب أو الشيطان أي يسلطه ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. (١٢٦) ﴿وَهَٰذَا﴾ الذي أنت عليه يا محمد ﴿صِرَٰطُ﴾ طريق ﴿رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ لا عوج فيه ونصبه على الحال المؤكدة للجملة والعامل فيها معنى الإشارة ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ بينا ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الذال أي يتعظون وخُصوا بالذكر لأنهم هم المنتفعون. (١٢٧) ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي السلامة وهي الجنة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. (١٢٨) ﴿و﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون والياء أي الله الخلق ﴿جَمِيعًا﴾ ويقال لهم ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ بإغوائكم ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿أَوْلِيَآؤُهُم﴾ الذين أطاعوهم ﴿مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ انتفع الإنس بتزيين الجن لهم الشهوات والجن بطاعة الإنس لهم ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ وهو يوم القيامة وهذا تَحَسُّرٌ منهم ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم على لسان الملائكة: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ مأواكم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ من الأوقات التي يخرجون فيها لشرب الحميم فإنه خارجها كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٦٨] وعن ابن عباس: أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون فـ«ما» بمعنى «مَنْ» ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه. (١٢٩) ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما متّعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض ﴿نُوَلِّى﴾ من الولاية ﴿بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ أي على بعض ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي. (١٣٠) ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي من مجموعكم أي بعضكم الصادق بالإنس أو رسل الجن أنذرهم الذين يسمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ أن قد بلغنا قال تعالى: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فلم يؤمنوا ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَٰفِرِينَ﴾. (١٣١) ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي إرسال الرسل ﴿أَن﴾ اللام مقدرة وهي مخففة أي لأنه ﴿لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ منها ﴿وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ لم يرسل إليهم رسولاً يبين لهم.

(١٣٢) ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من العاملين ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ جزاء ﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ من خير وشر ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء.

---

(١) ﴿ضَيِّقًا حَرَجًا﴾: يعني شاكاً بلغة قريش.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة المائدة

لهم: إني والله أعلم أنكم تعلمون أني رسول الله، فقالوا ما نعلم ذلك، فأنزل الله ﴿لَٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ﴾.

أسباب نزول الآية ١٧٦ ـ قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ الآية، روى النسائي من طريق أبي الزبير عن جابر قال: اشتكيت فدخل عليّ رسول الله ﷺ، فقلت يا رسول الله أوصي لأخواتي بالثلث قال: أحسن، قلت بالشطر قال: أحسن ثم خرج ثم دخل عليّ قال: لا أراك تموت في وجعك هذا إن الله أنزل وبين ما لأخواتك وهو الثلثان فكان جابر يقول: نزلت هذه الآية فيّ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ قال الحافظ ابن حجر: هذه قصة أخرى لجابر غير التي تقدمت في أول السورة، وأخرج ابن مردويه عن عمر أنه سأل النبي ﷺ كيف يورث الكلالة، فأنزل الله ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ إلى آخرها.

«تنبيه» إذا تأملت ما أوردناه من أسباب نزول آيات هذه السورة عرفت الرد على من قال بأنها مكية.

سورة المائدة

أسباب نزول الآية ٢ ـ قوله تعالى: ﴿لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: قدم الحطم بن هند البكري المدينة في عير له يحمل طعاماً فباعه، ثم دخل على النبي ﷺ فبايعه وأسلم، فلما ولى خارجاً نظر إليه فقال لمن عنده لقد دخل عليّ بوجه فاجر وولى بقفا غادر،

﴿١٣٣﴾ ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِيُّ﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ يا أهل مكة بالإهلاك ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ من الخلق ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ أذهبهم ولكنه أبقاكم رحمة لكم. ﴿١٣٤﴾ ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من الساعة والعذاب ﴿لَآتٍ﴾ لا محالة ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ فائتين عذابنا. ﴿١٣٥﴾ ﴿قل﴾ لهم ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ على حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن﴾ موصولة مفعول العلم ﴿تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾ أي العاقبة المحمودة في الدار الآخرة أنحن أم أنتم؟ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ﴾ يسعد ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ الكافرون. ﴿١٣٦﴾ ﴿وَجَعَلُوا۟﴾ أي كفار مكة ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿مِنَ ٱلْحَرْثِ﴾ الزرع ﴿وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ يصرفونه إلى الضيفان والمساكين ولشركائهم نصيباً يصرفونه إلى سدنتها ﴿فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾ بالفتح والضم ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه وقالوا إن الله غني عن هذا كما قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي لجهته ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾ بئس ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا. ﴿١٣٧﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ كما زين لهم ما ذكر ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ﴾ بالوأد ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ من الجن بالرفع فاعل «زين» وفي قراءة ببنائه للمفعول ورفع «قتل» ونصب الأولاد به وجر «شركائهم» بإضافته وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول، ولا يضر، وإضافة القتل إلى الشركاء لأمرهم به ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ يهلكوهم ﴿وَلِيَلْبِسُوا۟﴾ يخلطوا ﴿عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾. ﴿١٣٨﴾ ﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ حرام ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ من خدمة الأوثان وغيرهم ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ أي لا حجة لهم فيه ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ فلا تركب كالسوائب والحوامي ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند ذبحها بل يذكرون اسم أصنامهم ونسبوا ذلك إلى الله ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ عليه. ﴿١٣٩﴾ ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ المحرمة وهي السوائب والبحائر ﴿خَالِصَةٌ﴾ حلال ﴿لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ أي النساء ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾ بالرفع والنصب مع تأنيث الفعل وتذكيره ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ﴾ الله ﴿وَصْفَهُمْ﴾ ذلك بالتحليل والتحريم أي جزاءه ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه. ﴿١٤٠﴾ ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿أَوْلَٰدَهُمْ﴾ بالوأد ﴿سَفَهًۢا﴾ جهلاً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ مما ذكر ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾. ﴿١٤١﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ﴾ خلق ﴿جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ مبسوطات على الأرض كالبطيخ ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ بأن ارتفعت على ساق كالنخل ﴿و﴾ أنشأ ﴿ٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ ثمره وحبه في الهيئة والطعم ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا﴾ ورقهما حال ﴿وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾ طعمهما ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ﴾ قبل النضج ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ﴾ زكاته ﴿يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ بالفتح والكسر من العشر أو نصفه ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ بإعطاء كله فلا يبقى لعيالكم شيء ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين ما حدّ لهم. ﴿١٤٢﴾ ﴿و﴾ أنشأ ﴿مِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً﴾ صالحة للحمل عليها كالإبل الكبار ﴿وَفَرْشًا﴾ لا تصلح له كالإبل الصغار والغنم سميت «فرشاً» لأنها كالفرش للأرض لدنوها منها ﴿كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ طرائقه

فلما قدم اليمامة ارتدّ عن الإسلام، وخرج في عير له يحمل الطعام في ذي القعدة يريد مكة، فلما سمع به أصحاب النبي ﷺ تهيأ للخروج إليه نفر من المهاجرين والأنصار ليقتطعوه في عيره، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ الآية، فانتهى القوم، وأخرج عن السدي نحوه.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم قال: كان رسول الله ﷺ بالحديبية وأصحابه حين صدهم المشركون عن البيت، وقد اشتد ذلك عليهم فمر بهم أناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة، فقال أصحاب النبي ﷺ نصد هؤلاء كما صدوا أصحابنا، فأنزل الله ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ٢ ـ قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ الآية أخرج ابن مندة في كتاب الصحابة من طريق عبد الله بن جبلة بن حبان بن حجر عن أبيه عن جده حبان قال: كنا مع رسول الله ﷺ وأنا أوقد تحت قدر فيها لحم ميتة، فأنزل تحريم الميتة فأكفأت القدر.

أسباب نزول الآية ٤ ـ قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ الآية، روى الطبراني والحاكم والبيهقي وغيرهم عن أبي رافع قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ، فاستأذن عليه فأذن له فأبطأ، فأخذ رداءه، فخرج إليه وهو قائم بالباب، فقال: قد أذنا لك قال أجل، ولكنا لا ندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب، فنظروا

فإذا في بعض بيوتهم جرو، فأمر أبا رافع لا تدع كلباً بالمدينة إلا قتلته، فأتاه الناس، فقالوا يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها، فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ الآية وروى ابن جرير عن عكرمة أن الرسول ﷺ بعث أبا رافع في قتل الكلاب حتى بلغ الموالي، فدخل عاصم بن عدي، وسعد بن حثمة، وعويمر بن ساعدة، فقالوا ماذا أحل لنا يا رسول الله: فنزلت ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ﴾ الآية، وأخرج عن محمد بن كعب القرظي قال: لما أمر النبي ﷺ بقتل الكلاب قالوا: يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة فنزلت. وأخرج من طريق الشعبي أن عدي بن حاتم الطائي قال: أتى رجل رسول الله ﷺ يسأله عن صيد الكلاب، فلم يدر ما يقول له حتى نزلت هذه الآية ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير أن عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين سألا رسول الله ﷺ، فقالا يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة، وإن كلاب آل ذريح تصيد البقر والحمير والظباء، وقد حرم الله الميتة، فماذا يحل لنا منها، فنزلت ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾.

اسباب نزول الآية ٦ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ الآية، روى البخاري من طريق عمرو بن الحارث عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن

مِنَ التحريم والتحليل ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بين العداوة.

(١٤٣) ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ أصناف بدل من «حمولة وفرشاً» ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ﴾ زوجين ﴿ٱثْنَيْنِ﴾ ذكر وأنثى ﴿وَمِنَ ٱلْمَعْزِ﴾ بالفتح والسكون ﴿ٱثْنَيْنِ قُلْ﴾ يا محمد لمن حرم ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى ونسب ذلك إلى الله ﴿ءَٱلذَّكَرَيْنِ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ الله عليكم ﴿أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ منهما ﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ ذكراً كان أو أنثى؟ ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ﴾ عن كيفية تحريم ذلك ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ فيه، المعنى من أين جاء التحريم؟ فإن كان من قبل الذكورة فجميع الذكور حرام أو الأنوثة فجميع الإناث أو اشتمال الرحم فالزوجان، فمن أين التخصيص؟ والاستفهام للإنكار. (١٤٤) ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَٱلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ﴾ بل أ ﴿كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ حضوراً ﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ التحريم فاعتمدتم ذلك؟ لا بل أنتم كاذبون فيه ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بذلك ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. (١٤٥) ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ شيئاً ﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿مَيْتَةً﴾ بالنصب وفي قراءة بالرفع مع التحتانية ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ سائلاً بخلاف غيره كالكبد والطحال ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ حرام ﴿أو﴾ أي إلا أن يكون ﴿فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ أي ذبح على اسم غيره ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ إلى شيء مما ذكر فأكله ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ له ما أكل ﴿رَّحِيمٌ﴾ به ويلحق بما ذكر بالسنة كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير.

(١٤٦) ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ أي اليهود ﴿حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ وهو ما لم تفرق أصابعه كالإبل والنعام ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ الثروب وشحم الكلى ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ أي ما علق بها منه ﴿أو﴾ حملته ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾ الأمعاء جمع «حاوياء» أو «حاوية» ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ منه وهو شحم الألية فإنه أحل لهم ﴿ذَٰلِكَ﴾ التحريم ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾ به ﴿بِبَغْيِهِمْ﴾ بسبب ظلمهم بما سبق في سورة «النساء» [١٥٥ ـ ١٦٠] ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في أخبارنا ومواعيدنا. (١٤٧) ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ فيما جئت به ﴿فَقُل﴾ لهم ﴿رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة وفيه تلطف بدعائهم إلى الإيمان ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ عذابه إذا جاء ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾.

(١٤٨) ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ نحن ﴿وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ فإشراكنا وتحريمنا بمشيئته فهو راض به، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما كذب هؤلاء ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا﴾ عذابنا ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ﴾ بأن الله راض بذلك ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾؟ أي لا علم عندكم ﴿إِن﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ في ذلك ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ﴾ ما ﴿أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ تكذبون فيه. (١٤٩) ﴿قل﴾ إن لم تكن لكم حجة ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ التامة ﴿فَلَوْ شَآءَ﴾ هدايتكم ﴿لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾. (١٥٠) ﴿قُلْ هَلُمَّ﴾ أحضروا ﴿شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا﴾ الذي حرمتموه ﴿فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يشركون. (١٥١) ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ﴾ أقرأ ﴿مَا حَرَّمَ

ربُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ ن مفسرة ﴿لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ و﴿أحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ بالوأد ﴿من﴾ أجل ﴿إِمْلَاقٍ﴾[1] فقر تخافونه ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ الكبائر كالزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي علانيتها وسرها ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ كالقَوَدِ وحد الردة ورجم المحصن ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور ﴿وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تتدبرون.

(١٥٢) ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي﴾ أي بالخصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ وهي ما فيه صلاحه ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ بأن يحتلم ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل وترك البخس ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها في ذلك فإن أخطأ في الكيل والوزن والله يعلم صحة نيته ـ فلا مؤاخذة عليه كما ورد في حديث ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ في حكم أو غيره ﴿فَاعْدِلُوا﴾ بالصدق ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ المقول له أو عليه ﴿ذَا قُرْبَى﴾ قرابة ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف تتعظون. (١٥٣) ﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح على تقدير اللام والكسر استئنافاً ﴿هَذَا﴾ الذي وصيتكم به ﴿صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ حال ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الطرق المخالفة له ﴿فَتَفَرَّقَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين تميل ﴿بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دينه ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. (١٥٤) ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة و«ثم» لترتيب الأخبار ﴿تَمَامًا﴾ للنعمة ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ بالقيام به ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ بيان ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ﴾ أي بني إسرائيل ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿يُؤْمِنُونَ﴾. (١٥٥) ﴿وَهَذَا﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ﴾ يا أهل مكة بالعمل بما فيه ﴿وَاتَّقُوا﴾ الكفر ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. (١٥٦) أنزلناه لـ ﴿أن﴾ لا ﴿تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ﴾ اليهود والنصارى ﴿مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ﴾ مخففة واسمها محذوف أي إنا ﴿كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾ قراءتهم ﴿لَغَافِلِينَ﴾ لعدم معرفتنا لها إذ ليست بلغتنا. (١٥٧) ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ لجودة أذهاننا ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ بيان ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ لمن اتبعه ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ﴾ أعرض ﴿عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي أشده ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾. (١٥٨) ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظر المكذبون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء والياء ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي أمره بمعنى عذابه ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أي علاماته الدالة على الساعة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ وهي طلوع الشمس من مغربها كما في حديث الصحيحين ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾ ما ﴿لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ الجملة صفة النفس ﴿أو﴾ نفساً لم تكن ﴿كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ طاعة أي لا تنفعها توبتها كما في الحديث ﴿قُلِ انْتَظِرُوا﴾ أحد هذه الأشياء ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ ذلك. (١٥٩) ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيه فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ فرقاً في ذلك، وفي قراءة «فارقوا» أي تركوا دينهم الذي أمروا به وهم اليهود والنصارى ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ أي فلا تتعرض لهم ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ يتولاه ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم به وهذا منسوخ بآية السيف [التوبة: ٥]. (١٦٠) ﴿مَنْ جَاءَ

(١) ﴿الإملاق﴾: الجوع بلغة لخم.

عائشة قالت: سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة، فأناخ رسول الله ﷺ، ونزل فثنى رأسه في حجري راقداً وأقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة، وقال حبست الناس في قلادة، ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فقال أسيد بن حضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر. وروى الطبراني من طريق عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت: لما كان من أمر عقدي ما كان، وقال أهل الإفك ما قالوا خرجت مع رسول الله ﷺ في غزوة أخرى فسقط أيضاً عقدي حتى حبس الناس على التماسه، فقال لي أبو بكر: بنية في كل سفر تكونين عناء وبلاء على الناس، فأنزل الله الرخصة في التيمم، فقال أبو بكر: إنك لمباركة.

(تنبيهان) **الأول**: ساق البخاري هذا الحديث من رواية عمرو بن الحارث، وفيه التصريح بأن آية التيمم المذكورة في رواية غيره هي آية المائدة، وأكثر الرواة قالوا: فنزلت آية التيمم ولم يبينوها، وقد قال ابن عبد البر: هذه معضلة ما وجدت لدائها دواء، لأنا لا نعلم أيّ الآيتين عنت عائشة، وقد قال ابن بطال: هي آية النساء، ووجهه بأن آية المائدة تسمى آية الوضوء، وآية النساء لا ذكر للوضوء بها، فيتجه تخصيصها بآية التيمم، وأورد الواحدي هذا الحديث

بِٱلْحَسَنَةِ﴾ أي «لا إله إلا الله» ﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي جزاء عشر حسنات ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي جزاءه ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من جزائهم شيئاً. ﴿١٦١﴾ ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ويبدل من محله ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ مستقيماً ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾. ﴿١٦٢﴾ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾ عبادتي من حج وغيره ﴿وَمَحْيَاىَ﴾ وحياتي ﴿وَمَمَاتِى﴾ موتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. ﴿١٦٣﴾ ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ في ذلك ﴿وَبِذَٰلِكَ﴾ أي التوحيد ﴿أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة. ﴿١٦٤﴾ ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ إلهاً أي لا أطلب غيره ﴿وَهُوَ رَبُّ﴾ مالك ﴿كُلِّ شَىْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ ذنباً ﴿إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ﴾ تحمل نفس ﴿وَازِرَةٌ﴾ آثمة ﴿وِزْرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾. ﴿١٦٥﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ جمع خليفة: أي يخلف بعضكم بعضاً فيها ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ بالمال والجاه وغير ذلك ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ أعطاكم إياه ليظهر المطيع منكم والعاصي ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ﴾ للمؤمنين ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم.

٧ ــ سورة الأعراف

مكية إلا ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [١٦٣ ـ ١٧٠]

الثمان أو الخمس آيات وهي مائتان وخمس أو ٢٠٦ مائتان وست آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿١﴾ ﴿الٓمٓصٓ﴾ الله أعلم بمراده بذلك. ﴿٢﴾ هذا ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾[1] ضيق ﴿مِّنْهُ﴾ أن تبلغه مخافة أن تُكَذَّب ﴿لِتُنذِرَ﴾ متعلق «بأنزل» أي للإنذار ﴿بِهِۦ وَذِكْرَىٰ﴾ تذكرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به. ﴿٣﴾ قل لهم ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟﴾ تتخذوا ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾ أي الله أي غيره ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ تطيعونهم في معصيته تعالى ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ بالتاء والياء، تتعظون وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال، وفي قراءة بسكونها و«ما» زائدة لتأكيد القلة. ﴿٤﴾ ﴿وَكَم﴾ خبرية مفعول ﴿مِّن قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ أردنا إهلاكها ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ ليلاً ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ نائمون بالظهيرة و«القيلولة» استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم، أي مرَّة جاءها ليلاً ومرَّة نهاراً. ﴿٥﴾ ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ قولهم ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾. ﴿٦﴾ ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي الأمم عن إجابتهم الرسل وعملهم فيما بلغهم ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ عن الإبلاغ. ﴿٧﴾ ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾ لنخبرنهم عن علم بما فعلوه ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ عن إبلاغ الرسل والأمم الخالية فيما عملوا. ﴿٨﴾ ﴿وَٱلْوَزْنُ﴾ للأعمال أو لصحائفها بميزان له لسان وكفتان كما ورد في حديث كائن ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم السؤال المذكور وهو يوم القيامة ﴿ٱلْحَقُّ﴾ العدل صفة «الوزن» ﴿فَمَن ثَقُلَتْ

(١) ﴿فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾: شك بلغة قريش.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة المائدة

في أسباب النزول عند ذكر آية النساء أيضاً، ولا شك أن الذي مال إليه البخاري من أنها آية المائدة هو الصواب للتصريح بها في الطريق المذكور.

الثاني: دل الحديث على أن الوضوء كان واجباً عليهم قبل نزول الآية، ولهذا استعظموا نزولهم على غير ماء، ووقع من أبي بكر في حق عائشة ما وقع قال ابن عبد البر: معلوم عند جميع أهل المغازي أنه ﷺ لم يصلّ منذ فرضت عليه الصلاة إلا بوضوء ولا يدفع ذلك إلا جاحد أو معاند قال: والحكمة في نزول آية الوضوء مع تقديم العمل به ليكون فرضه متلواً بالتنزيل. وقال غيره: يحتمل أن يكون أول الآية مقدماً نزل مع فرض الوضوء، ثم نزل بقيتها وهو ذكر التيمم في هذه القصة.

قلت: الأول أصوب فإن الوضوء كان مع فرض الصلاة بمكة، والآية مدنية.

أسباب نزول الآية ١١ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن عكرمة ويزيد بن أبي زياد واللفظ له: أن النبي ﷺ خرج ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمٰن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الأشرف ويهود بني النضير يستعينهم في عقل أصابه فقالوا نعم اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا، فجلس، فقال حيي بن أخطب لأصحابه: لا ترونه أقرب منه الآن، اطرحوا عليه حجارة فاقتلوه ولا ترون شراً

مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالحسنات ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون. (٩) ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بالسيئات ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ بتصييرها إلى النار ﴿بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ يجحدون. (١٠) ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ﴾ يا بني آدم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ بالياء أسباباً تعيشون بها «جمع معيشة» ﴿قَلِيلًا مَّا﴾ لتأكيد القلة ﴿تَشْكُرُونَ﴾ على ذلك. (١١) ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾ أي أباكم آدم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ أي صورناه وأنتم في ظهره ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ أبا الجن كان بين الملائكة ﴿لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾. (١٢) ﴿قَالَ﴾ تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَ﴾ ن ﴿لَا﴾ زائدة ﴿تَسْجُدَ إِذْ﴾ حين ﴿أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾. (١٣) ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي من الجنة وقيل من السموات ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ﴾ منها ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ الذليلين. (١٤) ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ﴾ أخرني ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي الناس. (١٥) ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ وفي آية أخرى ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [الحجر: ٣٨] أي وقت النفخة الأولى. (١٦) ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ أي بإغوائك لي والباء للقسم وجوابه ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ أي لبني آدم ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ أي على الطريق الموصل إليك. (١٧) ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ أي من كل جهة فأمنعهم عن سلوكه قال ابن عباس: ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ مؤمنين. (١٨) ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ بالهمزة معيباً أو ممقوتاً ﴿مَّدْحُورًا﴾ مبعداً عن الرحمة ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ من الناس واللام للابتداء أو موطئة للقسم وهو ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي منك بذريتك ومن الناس وفيه تغليب الحاضر على الغائب وفي الجملة معنى جزاء «مَنْ» الشرطية أي من تبعك أعذبه. (١٩) ﴿و﴾ قال ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ﴾ تأكيد للضمير في «اسكن» ليعطف عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ «حواء» بالمد ﴿ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ بالأكل منها وهي الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. (٢٠) ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إبليس ﴿لِيُبْدِىَ﴾ يظهر ﴿لَهُمَا مَا وُۥرِىَ﴾ «فُوعِل» من المواراة ﴿عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ﴾ كراهة ﴿أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ وقرىء بكسر اللام ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ أي وذلك لازم عن الأكل منها كما في آية أخرى ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠]. (٢١) ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ أي أقسم لهما بالله ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ في ذلك. (٢٢) ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ حطهما عن منزلتهما ﴿بِغُرُورٍ﴾ منه ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ أي أكلا منها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ أي ظهر لكل منهما قُبُلُه وقُبُلُ الآخر ودُبُرُه وسمي كل منهما «سوأة» لأن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ﴾[1] أخذا يلزقان ﴿عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ ليستترا به ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بين العداوة؟ والاستفهام للتقرير.

(٢٣) ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ بمعصيتنا ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾. (٢٤) ﴿قَالَ ٱهْبِطُوا۟﴾ أي آدم وحواء بما اشتملتما عليه من ذريتكما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضهم بعضاً ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ أي مكان استقرار ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ تمتع ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾

(١) ﴿وَطَفِقَا﴾: عمدا بلغة غسان.

أبداً. فجاءوا إلى رحى عظيمة ليطرحوها عليه، فأمسك الله عنها أيديهم حتى جاءه جبريل فأقامه من ثمة، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾ الآية. وأخرج نحوه عن عبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمير بن قتادة ومجاهد وعبد الله بن كثير وأبي مالك وأخرج عن قتادة قال: ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت على رسول الله ﷺ وهو ببطن نخل في الغزوة السابعة، فأراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا بالنبي ﷺ فأرسلوا إليه الأعرابي يعني الذي جاءه وهو نائم في بعض المنازل، فأخذ سلاحه وقال من يحول بيني وبينك؟ فقال: الله، فشام السيف ولم يعاقبه. وأخرج أبو نعيم في «دلائل النبوة» من طريق الحسن عن جابر بن عبد الله أن رجلاً من محارب يقال له: غورث بن الحارث قال لقومه: أقتل لكم محمداً، فأقبل رسول الله ﷺ وهو جالس وسيفه في حجره، فقال يا محمد: انظر إلى سيفك هذا؟ قال نعم، فأخذه فاستله وجعل يهزه ويهم به فيكبته الله تعالى: فقال: يا محمد أما تخافني؟ قال لا، قال أما تخافني والسيف في يدي؟ قال لا، يمنعني الله منك، ثم أغمد السيف ورده إلى رسول الله، فأنزل الله الآية.

أسباب نزول الآية ١٥ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: إن نبي الله ﷺ أتاه اليهود

تنقضي فيه آجالكم. ﴿٢٥﴾ ﴿قَالَ فِيهَا﴾ أي الأرض ﴿تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ بالبعث، بالبناء للفاعل والمفعول. ﴿٢٦﴾ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ أي خلقناه لكم ﴿يُوَٰرِي﴾ يستر ﴿سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾ وهو ما يتجمل به من الثياب ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ العمل الصالح والسمت الحسن بالنصب عطفاً على «لباساً» والرفع مبتدأ خبره جملة ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ ذلك من آيات الله ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيؤمنون فيه التفات عن الخطاب. ﴿٢٧﴾ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ﴾ لا يضلنكم ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي لا تتبعوه فتفتنوا ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم﴾ بفتنته ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ﴾ حال ﴿عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ ﴿إِنَّهُۥ﴾ أي الشيطان ﴿يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ جنوده ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ للطافة أجسادهم أو عدم ألوانهم ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ أعواناً وقرناء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ كالشرك وطوافهم بالبيت عراة قائلين: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنهوا عنها ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾ فافتدينا بهم ﴿وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ أيضاً ﴿قل﴾ لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنه قاله؟ استفهام إنكار. ﴿٢٩﴾ ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾ العدل ﴿وَأَقِيمُوا۟﴾ معطوف على معنى «بالقسط» أي قال أقسطوا وأقيموا أو قبله «فاقسطوا» مقدراً ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ لله ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي أخلصوا له سجودكم ﴿وَٱدْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ من الشرك ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿تَعُودُونَ﴾ أي يعيدكم أحياء يوم القيامة. ﴿٣٠﴾ ﴿فَرِيقًا﴾ منكم ﴿هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾. ﴿٣١﴾ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ﴾ ما يستر عورتكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ عند الصلاة والطواف ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟﴾ ما شئتم ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾. ﴿٣٢﴾ ﴿قل﴾ إنكاراً عليهم ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ من اللباس ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ المستلذات ﴿مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بالاستحقاق وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿خَالِصَةً﴾ خاصة بهم بالرفع والنصب حال ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نبينها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون فإنهم المنتفعون بها. ﴿٣٣﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ الكبائر كالزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي جهرها وسرها ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾ المعصية ﴿وَٱلْبَغْىَ﴾ على الناس ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ هو الظلم ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ﴾ بإشراكه ﴿سُلْطَٰنًا﴾ حجة ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره. ﴿٣٤﴾ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ عليه. ﴿٣٥﴾ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ الشرك ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة. ﴿٣٦﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ تكبروا ﴿عَنْهَآ﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. ﴿٣٧﴾ ﴿فَمَنْ﴾ أي لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ القرآن ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ﴾ يصيبهم ﴿نَصِيبُهُم﴾ حظهم ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ مما كتب لهم في اللوح المحفوظ من الرزق والأجل وغير ذلك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ أي الملائكة ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟﴾ لهم تبكيتاً ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلم نرهم ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ عند الموت ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ﴾.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة المائدة

يسألونه عن الرجم، فقال: أيكم أعلم؟ فأشاروا إلى ابن صوريا، فناشده بالذي أنزل التوراة على موسى، والذي رفع الطور والمواثيق التي أخذت عليهم حتى أخذه أفكل، فقال: إنه لما كثر فينا جلدنا مائة وحلقنا الرؤوس فحكم عليهم بالرجم، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى قوله: ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

أسباب نزول الآية ١٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ الآيات، روى ابن إسحاق عن ابن عباس قال: أتى رسول الله ﷺ نعمان بن قصي وبحر بن عمرو وشاس بن عدي، فكلموه وكلمهم، ودعاهم إلى الله وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد نحن والله أبناء الله وأحباؤه كقول النصارى، فأنزل الله فيهم ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ الآية، وروي عنه قال: دعا رسول الله ﷺ يهود إلى الإسلام ورغبهم فيه فأبوا عليه، فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة: يا معشر يهود اتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته، فقال رافع بن حريملة ووهب بن يهوذا ما قلنا لكم هذا وما أنزل الله من كتاب من بعد موسى، ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده فأنزل الله ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن يزيد بن أبي حبيب أن

﴿٣٨﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى يوم القيامة ﴿ادْخُلُوا فِي﴾ جملة ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ﴾ متعلق بـ«ادخلوا» ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ النار ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ التي قبلها لضلالها بها ﴿حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا﴾ تلاحقوا ﴿فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ﴾ وهم الأتباع ﴿لِأُولَاهُمْ﴾ أي لأجلائهم وهم المتبوعين ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ مضعفاً ﴿مِّنَ النَّارِ قَالَ﴾ تعالى ﴿لِكُلٍّ﴾ منكم ومنهم ﴿ضِعْفٌ﴾ عذاب مضعف ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ بالياء والتاء ما لكل فريق. ﴿٣٩﴾ ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ لأنكم لم تكفروا بسببنا فنحن وأنتم سواء قال تعالى لهم ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾. ﴿٤٠﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا ﴿عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ إذا عرج بأرواحهم إليها بعد الموت فيهبط بها إلى «سجين» بخلاف المؤمن فتفتح له ويصعد بروحه إلى السماء السابعة كما ورد في حديث ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ﴾ يدخل ﴿الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ثقب الإبرة وهو غير ممكن فكذا دخولهم ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الجزاء ﴿نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ بالكفر. ﴿٤١﴾ ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أغطية من النار جمع «غاشية» وتنوينه عوض من الياء ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾. ﴿٤٢﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ وقوله ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها من العمل اعتراض بينه وبين خبره وهو ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. ﴿٤٣﴾ ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ حقد كان بينهم في الدنيا ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ﴾ تحت قصورهم ﴿الْأَنْهَارُ وَقَالُوا﴾ عند الاستقرار في منازلهم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾ العمل الذي هذا جزاؤه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ حذف جواب «لولا» لدلالة ما قبله عليه ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن﴾ مخففة أي أنه أو مفسرة في المواضع الخمسة ﴿تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٤٤﴾ ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ تقريراً أو تبكيتاً ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب ﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ﴾ كم ﴿رَبُّكُمْ﴾ من العذاب ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين الفريقين أسمعهم ﴿أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. ﴿٤٥﴾ ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَيَبْغُونَهَا﴾ أي يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾. ﴿٤٦﴾ ﴿وَبَيْنَهُمَا﴾ أي أصحاب الجنة والنار ﴿حِجَابٌ﴾ حاجز قيل هو سور الأعراف ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ وهو سور الجنة ﴿رِجَالٌ﴾ استوت حسناتهم وسيئاتهم كما في الحديث ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ بعلامتهم وهي بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين لرؤيتهم لهم إذ موضعهم عال ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال تعالى ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ أي أصحابُ الأعراف الجنة ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ في دخولها قال الحسن: لم يطمعهم إلا لكرامة يريدها بهم، وروى الحاكم عن حذيفة قال: «فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربُّك فقال قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم».

﴿٤٧﴾ ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ أي أصحاب الأعراف ﴿تِلْقَاءَ﴾ جهة ﴿أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا﴾ في النار ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. ﴿٤٨﴾ ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾ من أصحاب النار ﴿يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ﴾ من النار ﴿جَمْعُكُمْ﴾ المال أو كثرتكم ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي واستكباركم عن الإيمان، ويقولون لهم مشيرين إلى ضعفاء المسلمين: ﴿٤٩﴾ ﴿أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ قد قيل لهم ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ وقرىء: «أُدخِلوا» بالبناء

عبد الملك بن مروان كتب إلى أنس يسأله عن هذه الآية ﴿إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فكتب إليه أنس يخبره أن هذه الآية نزلت في العرنيين ارتدوا عن الإسلام وقتلوا الراعي واستاقوا الإبل، الحديث. ثم أخرج عن جرير مثله وأخرج عبد الرزاق نحوه عن أبي هريرة.

اسباب نزول الآية ٣٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ الآية، أخرج أحمد وغيره عن عبد الله بن عمرو أن امرأة سرقت على عهد رسول الله ﷺ فقطعت يدها اليمنى فقالت: هل لي من توبة يا رسول الله؟ فأنزل الله في سورة المائدة ﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ﴾ الآية.

اسباب نزول الآية ٤١ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾ الآية. روى أحمد وأبو داود عن ابن عباس قال: أنزلها الله في طائفتين من اليهود قهرت إحداهما الأخرى في الجاهلية حتى ارتضوا، فاصطلحوا على أن كل قتيل قتلته العزيزة من الذليلة فديته خمسون وسقاً، وكل قتيل قتلته الذليلة من العزيزة فديته مائة وسق، فكانوا على ذلك حتى قدم الرسول ﷺ فقتلت الذليلة من العزيزة قتيلاً، فأرسلت العزيزة أن ابعثوا إلينا بمائة وسق، فقالت الذليلة: وهل كان ذلك في حيين قط دينهما واحد ونسبتهما واحدة وبلدهما واحد دية بعضهم نصف دية بعض؟ إنا أعطيناكم هذا ضيماً منكم لنا وخوفاً وفرقاً، فأما إذا قدم محمد فلا

للمفعول و«دَخَلُوا» فجملة النفي حال أي مقولاً لهم ذلك. ﴿٥٠﴾ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ من الطعام ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ منعهما ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. ﴿٥١﴾ ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾ نتركهم في النار ﴿كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ بتركهم العمل له ﴿وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ أي وكما جحدوا. ﴿٥٢﴾ ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم﴾ أي أهل مكة ﴿بِكِتَٰبٍ﴾ قرآن ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾ بيّناه بالأخبار والوعد والوعيد ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ حال أي عالمين بما فصّل فيه ﴿هُدًى﴾ حال من «الهاء» ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ به. ﴿٥٣﴾ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ ما ينتظرون ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ عاقبة ما فيه ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ تركوا الإيمان به ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ﴾ هل ﴿نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ نوحّد الله ونترك الشرك؟ فيقال لهم: لا، قال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ إذ صاروا إلى الهلاك ﴿وَضَلَّ﴾ ذهب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ من دعوى الشريك. ﴿٥٤﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا، أي في قدرها لأنه لم يكن ثَمَّ شمس ولو شاء خلقهن في لمحة والعدول عنه لتعليم خلقه التثبت ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ هو في اللغة: سرير المَلِك استواء يليق به ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ مخففاً ومشدداً أي يغطي كلاً منهما الآخر ﴿يَطْلُبُهُۥ﴾ يطلب كل منهما الآخر طلباً ﴿حَثِيثًا﴾ سريعاً ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ بالنصب عطفاً على «السموات» والرفع مبتدأ خبره ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾ مذلّلات ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ بقدرته ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ جميعاً ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ كله ﴿تَبَارَكَ﴾ تعاظم ﴿ٱللَّهُ رَبُّ﴾ مالك ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. ﴿٥٥﴾ ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ حال تذللاً ﴿وَخُفْيَةً﴾ سراً ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ في الدعاء بالتشدق ورفع الصوت. ﴿٥٦﴾ ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالشرك والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ببعث الرسل ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمته ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين وتذكير «قريب» المُخْبَر به عن «رحمة» لإضافتها إلى الله. ﴿٥٧﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ نُشُرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ أي متفرقة قدام المطر، وفي قراءة بسكون الشين تخفيفاً، وفي أخرى بسكونها وفتح النون مصدراً، وفي أخرى بسكونها وضم الموحدة بدل النون أي بُشْراً ومفرد الأولى «نَشُور» «كرسول» والآخرة «بشير» ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾ حملت الرياح ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ بالمطر ﴿سُقْنَٰهُ﴾ أي السحاب وفيه التفات عن الغيبة ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ لا نبات به أي لإحيائها ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ﴾ بالبلد ﴿ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ بالماء ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ الإخراج ﴿نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ من قبورهم بالإحياء ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ فتؤمنون.

﴿٥٨﴾ ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ العذب التراب ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾ حسناً ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ هذا مثل للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ ترابه ﴿لَا يَخْرُجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ عسراً بمشقة وهذا مثل للكافر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُصَرِّفُ﴾ نبين ﴿ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ الله فيؤمنون. ﴿٥٩﴾ ﴿لَقَدْ﴾ جواب قسم محذوف ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ بالجر صفة لـ«إله» والرفع بدل من محله ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو يوم القيامة. ﴿٦٠﴾ ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ بيّن. ﴿٦١﴾ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ هي أعم من «الضلال» فنفيها أبلغ من نفيه ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن

لباب النقول في أسباب النزول
سورة المائدة

نعطيكم، فكادت الحرب تهيج بينهما، ثم ارتضوا على أن جعلوا رسول الله ﷺ بينهما، فأرسلوا إليه ناساً من المنافقين ليختبروا رأيه، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ الآية. وروى أحمد ومسلم وغيرهما عن البراء بن عازب قال: مُرَّ على النبي ﷺ بيهودي محمم مجلود فدعاهم فقال: هكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم؟ فقالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى هكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم؟ فقال: لا والله ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك نجد حد الزاني في كتابنا الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا زنى الشريف تركناه، وإذا زنى الضعيف أقمنا عليه الحد، فقلنا تعالوا حتى نجعل شيئاً نقيمه على الشريف والوضيع، فاجتمعنا على التحميم والجلد، فقال النبي ﷺ: اللهم إني أول من أحيا أمرك إذا أماتوه، فأمر به فرجم، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ يقولون ائتوا محمداً، فإن أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا إلى قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. وأخرج الحميدي في مسنده عن جابر بن عبد الله قال: زنى رجل من أهل فدك، فكتب أهل فدك إلى ناس من اليهود بالمدينة أن اسألوا

رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. (٦٢) ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ﴾ أريد الخير ﴿لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. (٦٣) ﴿أ﴾ كذبتم ﴿وَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾ الله ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بها؟!. (٦٤) ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ من الغرق ﴿فِى ٱلْفُلْكِ﴾ السفينة ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ بالطوفان ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾ عن الحق. (٦٥) ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ عَادٍ﴾ الأولى ﴿أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ وحّدوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ تخافونه فتؤمنون؟ (٦٦) ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾[1] جهالة ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ في رسالتك. (٦٧) ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

(٦٨) ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ مأمون على الرسالة. (٦٩) ﴿أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ﴾ لسان ﴿رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ﴾ في الأرض ﴿مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ قوة وطولاً وكان طويلهم مائة ذراع وقصيرهم ستين ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ نعمه ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون. (٧٠) ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ﴾ نترك ﴿مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في قولك. (٧١) ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ وجب ﴿عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ عذاب ﴿وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ أي سميتم بها ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ أصناماً تعبدونها ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا﴾ أي بعبادتها ﴿مِن سُلْطَٰنٍ ۚ﴾ حجة وبرهان ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾ العذاب ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ ذلكم بتكذيبكم لي فأرسلت عليهم الريح العقيم. (٧٢) ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي هوداً ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ من المؤمنين ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ﴾ القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ﴾ أي استأصلناهم ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ عطف على «كذبوا». (٧٣) ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ ثَمُودَ﴾ بترك الصرف مراداً به القبيلة ﴿أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ ۖ﴾ على صدقي ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ﴾ حال عاملها معنى الإشارة وكانوا سألوه أن يخرجها لهم من صخرة عينوها ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ بعقر أو ضرب ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(٧٤) ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ﴾ في الأرض ﴿مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ﴾ أسكنكم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾ تسكنونها في الصيف ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ﴾ تسكنونها في الشتاء ونصبه على الحال المقدرة ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾. (٧٥) ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ تكبروا عن الإيمان به ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ أي من قومه بدل مما قبله بإعادة الجار ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ﴾ إليكم؟ ﴿قَالُوٓا۟﴾ نعم ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾. (٧٦) ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾. (٧٧) وكانت الناقة لها يوم في الماء ولهم يوم فملُّوا ذلك ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾ عقرها قُدار بأمرهم بأن قتلها بالسيف ﴿وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ به

(١) ﴿سَفَاهَةٍ﴾: جنون بلغة حمير.

محمداً عن ذلك، فإن أمر بالجلد فخذوه عنه، وإن أمركم بالرجم فلا تأخذوه عنه، فسألوه عن ذلك، فذكر نحو ما تقدم، فأمر به فرجم، فنزلت: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ﴾ الآية، وأخرج البيهقي في الدلائل من حديث أبي هريرة نحوه.

اسباب نزول الآية ٤٩ قوله تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ﴾ روى ابن اسحاق عن ابن عباس قال: قال كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه، فجاؤوه فقالوا يا محمد: إنك قد عرفت أنّا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم، وإنا إن اتبعناك اتبعتنا يهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك فأبى ذلك، وأنزل الله فيهم: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إلى قوله: ﴿لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

اسباب نزول الآية ٥١ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟﴾ الآية، أخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي عن عبادة بن الصامت قال: لما حاربت بنو قينقاع تشبث بأمرهم عبد الله بن أبيّ ابن سلول وقام دونهم ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم، وكان أحد بني عوف من الخزرج وله من حلفهم مثل الذي لهم من عبد الله بن أبيّ فحالفهم إلى رسول الله وتبرأ من حلف الكفار وولايتهم، قال: ففيه وفي عبد الله بن أبيّ نزلت القصة

من العذاب على قتلها ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾. (٧٨) ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة من الأرض والصيحة من السماء ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ باركين على الركب ميّتين. (٧٩) ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض صالح ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾. (٨٠) ﴿و﴾ اذكر ﴿لُوطًا﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ أي أدبار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَآ مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الإنس والجن. (٨١) ﴿إِنَّكُمْ﴾ وفي قراءة «أئنكم» بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال الألف بينهما على الوجهين ﴿لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام.

(٨٢) ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم﴾ أي لوطاً وأتباعه ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[1] من أدبار الرجال. (٨٣) ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ الباقين في العذاب. (٨٤) ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ هو حجارة السجيل فأهلكتهم ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾. (٨٥) ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِّن رَّبِّكُمْ ۖ﴾ على صدقي ﴿فَأَوْفُوا۟﴾ أتموا ﴿ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟﴾ تنقصوا ﴿ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ ببعث الرسل ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ المذكور ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ مريدي الإيمان فبادروا إليه. (٨٦) ﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾ طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ تخوفون الناس بأخذ ثيابهم أو المكس منهم ﴿وَتَصُدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ بتوعدكم إياه بالقتل ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ تطلبون الطريق ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ قبلكم بتكذيبهم رسلهم أي آخر أمرهم من الهلاك. (٨٧) ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ به ﴿فَٱصْبِرُوا۟﴾ انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ﴾ وبينكم بإنجاء المحق وإهلاك المبطل ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أعدلهم.

(٨٨) ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ عن الإيمان ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ ترجعن ﴿فِى مِلَّتِنَا ۚ﴾ ديننا وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد لأن شعيباً لم يكن في ملتهم قط وعلى نحوه أجاب ﴿قَالَ أَ﴾ نعود فيها ﴿وَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ لها؟ استفهام إنكار. (٨٩) ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ﴾ ذلك فيخذلنا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ﴾ أي وسع علمه كل شيء ومنه حالي وحالكم ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ﴾ احكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ الحاكمين. (٩٠) ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿لَئِنِ﴾ لام قسم ﴿ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾.

(٩١) ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ باركين على الركب ميّتين. (٩٢) ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا﴾ مبتدأ خبره ﴿كَأَن﴾ مخففة واسمها محذوف أي كأنهم ﴿لَّمْ

(١) ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾: يعني يتنزهون عن أدبار الرجال بلغة قريش.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة المائدة

في المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ الآية.

اسباب نزول الآية ٥٥ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية، أخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه مجاهيل عن عمار بن ياسر قال: وقف على علي بن أبي طالب سائل وهو راكع في تطوع فنزع خاتمه فأعطاه السائل، فنزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ الآية، وله شاهد قال عبد الرزاق: حدثنا عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ الآية، قال: نزلت في علي بن أبي طالب. وروى ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس مثله، وأخرج أيضاً عن علي مثله. وأخرج ابن جرير عن مجاهد وابن أبي حاتم عن سلمة بن كهيل مثله، فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً.

اسباب نزول الآية ٥٧ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ﴾ الآية، روى أبو الشيخ وابن حبان عن ابن عباس قال: كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ونافقا، وكان رجل من المسلمين يوادهما، فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ﴾ وبه قال أتى النبي ﷺ نفر من يهود فيهم أبو ياسر بن أخطب، ونافع بن أبي نافع، وغازي بن عمر فسألوه عمن يؤمن به من الرسل قال: أؤمن ﴿بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ

يَغْنَوْا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا﴾[1] في ديارهم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ التأكيد بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق. ﴿٩٣﴾ ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فلم تؤمنوا ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾[2] أحزن ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾؟ استفهام بمعنى النفي. ﴿٩٤﴾ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ﴾ فكذبوه ﴿إِلَّآ أَخَذْنَآ﴾ عاقبنا ﴿أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ شدة الفقر ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ يتذللون فيؤمنون. ﴿٩٥﴾ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾ أعطيناهم ﴿مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ﴾ العذاب ﴿ٱلْحَسَنَةَ﴾ الغنى والصحة ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾ كثروا ﴿وَّقَالُوا۟﴾ كفراً للنعمة ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ كما مسنا وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله فكونوا على ما أنتم عليه قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ بالعذاب ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت مجيئه قبله.

﴿٩٦﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المكذبين ﴿ءَامَنُوا۟﴾ بالله ورسلهم ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ الكفر والمعاصي ﴿لَفَتَحْنَا﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ بالمطر ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ بالنبات ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟﴾ الرسل ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ عاقبناهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾. ﴿٩٧﴾ ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ المكذبون ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ ليلاً ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ غافلون عنه. ﴿٩٨﴾ ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾ نهاراً ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾. ﴿٩٩﴾ ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ استدراجه إياهم بالنعمة وأخذهم بغتة ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾. ﴿١٠٠﴾ ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ يتبيَّن ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ﴾ بالسكنى ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾ هلاك ﴿أَهْلِهَآ أَن﴾ فاعل مخففة واسمها محذوف أي أنه ﴿لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم﴾ بالعذاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ كما أصبنا من قبلهم. والهمزة في المواضع الأربعة للتوبيخ والفاء والواو الداخلة عليهما للعطف، وفي قراءة بسكون الواو في الموضع الأول عطفاً «بأو» ﴿و﴾ نحن ﴿نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الموعظة سماع تدبر. ﴿١٠١﴾ ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ التي مرَّ ذكرها ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ أخبار أهلها ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ عند مجيئهم ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟﴾ كفروا به ﴿مِن قَبْلُ﴾ مجيئهم بل استمروا على الكفر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الطبع ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. ﴿١٠٢﴾ ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾ أي الناس ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾ أي وفاء بعهدهم يوم أخذ الميثاق ﴿وَإِن﴾ مخففة ﴿وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾. ﴿١٠٣﴾ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ أي الرسل المذكورين ﴿مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ التسع ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ قومه ﴿فَظَلَمُوا۟﴾ كفروا ﴿بِهَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بالكفر من إهلاكهم. ﴿١٠٤﴾ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إليك فكذبه.

﴿١٠٥﴾ ﴿حَقِيقٌ﴾ جدير ﴿عَلَىٰٓ أَن﴾ أي بأن ﴿لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ وفي قراءة بتشديد الياء فـ«حقيق» مبتدأ وخبره «أن» وما بعدها ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ﴾ إلى الشام ﴿بَنِىٓ

(١) ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا﴾: وقوله في سورة يونس عليه السلام: ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [الآية: ٢٤]: يتمتعوا بلغة جرهم.

(٢) ﴿ءَاسَىٰ﴾: أحزن بلغة قريش.

وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ الآية، فلما ذكر عيسى جحدوا نبوَّته وقالوا لا نؤمن بعيسى ولا بمن آمن به، فأنزل الله فيهم ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ٦٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ﴾ الآية، أخرج الطبراني عن ابن عباس قال: قال رجل من اليهود يقال له النباش بن قيس إن ربك بخيل لا ينفق فأنزل الله: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ الآية، وأخرج أبو الشيخ من وجه آخر عنه قال: نزلت ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ في فنحاص رأس يهود قينقاع.

أسباب نزول الآية ٦٧ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ الآية، أخرج أبو الشيخ عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: إن الله بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً، وعرفت أن الناس مكذبيَّ فوعدني لأبلغنَّ أو ليعذبني، فأنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد قال: لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ قال: يا رب كيف أصنع وأنا وحدي يجتمعون عليَّ؟ فنزلت: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾. وأخرج الحاكم والترمذي عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يُحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾. فأخرج رأسه من القبة فقال: يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله، في هذا الحديث دليل على

إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وكان استعبدهم. (١٠٦) ﴿قَالَ﴾ فرعون له ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ على دعواك ﴿فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيها. (١٠٧) ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ حية عظيمة. (١٠٨) ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ﴾ ذات شعاع ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة. (١٠٩) ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ فائق في علم السحر. وفي «الشعراء» [٣٤] أنه من قول فرعون نفسه فكأنهم قالوه معه على سبيل التشاور. (١١٠) ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

(١١١) ﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أخِّر أمرهما ﴿وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ جامعين. (١١٢) ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ﴾ وفي قراءة «سحّار» ﴿عَلِيمٍ﴾ يفضل موسى في علم السحر فجُمِعُوا. (١١٣) ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ﴾ وفي قراءة أئن بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾؟ (١١٤) ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾. (١١٥) ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ عصاك ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ ما معنا. (١١٦) ﴿قَالَ أَلْقُوا۟﴾ أمر للإذن بتقديم إلقائهم توصلاً به إلى إظهار الحق ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟﴾ حبالهم وعصيهم ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ صرفوها عن حقيقة إدراكها ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ خوّفوهم حيث خيلوها حيات تسعى ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾. (١١٧) ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ يقلبون بتمويههم. (١١٨) ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾ ثبت وظهر ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من السحر. (١١٩) ﴿فَغُلِبُوا۟﴾ أي فرعون وقومه ﴿هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾ صاروا ذليلين. (١٢٠) ﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾.

(١٢١) ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾. (١٢٢) ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر. (١٢٣) ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً ﴿به﴾ بموسى ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي صنعتموه ﴿لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما ينالكم مني. (١٢٤) ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ أي يد كل واحد اليمنى ورجله اليسرى ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾. (١٢٥) ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿مُنقَلِبُونَ﴾ راجعون في الآخرة. (١٢٦) ﴿وَمَا تَنقِمُ﴾ تنكر ﴿مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ عند فعل ما توعدنا به لئلا نرجع كفاراً ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾. (١٢٧) ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ له ﴿أَتَذَرُ﴾ تترك ﴿مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالدعاء إلى مخالفتك ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ وكان صنع لهم أصناماً صغاراً يعبدونها وقال أنا ربكم وربها ولذا قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٣] ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿أَبْنَآءَهُمْ﴾ المولودين ﴿وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ نستبقي ﴿نِسَآءَهُمْ﴾ كفعلنا بهم من قبل ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ قادرون ففعلوا بهم ذلك فشكا بنو إسرائيل. (١٢٨) ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ على أذاهم ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا﴾ يعطيها ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ لله. (١٢٩) ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيها. (١٣٠) ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ بالقحط ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة المائدة

أنها أي الآية: ليلية نزلت ليلاً فراشية ـ والرسول في فراشه ـ وأخرج الطبراني عن أبي سعيد الخدري قال: كان العباس عم رسول الله ﷺ فيمن يحرسه، فلما نزلت: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ ترك الحرس، وأخرج أيضاً عن عصمة بن مالك الخطمي قال: كنا نحرس رسول الله ﷺ بالليل، حتى نزلت: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فترك الحرس، وأخرج ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة قال: كنا إذا أصبحنا ورسول الله ﷺ في سفر تركنا له أعظم شجرة وأظلها، فينزل تحتها، فنزل ذات يوم تحت شجرة وعلق سيفه فيها، فجاء رجل فأخذه وقال: يا محمد من يمنعك مني، فقال رسول الله ﷺ: الله يمنعني منك، ضع السيف فوضعه، فنزلت: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال: لما غزا رسول الله ﷺ بني أنمار نزل ذات الرقيع بأعلى نخل فبينا هو جالس على رأس بئر قد أدلى رجليه، فقال الوارث من بني النجار لأقتلنّ محمداً، فقال له أصحابه كيف تقتله؟ قال: أقول له أعطني سيفك فإذا أعطانيه قتلته، فأتاه فقال له يا محمد: أعطني سيفك أشمه، فأعطاه إياه فرعدت يده، فقال رسول الله ﷺ: حال الله بينك وبين ما تريد، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ الآية. ومن غريب ما ورد في سبب نزولها ما أخرجه ابن مردويه والطبراني عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يحرس،

﴿١٣١﴾ ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ الخصب والغنى ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ أي نستحقها ولم يشكروا عليها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ جدب وبلاء ﴿يَطَّيَّرُواْ﴾ يتشاءموا ﴿بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ﴾ شؤمهم ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ يأتيهم به ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ ما يصيبهم من عنده.

﴿١٣٢﴾ ﴿وَقَالُواْ﴾ لموسى ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فدعا عليهم.

﴿١٣٣﴾ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ وهو ماء دخل بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام ﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ فأكل زرعهم وثمارهم كذلك ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ السوس أو هو نوع من القراد فتتبع ما تركه الجراد ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ فملأت بيوتهم وطعامهم ﴿وَٱلدَّمَ﴾ في مياههم ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ مبينات ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿١٣٤﴾ ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ العذاب ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿لَئِن﴾ لام قسم ﴿كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

﴿١٣٥﴾ ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم.

﴿١٣٦﴾ ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ البحر المالح ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ لا يتدبرونها.

﴿١٣٧﴾ ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ﴾ بالاستعباد، وهم بنو إسرائيل ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر، صفة للأرض وهي الشام ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ وهي قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥] الخ ﴿عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ على أذى عدوهم ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ أهلكنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾ من العمارة ﴿وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾ بكسر الراء وضمها، يرفعون من البنيان.

﴿١٣٨﴾ ﴿وَجَٰوَزْنَا﴾ عبرنا ﴿بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ﴾ فمروا ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ﴾ بضم الكاف وكسرها ﴿عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ يقيمون على عبادتها ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ صنماً نعبده ﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ حيث قابلتم نعمة الله عليكم بما قلتموه.

﴿١٣٩﴾ ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ﴾ هالك ﴿مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٤٠﴾ ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾ معبوداً، وأصله «أبغي لكم» ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ في زمانكم بما ذكره في قوله.

﴿١٤١﴾ ﴿و﴾ اذكروا ﴿إِذْ أَنجَيْنَٰكُم﴾ وفي قراءة «أنجاكم» ﴿مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ﴾ يكلفونكم ويذيقونكم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أشده وهو: ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾ يستبقون ﴿نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم﴾ الإنجاء أو العذاب ﴿بَلَآءٌ﴾ إنعام أو ابتلاء ﴿مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أفلا تتعظون فتنتهون عما قلتم؟.

﴿١٤٢﴾ ﴿وَوَٰعَدْنَا﴾ بألف ودونها ﴿مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً﴾ نكلمه عند انتهائها بأن يصومها، وهي «ذو القعدة» فصامها فلما تمَّت أنكر خُلُوف فمه فاستاك فأمره الله بعشرة أخرى ليكلمه بخلوف فمه كما قال تعالى: ﴿وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ من ذي الحجة ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ وقت وعده بكلامه إياه ﴿أَرْبَعِينَ﴾ حال ﴿لَيْلَةً﴾ تمييز ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ﴾ عند ذهابه إلى الجبل للمناجاة ﴿ٱخْلُفْنِى﴾ كن خليفتي ﴿فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ﴾ أمرهم ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بموافقتهم على المعاصي.

﴿١٤٣﴾ ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ أي للوقت الذي وعدناه للكلام فيه ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ بلا واسطة كلاماً سمعه من كل جهة ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ﴾ نفسك ﴿أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ أي لا تقدر

وكان يرسل معه أبو طالب كل يوم رجالاً من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ فأراد أن يرسل معه من يحرسه فقال يا عمّ: إن الله عصمني من الجن والإنس وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله نحوه، وهذا يقتضي أن الآية مكية، والظاهر خلافه.

اسباب نزول الآية ٦٨ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾

الآية، روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: جاء رافع بن مشكم، ومالك بن الصيف، فقالوا يا محمد: ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا قال بلى ولكنكم أحدثتم وجحدتم بما فيها، وكتمتم ما أمرتم أن تبينوه للناس، قالوا فإنا نأخذ بما في أيدينا، فإنا على الهدى والحق فأنزل الله ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ الآية.

اسباب نزول الآية ٨٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾

الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن المسيب وأبي بكر بن عبد الرحمن وعروة بن الزبير قالوا: بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري، وكتب معه كتاباً إلى النجاشي، فقدم على النجاشي، فقرأ كتاب رسول الله ﷺ ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه، وأرسل إلى الرهبان والقسيسين، ثم أمر جعفر بن أبي طالب فقرأ عليهم سورة مريم، فآمنوا بالقرآن وفاضت أعينهم من الدمع، فهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿وَلَتَجِدَنَّ

على رؤيتي، والتعبير به دون «لن أُرى» يفيد إمكان رؤيته تعالى ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ الذي هو أقوى منك ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ﴾ ثبت ﴿مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ أي تثبت لرؤيتي وإلا فلا طاقة لك ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ﴾ أي ظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر كما في حديث صححه الحاكم ﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ بالقصر والمد، أي مدكوكاً مستوياً بالأرض ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ مغشياً عليه لهول ما رأى ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ﴾ تنزيهاً لك ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من سؤال ما لم أؤمر به ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ في زماني.

﴿١٤٤﴾ ﴿قَالَ﴾ تعالى له ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أهل زمانك ﴿بِرِسَٰلَٰتِى﴾ بالجمع والإفراد ﴿وَبِكَلَٰمِى﴾ أي تكليمي إياك ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾ من الفضل ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ لأنعمي. ﴿١٤٥﴾ ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾ أي ألواح التوراة، وكانت من سدر الجنة أو زبرجد أو زمرد سبعة أو عشرة ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ تبييناً ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ بدل من الجار والمجرور قبله ﴿فَخُذْهَا﴾ قبله «قلنا» مقدراً ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ أي يأخذوا ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ فرعون وأتباعه وهي مصر لتعتبروا بهم.

﴿١٤٦﴾ ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ﴾ دلائل قدرتي من المصنوعات وغيرها ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ بأن أخذلهم فلا يَتفكَّرُون فيها ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ﴾ طريق ﴿ٱلرُّشْدِ﴾ الهدى الذي جاء من عند الله ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يسلكوه ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ﴾ الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ﴾ الصرف ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ تقدم مثله.

﴿١٤٧﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ ما عملوه في الدنيا من خير كصلة رحم وصدقة فلا ثواب لهم لعدم شرطه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ من التكذيب والمعاصي. ﴿١٤٨﴾ ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ أي بعد ذهابه إلى المناجاة ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعلَّة عرس فبقي عندهم ﴿عِجْلًا﴾ صاغه لهم منه السامري ﴿جَسَدًا﴾ بدل لحماً ودماً ﴿لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ أي صوت يسمع، انقلب كذلك بوضع التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل في فمه فإن أثره الحياة فيما يوضع فيه، ومفعول «اتخذ» الثاني محذوف أي إلهاً ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ فكيف يُتَّخذ إلهاً؟ ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ إلهاً ﴿وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ باتخاذه. ﴿١٤٩﴾ ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ أي ندموا على عبادته ﴿وَرَأَوْا۟﴾ أي علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟﴾ بها وذلك بعد رجوع موسى ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ بالياء والتاء فيهما ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

﴿١٥٠﴾ ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾ من جهتهم ﴿أَسِفًا﴾ شديد الحزن ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿بِئْسَمَا﴾ أي بئس خلافة ﴿خَلَفْتُمُونِى﴾ ها ﴿مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ خلافتكم هذه حيث أشركتم ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ وعدي بالأربعين ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ ألواح التوراة غضباً لربه فتكسرت ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ أي بشعره بيمينه ولحيته بشماله ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ غضباً ﴿قَالَ﴾ يا ﴿ٱبْنَ أُمَّ﴾ بكسر الميم وفتحها، أراد أمي وذكرها أعطف لقلبه ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟﴾ قاربوا ﴿يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ﴾ تُفرح ﴿بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ بإهانتك إياي ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بعبادة العجل في المؤاخذة. ﴿١٥١﴾ ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى﴾ ما صنعت بأخي ﴿وَلِأَخِى﴾ أشركه في الدعاء إرضاء له ودفعاً للشماتة به ﴿وَأَدْخِلْنَا فِى

لباب النقول في أسباب النزول
سورة المائدة

﴿أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ إلى قوله: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾. وروى ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: بعث النجاشي ثلاثين رجلاً من خيار أصحابه إلى رسول الله ﷺ، فقرأ عليهم سورة يس فبكوا، فنزلت فيهم الآية. وأخرج النسائي عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾. وروى الطبراني عن ابن عباس نحوه أبسط منه.

اسباب نزول الآية ٨٧ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟﴾ الآية. روى الترمذي وغيره عن ابن عباس: أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي، فحرمت عليَّ اللحم، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ الآية، وأخرج ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس: أن رجالاً من الصحابة منهم عثمان بن مظعون حرَّموا النساء واللحم على أنفسهم، وأخذوا الشفار ليقطعوا مذاكيرهم، لكي تنقطع الشهوة ويتفرغوا للعبادة، فنزلت، وأخرج نحو ذلك من مرسل عكرمة وأبي قلابة ومجاهد وأبي مالك والنخعي والسدي وغيرهم، وفي رواية السدي: أنهم كانوا عشرة، منهم: ابن مظعون وعلي بن أبي طالب، وفي رواية عكرمة منهم: ابن مظعون وعلي وابن مسعود والمقداد بن الأسود

رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾. (١٥٢) قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إلهاً ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ﴾ عذاب ﴿مِن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فعذبوا بالأمر بقتل أنفسهم وضربت عليهم الذلة إلى يوم القيامة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ على الله بالإشراك وغيره. (١٥٣) ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا﴾ رجعوا عنها ﴿مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا﴾ بالله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا﴾ أي التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. (١٥٤) ﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ سكن ﴿عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾ التي ألقاها ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي ما نُسِخَ فيها، أي كُتِبَ ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ يخافون وأدخل اللام على المفعول لتقدمه. (١٥٥) ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ﴾ أي من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا﴾ ممن لم يعبدوا العجل بأمره تعالى ﴿لِمِيقَاتِنَا﴾ أي للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل فخرج بهم ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة، قال ابن عباس: لأنهم لم يزايلوا قومهم حين عبدوا العجل، قال: وهم غير الذين سألوا الرؤية وأخذتهم الصاعقة ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾ أي قبل خروجي بهم ليعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهموني ﴿وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ استفهام استعطاف، أي لا تعذبنا بذنب غيرنا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هِيَ﴾ أي الفتنة التي وقع فيها السفهاء ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ ابتلاؤك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ﴾ إضلاله ﴿وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ﴾ هدايته ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ متولي أمورنا ﴿فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾.

(١٥٦) ﴿وَاكْتُبْ﴾ أوجب ﴿لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ﴾ حسنة ﴿إِنَّا هُدْنَا﴾ تبنا ﴿إِلَيْكَ قَالَ﴾[1] تعالى: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ﴾ عمّت ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ في الدنيا ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ في الآخرة ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾. (١٥٧) ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ محمداً ﷺ ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ باسمه وصفته ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ مما حُرم في شرعهم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ من الميتة ونحوها ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ ثقلهم ﴿وَالْأَغْلَالَ﴾ الشدائد ﴿الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ كقتل النفس في التوبة، وقطع أثر النجاسة ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ منهم ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ وقّروه ﴿وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ أي القرآن ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (١٥٨) ﴿قل﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾ القرآن ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ ترشدون. (١٥٩) ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ في الحكم.

(١٦٠) ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ﴾ فرّقنا بني إسرائيل ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ﴾ حال ﴿أَسْبَاطًا﴾ بدل منه، أي قبائل ﴿أُمَمًا﴾ بدل مما قبله ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾ في التيه ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ فضربه ﴿فَانبَجَسَتْ﴾ انفجرت ﴿مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبط منهم ﴿مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ في التيه من حر الشمس ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ هما الترنجبين والطير السماني بتخفيف الميم والقصر وقلنا لهم ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا

(١) ﴿هُدْنَا إِلَيْكَ﴾: تبنا وافقت لغة العبرانية.

وسالم مولى أبي حذيفة، وفي رواية مجاهد: منهم ابن مظعون وعبد الله بن عمر. وأخرج ابن عساكر في تاريخه من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في رهط من الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعلي وابن مسعود وعثمان بن مظعون والمقداد بن الأسود وسالم مولى أبي حذيفة، توافقوا أن يجبوا أنفسهم، ويعتزلوا النساء ولا يأكلوا لحماً ولا دسماً ويلبسوا المسوح ولا يأكلوا من الطعام إلا قوتاً وأن يسيحوا في الأرض كهيئة الرهبان فنزلت. وروى ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم أن عبد الله بن رواحة أضافه ضيف من أهله وهو عند النبي ﷺ ثم رجع إلى أهله فوجدهم لم يطعموا ضيفه انتظاراً له فقال لامرأته: حبست ضيوفي من أجلي هو حرام عليّ، فقالت امرأته: هو عليّ حرام، فلما رأى ذلك وضع يده وقال: كلوا بسم الله ثم ذهب إلى النبي ﷺ فذكر الذي كان منهم ثم أنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

أسباب نزول الآية ٩٠ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ﴾ الآية. روى أحمد عن أبي هريرة قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فسألوا رسول الله ﷺ عنهما، فأنزل الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ الآية فقال الناس ما حرّم علينا إنما قال إثم كبير وكانوا يشربون الخمر حتى كان

رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. ﴿١٦١﴾ ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ بيت المقدس ﴿وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟﴾ أمرنا ﴿حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾ أي باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجود انحناء ﴿نَّغْفِرْ﴾ بالنون والتاء مبنياً للمفعول ﴿لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالطاعة ثواباً. ﴿١٦٢﴾ ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا: «حبة في شعرة» ودخلوا يزحفون على أستاههم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ عذاباً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾. ﴿١٦٣﴾ ﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ يا محمد توبيخاً ﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ مجاورة بحر القلزم وهي «إيلة» ما وقع بأهلها؟ ﴿إِذْ يَعْدُونَ﴾ يعتدون ﴿فِى ٱلسَّبْتِ﴾ بصيد السمك المأمورين بتركه فيه ﴿إِذ﴾ ظرف لـ«يعدون» ﴿تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ ظاهرة على الماء ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ لا يعظمون السبت أي سائر الأيام ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ابتلاء من الله ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ ولما صادوا السمك افترقت القرية أثلاثاً، ثلث صادوا معهم، وثلث نهوهم، وثلث أمسكوا عن الصيد والنهي.

﴿١٦٤﴾ ﴿وَإِذْ﴾ عطف على «إذ» قبله ﴿قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ لم تصد ولم تنه لمن نهى ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟﴾ موعظتنا ﴿مَعْذِرَةً﴾ نعتذر بها ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ لئلا ننسب إلى تقصير في ترك النهي ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الصيد. ﴿١٦٥﴾ ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟﴾ تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا۟﴾ وعظوا ﴿به﴾ فلم يرجعوا ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بالاعتداء ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾[1] شديد ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾. ﴿١٦٦﴾ ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟﴾ تكبروا ﴿عن﴾ ترك ﴿مَا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ صاغرين فكانوها وهذا تفصيل لما قبله، قال ابن عباس: ما أدري ما فعل بالفرقة الساكتة، وقال عكرمة: لم تهلك لأنها كرهت ما فعلوه وقالت: «لم تعظون»؟ الخ وروى الحاكم عن ابن عباس: أنه رجع إليه وأعجبه. ﴿١٦٧﴾ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أعلم ﴿رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي اليهود ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ بالذل وأخذ الجزية، فبعث عليهم سليمان وبعده بختنصر فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية فكانوا يؤدونها إلى المجوس إلى أن بعث نبينا ﷺ فضربها عليهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. ﴿١٦٨﴾ ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ﴾ فرّقناهم ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ فرقاً ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ﴾ ناس ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ الكفار والفاسقون ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾ بالنعم ﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ النقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن فسقهم. ﴿١٦٩﴾ ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ التوراة عن آبائهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ أي حطام هذا الشيء الدنيء أي الدنيا من حلال وحرام ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ما فعلنا ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ الجملة حال، أي يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مصرون عليه وليس في التوراة وَعْدُ المغفرة مع الإصرار ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ استفهام تقرير ﴿عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ الإضافة بمعنى في ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟﴾ عطف على «يؤخذ» قرأوا ﴿مَا فِيهِ﴾ فلِمَ كذبوا عليه بنسبة المغفرة إليه مع الإصرار؟ ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرام ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالياء والتاء أنها خير فيؤثرونها على الدنيا؟ ﴿١٧٠﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ بالتشديد

(١) ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾: شديد بلغة غسان.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة المائدة

يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين أمّ أصحابه في المغرب فخلط في قراءته، فأنزل الله آية أشد منها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ ثم نزلت آية أشد من ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾. قالوا: انتهينا ربنا، فقال الناس: يا رسول الله ناس قتلوا في سبيل الله وماتوا على سرفهم، وكانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر، وقد جعله الله رجساً من عمل الشيطان فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ إلى آخر الآية. وروى النسائي والبيهقي عن ابن عباس قال: إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار شربوا، فلما أن ثمل القوم عبث بعضهم ببعض، فلما صحوا جعل الرجل يرى الأثر في وجهه ورأسه ولحيته، فيقول: صنع بي هذا أخي فلان، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن، فيقول: والله لو كان بي رؤوفاً رحيماً ما صنع بي هذا حتى وقعت الضغائن في قلوبهم، فأنزل الله هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ الآية. قال ناس من المتكلفين: هي رجس، وهي في بطن فلان: وقد قتل يوم أحد فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ١٠٠ ـ قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى﴾ الآية. أخرج الواحدي والأصبهاني في الترغيب عن جابر أن النبي ﷺ

والتخفيف ﴿بِٱلْكِتَٰبِ﴾ منهم ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ الجملة خبر «الذين» وفيه وضع الظاهر موضع المضمر أي «أجرهم». ﴿١٧١﴾ ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ رفعناه من أصله ﴿فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟﴾ أيقنوا ﴿أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ ساقط عليهم بوعد الله إياهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة وكانوا أبَوْها لثقلها فقبلوا وقلنا لهم ﴿خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. ﴿١٧٢﴾ ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ﴾ حين ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ بدل اشتمال مما قبله بإعادة الجار ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بأن أخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم، نسلاً بعد نسل كنحو ما يتوالدون كالذر بنعمان يوم عرفة ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلاً ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ قال ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ أنت ربنا ﴿شَهِدْنَآ﴾ بذلك والإشهاد لـ ﴿أن﴾ لا ﴿يَقُولُوا﴾ بالياء والتاء في الموضعين، أي الكفار ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا﴾ التوحيد ﴿غَٰفِلِينَ﴾ لا نعرفه. ﴿١٧٣﴾ ﴿أَوْ يَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ أي قبلنا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ فاقتدينا بهم ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾ تعذبنا ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ من آبائنا بتأسيس الشرك؟ المعنى لا يمكنهم الاحتجاج بذلك مع إشهادهم على أنفسهم بالتوحيد، والتذكير به على لسان صاحب المعجزة قائم مقام ذكره في النفوس. ﴿١٧٤﴾ ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ نبيّنها مثل ما بينا الميثاق ليتدبروها ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم. ﴿١٧٥﴾ ﴿وَٱتْلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي اليهود ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ خرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها وهو بلعم بن باعوراء من علماء بني إسرائيل، سُئل أن يدعو على موسى وأُهدي إليه شيء، فدعا فانقلب عليه واندلع لسانه على صدره ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ فأدركه فصار قرينه ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾. ﴿١٧٦﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ﴾ إلى منازل العلماء ﴿بِهَا﴾ بأن نوفقه للعمل ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ﴾ سكن ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي الدنيا ومال إليها ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ في دعائه إليها فوضعناه ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾ صفته ﴿كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ بالطرد والزجر ﴿يَلْهَث﴾ يدلع لسانه ﴿أو﴾ إن ﴿تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ وليس غيره من الحيوان كذلك، وجملتا الشرط حال أي لاهثاً ذليلاً بكل حال، والقصد التشبيه في الوضع والخسة بقرينة «الفاء» المشعرة بترتيب ما بعدها على ما قبلها من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى وبقرينة، قوله ﴿ذَّٰلِكَ﴾ المثل ﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾ على اليهود ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يتدبرون فيها فيؤمنون. ﴿١٧٧﴾ ﴿سَآءَ﴾ بئس ﴿مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾ أي مثل القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ بالتكذيب. ﴿١٧٨﴾ ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾. ﴿١٧٩﴾ ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الحق ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ دلائل قدرة الله بصر اعتبار ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ في عدم الفقه والبصر والاستماع ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ من الأنعام لأنها تطلب منافعها وتهرب من مضارها وهؤلاء يقدمون على النار معاندة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾. ﴿١٨٠﴾ ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث، و«الحسنى» مؤنث «الأحسن» ﴿فَٱدْعُوهُ﴾ سمّوه ﴿بِهَا وَذَرُوا۟﴾ اتركوا ﴿ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ «من ألحد ولحد»، يميلون عن الحق ﴿فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ حيث اشتقوا منها أسماء لآلهتهم: كاللات من «الله»، والعُزّى من «العزيز»،

ذكر تحريم الخمر، فقام أعرابي فقال: إني كنت رجلاً كانت هذه تجارتي فاعتقبت منها مالاً فهل ينفع ذلك المال إن عملت بطاعة الله تعالى؟ فقال النبي ﷺ: إن الله لا يقبل إلا الطيب، فأنزل الله تعالى تصديقاً لرسوله ﷺ ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ الآية.

اسباب نزول الآية ١٠١ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ الآية. روى البخاري عن أنس بن مالك قال: خطب النبي ﷺ خطبة فقال رجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ﴾ حتى فرغ من الآية كلها. وأخرج ابن جرير مثله من حديث أبي هريرة، وروى أحمد والترمذي والحاكم عن علي قال: لما نزلت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ قالوا يا رسول الله في كل عام؟ فسكت، قالوا يا رسول الله في كل عام؟ قال لا، ولو قلت: نعم لوجبت، فأنزل الله ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾. وأخرج ابن جرير مثله من حديث أبي هريرة وأبي أمامة وابن عباس قال الحافظ ابن حجر: لا مانع أن تكون نزلت في الأمرين، وحديث ابن عباس في ذلك أصح إسناداً.

اسباب نزول الآية ١٠٦ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ الآية. روى الترمذي وضعفه وغيره عن ابن عباس عن تميم الداري في هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا

ومناة من «المنان» ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة جزاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال. (١٨١) ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ هم أمة محمد ﷺ كما في حديث. (١٨٢) ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ القرآن من أهل مكة ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾. (١٨٣) ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ شديد لا يطاق. (١٨٤) ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم﴾ محمد ﷺ ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ جنون ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ بيّن الإنذار؟ (١٨٥) ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِى مَلَكُوتِ﴾ ملك ﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ و﴿فِي﴾ ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ بيان لـ«ما» فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانيته؟ ﴿و﴾ في ﴿أن﴾ أي أنه ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ﴾ قرب ﴿أَجَلُهُمْ﴾ فيموتوا كفاراً فيصيروا إلى النار فيبادروا إلى الإيمان ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ﴾ أي القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾؟ (١٨٦) ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ﴾ بالياء والنون مع الرفع استئنافاً، والجزم عطفاً على محل ما بعد الفاء ﴿فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ يترددون تحيراً. (١٨٧) ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي أهل مكة ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿أَيَّانَ﴾ متى ﴿مُرْسَىٰهَا قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا﴾ متى تكون ﴿عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا﴾ يظهرها ﴿لِوَقْتِهَآ﴾ اللام بمعنى «في» ﴿إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ﴾[1] عظمت ﴿فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ على أهلهما لهولها ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ﴾ مبالغ في السؤال ﴿عَنْهَا﴾[2] حتى علمتها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ تأكيد ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن علمها عنده تعالى. (١٨٨) ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا﴾ أجلبه ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ أدفعه ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ ما غاب عني ﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾[3] من فقر وغيره لاحترازي عنه باجتناب المضار ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ بالنار للكافرين ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بالجنة ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. (١٨٩) ﴿هو﴾ أي الله ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ أي آدم ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ويألفها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ هو النطفة ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ ذهبت وجاءت لخفته ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ كبر الولد في بطنها وأشفقا أن يكون الولد بهيمة ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا﴾ ولداً ﴿صَـٰلِحًا﴾ سوياً ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ لك عليه. (١٩٠) ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ ولداً ﴿صَـٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ وفي قراءة بكسر الشين والتنوين أي شريكاً ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ بتسميته عبد الحارث ولا ينبغي ان يكون عبداً إلا لله، وليس بإشراك في العبودية لعصمة آدم وروى سمرة عن النبي ﷺ قال: «لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال: سميه عبد الحارث فإنه يعيش فسمته فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره» رواه الحاكم وقال صحيح والترمذي وقال حسن غريب ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي أهل مكة به من الأصنام، والجملة مسببة عطف على «خلقكم» وما بينهما اعتراض. (١٩١) ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ به في العبادة ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾. (١٩٢) ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ أي لعابديهم ﴿نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ بمنعها ممن أراد بهم سوءاً من كسر أو غيره والاستفهام للتوبيخ. (١٩٣) ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ أي الأصنام ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ إليه ﴿أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ﴾ عن دعائهم لا يتبعون لعدم

---

(١) ﴿ثَقُلَتْ﴾: خفيت بلغة قريش.

(٢) ﴿حَفِىٌّ عَنْهَا﴾: عالم بها وكذا حفياً بمريم ﴿حَفِيًّا﴾ [الآية: ٤٧].

(٣) ﴿وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾: وفي هود: ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [الآية: ٥٤]: يعني الجنون بلغة هذيل.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة الأنعام

﴿حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ قال: برىء الناس منها غيري وغير عدي بن بداء، وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام قبل الإسلام، فأتيا الشام لتجارتهما، وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن أبي مريم بتجارة ومعه جام من فضة فمرض فأوصى إليهما، وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله. قال تميم: فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم، ثم اقتسمناه أنا وعدي بن بداء، فلما تقدمنا إلى أهله دفعنا إليهم ما كان معنا وفقدوا الجام فسألونا عنه فقلنا: ما ترك غير هذا وما دفع إلينا غيره فلما أسلمت تأثمت من ذلك فأتيت أهله فخبرتهم الخبر ودفعت إليهم خمسمائة درهم وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها، فأتوا به رسول الله ﷺ فسألهم البينة فلم يجدوا، فأمرهم أن يستحلفوه فحلف فأنزل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا. فنزعت الخمسمائة درهم من عدي بن بداء.

تنبيه: جزم الذهبي بأن تميماً النازل فيه غير تميم الداري، وعزاه لمقاتل بن حيان. قال الحافظ ابن حجر وليس بجيد للتصريح في هذا الحديث بأنه الداري.

سورة الأنعام

أسباب نزول الآية ١٩ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً﴾ الآية، أخرج ابن إسحاق وابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: جاء

سماعهم. (١٩٤) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ﴾ مملوكة ﴿أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ﴾ دعاءكم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في أنها آلهة، ثم بين غاية عجزهم وفضل عابديهم عليهم فقال: (١٩٥) ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ أَيْدٍ﴾ جمع «يد» ﴿يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾؟ استفهام إنكاري، أي ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالاً منهم؟ ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾ إلى هلاكي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ تمهلون فإني لا أبالي بكم. (١٩٦) ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ﴾ متولي أموري ﴿ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بحفظه. (١٩٧) ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ فكيف أبالي بهم؟. (١٩٨) ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ أي الأصنام ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُواْ وَتَرَىٰهُمْ﴾ أي الأصنام يا محمد ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي يقابلونك كالناظر ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾. (١٩٩) ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ اليسر من أخلاق الناس ولا تبحث عنها ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ المعروف ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ فلا تقابلهم بسفههم. (٢٠٠) ﴿وَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ أي إن يصرفك عما أمرت به صارف ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف، أي يدفعه عنك ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ للقول ﴿عَلِيمٌ﴾ بالفعل. (٢٠١) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ﴾ أصابهم ﴿طَٰٓئِفٌ﴾ وفي قراءة «طيف» أي شيء ألم بهم ﴿مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ عقاب الله وثوابه ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ الحق من غيره فيرجعون. (٢٠٢) ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾ أي إخوان الشياطين من الكفار ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ أي الشياطين ﴿فِي ٱلْغَىِّ ثُمَّ﴾ هم ﴿لَا يُقْصِرُونَ﴾ يكفون عنه بالتبصر كما تبصَّر المتقون. (٢٠٣) ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم﴾ أي أهل مكة ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ مما اقترحوا ﴿قَالُواْ لَوْلَا﴾ هلا ﴿ٱجْتَبَيْتَهَا﴾[1] أنشأتها من قبل نفسك؟! ﴿قل﴾ لهم ﴿إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ وليس لي أن آتي من عند نفسي بشيء ﴿هَٰذَا﴾ القرآن ﴿بَصَآئِرُ﴾ حجج ﴿مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. (٢٠٤) ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ عن الكلام ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ نزلت في ترك الكلام في الخطبة وعبَّر عنها بالقرآن لاشتمالها عليه، وقيل: في قراءة القرآن مطلقاً. (٢٠٥) ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ أي سراً ﴿تَضَرُّعًا﴾ تذللاً ﴿وَخِيفَةً﴾ خوفاً منه ﴿و﴾ فوق السر ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ أي قصداً بينهما ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ﴾ أوائل النهار وأواخره ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ عن ذكر الله. (٢٠٦) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبَّرون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ يُنزِّهونه عمّا لا يليق به ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ أي يخصونه الخضوع والعبادة فكونوا مثلهم.

٨ ــ سورة الأنفال

مدنية إلا ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ﴾ [٣٠ ـ ٣٦] الآيات السبع فمكية
وآياتها ٧٥ خمس أو ست أو سبع وسبعون آية.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لما اختلف المسلمون في غنائم بدر فقال الشبان: هي لنا لأننا باشرنا القتال، وقال الشيوخ

(١) ﴿ٱجْتَبَيْتَهَا﴾: أتيتها بلغة ثقيف.

النحام بن زيد وقروم بن كعب وبحري بن عمرو فقالوا يا محمد ما نعلم مع الله إلهاً غيره، فقال لا إله إلا الله، بذلك بعثت وإلى ذلك أدعو، فأنزل الله في قولهم: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ٢٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ الآية، روى الحاكم وغيره عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في أبي طالب، كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ ويتباعد عما جاء به. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال قال: نزلت في عمومة النبي ﷺ، وكانوا عشرة، فكانوا أشد الناس معه في العلانية، وأشد الناس عليه في السر.

أسباب نزول الآية ٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ﴾ الآية، روى الترمذي والحاكم عن علي أن أبا جهل قال للنبي ﷺ إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

أسباب نزول الآية ٥٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾ الآية، روى ابن حبان والحاكم عن سعد بن أبي وقاص قال: لقد نزلت هذه الآية في ستة: أنا وعبد الله بن مسعود وأربعة قالوا لرسول الله ﷺ اطردهم فإنا نستحيي أن نكون تبعاً لك كهؤلاء، فوقع في نفس النبي ﷺ ما شاء الله، فأنزل الله ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ وروى أحمد

والطبراني وابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال: مر الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب بن الأرت وصهيب وبلال وعمار، فقالوا: يا محمد أرضيت بهؤلاء وهؤلاء من الله عليهم من بيننا، لو طردت هؤلاء لاتبعناك، فأنزل الله فيهم القرآن ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ﴾ إلى قوله: ﴿سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال: جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل في أشراف بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب فقالوا: لو أن ابن أخيك يطرد عنه هؤلاء الأعبد كان أعظم في صدورنا، وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه فكلم أبو طالب النبي ﷺ فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون، فأنزل الله: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ وكانوا بلالاً وعمار بن ياسر وسالماً مولى أبي حذيفة وصالحاً مولى أسيد وابن مسعود والمقداد بن عبد الله وواقد بن عبد الله الحنظلي وأشباههم، فأقبل عمر فاعتذر من مقالته، فنزل: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الآية. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما عن خباب قال: جاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن، فوجدا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي ﷺ

كنا رداءً لكم تحت الرايات ولو انكشفتم لفئتم إلينا فلا تستأثروا بها نزل: (١) ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يا محمد ﴿عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ الغنائم لمن هي؟ ﴿قل﴾ لهم ﴿ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ يجعلانها حيث شاءا فقسمها ﷺ بينهم على السواء، رواه الحاكم في المستدرك ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ أي حقيقة ما بينكم بالمودة وترك النزاع ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حقاً. (٢) ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملو الإيمان ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ أي وعيده ﴿وَجِلَتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ تصديقاً ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ به يثقون لا بغيره. (٣) ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله (٤) ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ صدقاً بلا شك ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ منازل في الجنة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة. (٥) ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ متعلق بـ«أخرج» ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ الخروج والجملة حال من كاف «أخرجك» و«كما» خبر مبتدأ محذوف أي هذه الحال في كراهتهم لها مثل إخراجك في حال كراهتهم وقد كان خيراً لهم فكذلك هذه أيضاً وذلك أن أبا سفيان قدم بعير من الشام فخرج النبي ﷺ وأصحابه ليغنموها فعلمت قريش فخرج أبو جهل ومقاتلوا مكة ليذبُّوا عنها وهم النفير وأخذ أبو سفيان بالعير طريق الساحل فنجت فقيل لأبي جهل ارجع فأبى وسار إلى بدر فشاور النبي ﷺ أصحابه وقال: «إن الله وعدني إحدى الطائفتين» فوافقوه على قتال النفير وكره بعضهم ذلك وقالوا لم نستعدَّ له كما قال تعالى: (٦) ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ﴾ القتال ﴿بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ ظهر لهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ إليه عياناً في كراهتهم له. (٧) ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ العير أو النفير ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ﴾ تريدون ﴿أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ أي البأس والسلاح وهي العير ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ لقلة عَدَدِها وعُددها بخلاف النفير ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾ يظهره ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ السابقة بظهور الإسلام ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ آخرهم بالاستئصال فأمركم بقتال النفير. (٨) ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ﴾ يمحق ﴿ٱلْبَٰطِلَ﴾ الكفر ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون ذلك. (٩) اذكر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى﴾ أي بأني ﴿مُمِدُّكُم﴾ معينكم ﴿بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ متتابعين يردف بعضهم بعضاً وعدهم بها أولاً ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة كما في «آل عمران» [١٢٥] وقرىء [شذوذاً] «بآلفٍ» [جمع «ألف»] كأفلُس جمع [«فلس»]. (١٠) ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ أي الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. (١١) اذكر ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً﴾ أمنا مما حصل لكم من الخوف ﴿مِّنْهُ﴾ تعالى ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ من الأحداث والجَنَابَات ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾[1] وسوسته إليكم بأنكم لو كنتم على الحق ما كنتم ظمأى محدثين والمشركون على الماء ﴿وَلِيَرْبِطَ﴾ يحبس ﴿عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ باليقين والصبر ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ أن تسوخ في الرمل. (١٢) ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ الذين أمد بهم المسلمين ﴿أَنِّى﴾ أي بأني ﴿مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر ﴿فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالإعانة والتبشير

(١) ﴿رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: تخويف الشيطان بلغة قريش.

﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ الخوف ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ أي الرؤوس ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ أي أطراف اليدين والرجلين فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر فتسقط قبل أن يصل إليه سيفه ورماهم ﷺ بقبضة من حصى فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه منها شيء فهزموا. (١٣) ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب الواقع بهم ﴿بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا﴾ خالفوا ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له. (١٤) ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ العذاب ﴿فَذُوقُوهُ﴾ أيها الكفار في الدنيا ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾. (١٥) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا﴾ أي مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ منهزمين. (١٦) ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم لقائهم ﴿دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا﴾ منعطفاً ﴿لِقِتَالٍ﴾ بأن يريهم الفرّة مكيدة وهو يريد الكرّة ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا﴾ منضماً ﴿إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ جماعة من المسلمين يستنجد بها ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾ رجع ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي وهذا مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضعف. (١٧) ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ ببدر بقوتكم ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بنصره إياكم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ يا محمد أعين القوم ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بالحصى لأن كفاً من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برميه بشر ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ بايصال ذلك إليهم فعل ذلك ليقهر الكافرين ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً﴾ عطاء ﴿حَسَنًا﴾ هو الغنيمة ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم. (١٨) ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ الإبلاء حق ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ﴾ مضعف ﴿كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾. (١٩) ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا﴾ أيها الكفار أي تطلبوا الفتح أي القضاء حيث قال أبو جهل منكم: اللهم أينا كان أقطع للرحم وآتانا بما لا نعرف فاحنه الغداة أي أهلكه ﴿فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ القضاء بهلاك من هو كذلك وهو أبو جهل ومن قتل معه دون النبي ﷺ والمؤمنين ﴿وَإِن تَنتَهُوا﴾ عن الكفر والحرب ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا﴾ لقتال النبي ﷺ ﴿نَعُدْ﴾ لنصره عليكم ﴿وَلَن تُغْنِيَ﴾ تدفع ﴿عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ جماعاتكم ﴿شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بكسر «إن» استئنافاً وفتحها على تقدير اللام. (٢٠) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا﴾ تعرضوا ﴿عَنْهُ﴾ بمخالفة أمره ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآن والمواعظ. (٢١) ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واتعاظ وهم المنافقون أو المشركون. (٢٢) ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ﴾ عن سماع الحق ﴿الْبُكْمُ﴾ عن النطق به ﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ به. (٢٣) ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ صلاحاً بسماع الحق ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ فرضاً وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوا﴾ عنه ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن قبوله عناداً وجحوداً. (٢٤) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من أمر الدين لأنه سبب الحياة الأبدية ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجازيكم بأعمالكم. (٢٥) ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ إن أصابتكم ﴿لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ بل تعمهم وغيرهم واتقاؤها بإنكار موجبها من المنكر ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه. (٢٦) ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ يأخذكم الكفار بسرعة ﴿فَآوَاكُمْ﴾ إلى المدينة ﴿وَأَيَّدَكُم﴾ قواكم ﴿بِنَصْرِهِ﴾ يوم بدر بالملائكة ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه. (٢٧) ونزل في أبي لبابة مروان بن عبد المنذر وقد بعثه النبي ﷺ إلى بني قريظة لينزلوا على حكمه فاستشاروه، فأشار إليهم أنه الذبح لأن عياله وماله فيهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ و﴾ لا ﴿تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ ما ائتمنتم عليه من الدين وغيره ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. (٢٨) ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ لكم صادة عن أمور الآخرة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تفوتوه بمراعاة الأموال والأولاد والخيانة

حقروهم، فخلوا به فقالوا إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال نعم فنزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية، ثم ذكر الأقرع وصاحبه، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ الآية وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، فنزل: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ الآية، قال ابن كثير: هذا حديث غريب، فإن الآية مكية، والأقرع وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر. وأخرج الفريابي وابن أبي حاتم عن ماهان قال: جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: إنا أصبنا ذنوباً عظاماً فما رد عليهم شيئاً، فأنزل الله ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ الآية.

اسباب نزول الآية ٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ﴾ الآيات، وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم قال: لما نزلت ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ الآية، قال رسول الله ﷺ: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف، قالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، فقال بعض الناس: لا يكون هذا أبداً أن يقتل بعضنا بعضاً ونحن مسلمون، فنزلت ﴿انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥) وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل

لأجلهم. (٢٩) ونزل في توبته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ بالإنابة وغيرها ﴿يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾[1] بينكم وبين ما تخافون فتنجوا ﴿وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ﴾ ذنوبكم ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾.

(٣٠) ﴿و﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك بدار الندوة ﴿لِيُثۡبِتُوكَ﴾[2] يوثقوك ويحبسوك ﴿أَوۡ يَقۡتُلُوكَ﴾ كلهم قِتْلَةَ رجل واحد ﴿أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ﴾ من مكة ﴿وَيَمۡكُرُونَ﴾ بك ﴿وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ﴾ بهم بتدبير أمرك بأن أوحى إليك ما دبروه وأمرك بالخروج ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ أعلمهم به. (٣١) ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالُواْ قَدۡ سَمِعۡنَا لَوۡ نَشَآءُ لَقُلۡنَا مِثۡلَ هَٰذَآ﴾ قاله النضر بن الحارث لأنه كان يأتي الحيرة يتجر فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويُحدِّث بها أهل مكة ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿هَٰذَآ﴾ القرآن ﴿إِلَّآ أَسَٰطِيرُ﴾ أكاذيب ﴿ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[3]. (٣٢) ﴿وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿هُوَ ٱلۡحَقَّ﴾ المنزل ﴿مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ مؤلم على إنكاره قاله النضر أو غيره على سبيل الاستهزاء أو الإيهام أنه على بصيرة وجَزْم ببطلانه. (٣٣) قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ﴾ بما سألوه ﴿وَأَنتَ فِيهِمۡۚ﴾ لأن العذاب إذا نزل عمَّ ولم تعذَّب أمة إلا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ حيث يقولون في طوافهم: غفرانك، وقيل هم المؤمنون المستضعفون فيهم كما قال تعالى: ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ٢٥]. (٣٤) ﴿وَمَا لَهُمۡ أ﴾ ن ﴿لا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بالسيف بعد خروجك والمستضعفين وعلى القول الأول هي ناسخة لما قبلها وقد عذَّبهم الله ببدر وغيرها ﴿وَهُمۡ يَصُدُّونَ﴾ يمنعون النبي ﷺ والمسلمين ﴿عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ أن يطوفوا به ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ﴾ كما زعموا ﴿إِنۡ﴾ ما ﴿أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أن لا ولاية لهم عليه. (٣٥) ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمۡ عِندَ ٱلۡبَيۡتِ إِلَّا مُكَآءٗ﴾ صفيراً ﴿وَتَصۡدِيَةٗۚ﴾[4] تصفيقاً أي جعلوا ذلك موضع صلاتهم التي أمروا بها ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ﴾ ببدر ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾. (٣٦) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ في حرب النبي ﷺ ﴿لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾ في عاقبة الأمر ﴿عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ﴾ ندامة لفواتها وفوات ما قصدوه ﴿ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ﴾ في الدنيا ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ منهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ في الآخرة ﴿يُحۡشَرُونَ﴾ يساقون. (٣٧) ﴿لِيَمِيزَ﴾ متعلق بـ«تكون» بالتخفيف والتشديد أي يفصل ﴿ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ﴾ الكافر ﴿مِنَ ٱلطَّيِّبِۚ﴾ المؤمن ﴿وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا﴾[5] يجمعه متراكماً بعضه على بعض ﴿فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾. (٣٨) ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ كأبي سفيان وأصحابه ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ عن الكفر وقتال النبي ﷺ ﴿يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ من أعمالهم ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ إلى قتاله ﴿فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ أي سنتنا فيهم بالهلاك فكذا نفعل بهم. (٣٩) ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ

(١) ﴿فُرۡقَانٗا﴾: مخرجاً بلغة هذيل.
(٢) ﴿لِيُثۡبِتُوكَ﴾: يعني ليحبسوك بلغة قريش.
(٣) ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: كلام الأولين بلغة جرهم.
(٤) ﴿مُكَآءٗ وَتَصۡدِيَةٗۚ﴾: المكاء الصفير والتصدية التصفيق بلغة قريش.
(٥) ﴿فَيَرۡكُمَهُۥ﴾: فيجمعه بلغة قريش.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة الأنعام

لَسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ (٦٦) لِّكُلِّ نَبَإٖ مُّسۡتَقَرّٞ وَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ (٦٧)﴾

أسباب نزول الآية ٨٢ ـ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن عبيد الله بن زحر عن بكر بن سوادة قال: حمل رجل من العدو على المسلمين فقتل رجلاً، ثم حمل فقتل آخر ثم حمل فقتل آخر، ثم قال: أينفعني الإسلام بعد هذا؟ فقال رسول الله ﷺ نعم، فضرب فرسه، فدخل فيهم ثم حمل على أصحابه، فقتل رجلاً، ثم آخر، ثم قُتل قال: فيرون أن هذه الآية نزلت فيه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ٩١ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ﴾ الآية. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن الصيف فخاصم النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟ وكان حبراً سميناً، فغضب وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له أصحابه: ويحك ولا على موسى؟ فأنزل الله ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ الآية مرسل. وأخرج ابن جرير نحوه عن عكرمة، وتقدم حديث آخر في سورة النساء. وأخرج ابن جرير من طريق ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: قالت اليهود: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً، فأنزلت.

أسباب نزول الآية ٩٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن عكرمة في

لَا تَكُونَ﴾ توجد ﴿فِتْنَةٌ﴾ شرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ وحده ولا يعبد غيره ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا﴾ عن الكفر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيهم به. ﴿٤٠﴾ ﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ هو ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ أي الناصر لكم. ﴿٤١﴾ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ أخذتم من الكفار قهراً ﴿مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ يأمر فيه بما يشاء ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره من المسلمين، أي يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكلٍّ خُمس الخمس، والأخماس الأربعة الباقية للغانمين ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ فاعلموا ذلك ﴿وَمَآ﴾ عطف على «بالله» ﴿أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد ﷺ من الملائكة والآيات ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ أي يوم بدر الفارق بين الحق والباطل ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ المسلمون والكفار ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصركم مع قلتكم وكثرتهم. ﴿٤٢﴾ ﴿إِذْ﴾ بدل من «يوم» ﴿أَنتُم﴾ كائنون ﴿بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا﴾ القربى من المدينة وهي بضم العين وكسرها جانب الوادي ﴿وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ﴾ البعدى منها ﴿وَٱلرَّكْبُ﴾ العير كائنون بمكان ﴿أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ مما يلي البحر ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ﴾ أنتم والنفير للقتال ﴿لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن﴾ جمعكم بغير ميعاد ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ في علمه وهو نصر الإسلام ومَحْقُ الكفر فعل ذلك: ﴿لِّيَهْلِكَ﴾ يكفر ﴿مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ أي بعد حجة ظاهرة قامت عليه وهي نصر المؤمنين مع قلتهم على الجيش الكثير ﴿وَيَحْيَىٰ﴾ يؤمن ﴿مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. ﴿٤٣﴾ اذكر ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ﴾ أي نومك ﴿قَلِيلًا﴾ فأخبرت به أصحابك فسروا ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ﴾ جبنتم ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِى ٱلْأَمْرِ﴾ أمر القتال ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ كم من الفشل والتنازع ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ بما في القلوب. ﴿٤٤﴾ ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ نحو سبعين أو مائة وهم ألف لتقدموا عليهم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالكم وهذا قبل التحام الحرب، فلما التحم أراهم إياهم مثليهم كما في «آل عمران» [١٣] ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ﴾ تصير ﴿ٱلْأُمُورُ﴾. ﴿٤٥﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ جماعة كافرة ﴿فَٱثْبُتُوا۟﴾ لقتالهم ولا تنهزموا ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ ادعوه بالنصر ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

﴿٤٦﴾ ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟﴾ تختلفوا فيما بينكم ﴿فَتَفْشَلُوا۟﴾ تجبنوا ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ قوتكم ودولتكم ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ بالنصر والعون. ﴿٤٧﴾ ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم﴾ ليمنعوا غيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ حيث قالوا لا نرجع حتى نشرب الخمر وننحر الجزور وتضرب علينا القيان ببدر فيتسامع بذلك الناس ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ بالياء والتاء ﴿مُحِيطٌ﴾ علماً فيجازيهم به. ﴿٤٨﴾ ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ إبليس ﴿أَعْمَٰلَهُمْ﴾ بأن شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا الخروج من أعدائهم بني بكر ﴿وَقَالَ﴾ لهم ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ من «كنانة» وكان أتاهم في صورة سراقة بن مالك سيد تلك الناحية ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ﴾ التقت ﴿ٱلْفِئَتَانِ﴾ المسلمة

قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ قال: نزلت في مسيلمة، ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان يكتب للنبي ﷺ، فيملي عليه عزيز حكيم، فيكتب غفور رحيم، ثم يقرأ عليه فيقول نعم سواء، فرجع عن الإسلام ولحق بقريش، وأخرج عن السدي نحوه وزاد قال: إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحي إليّ، وإن كان الله ينزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله، قال محمد سميعاً عليماً فقلت أنا عليماً حكيماً.

أسباب نزول الآية ٩٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ الآية. أخرج ابن جرير وغيره عن عكرمة قال: قال النضر بن الحارث سوف تشفع لي واللات والعزى فنزلت هذه الآية ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿شُرَكَٰٓؤُا۟﴾.

أسباب نزول الآية ١٠٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟﴾ الآية. قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن قتادة قال: كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسب الكفار الله، فأنزل الله ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ١٠٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: كلم رسول الله ﷺ قريشاً، فقالوا: يا محمد، تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب به الحجر، وأن عيسى كان يحيي الموتى،

والكافرة ورأى الملائكة وكانت يده في يد الحرث بن هشام ﴿نَكَصَ﴾[1] رجع ﴿عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ هارباً ﴿وَقَالَ﴾ لما قالوا له أتخذلنا على هذا الحال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ﴾ من جواركم ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ من الملائكة ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ أن يهلكني ﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾. ﴿٤٩﴾ ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي المسلمين ﴿دِينُهُمْ﴾ إذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون الجمع الكثير توهماً أنهم ينصرون بسببه قال تعالى: في جوابهم ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ يثق به يغلب ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه. ﴿٥٠﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ يا محمد ﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾ بالياء والتاء ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾ حال ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ بمقامع من حديد ﴿و﴾ يقولون لهم ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي النار وجواب «لو»: لرأيت أمراً عظيماً. ﴿٥١﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ التعذيب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ عبّر بها دون غيرها لأن أكثر الأفعال تزاول بها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ﴾ أي بذي ظلم ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ فيعذّبهم بغير ذنب. ﴿٥٢﴾ دأب هؤلاء ﴿كَدَأْبِ﴾ كعادة ﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ بالعقاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ جملة «كفروا» وما بعدها مفسّرة لما قبلها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ﴾ على ما يريده ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾. ﴿٥٣﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي تعذيب الكفرة ﴿بِأَنَّ﴾ أي بسبب أن ﴿ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ مبدلا لها بالنقمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ يبدلوا نعمتهم كفراً كتبديل كفار مكة إطعامهم من جوع وأمنهم من خوف وبعْث النبي ﷺ إليهم بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. ﴿٥٤﴾ ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿وَكُلٌّ﴾ من الأمم المكذبة ﴿كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾. ﴿٥٥﴾ ونزل في قريظة ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. ﴿٥٦﴾ ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ﴾ أن لا يعينوا المشركين ﴿ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ عاهدوا فيها ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ الله في غدرهم. ﴿٥٧﴾ ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المزيدة ﴿تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ تجدنهم ﴿فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ﴾ فرق ﴿بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾[2] من المحاربين بالتنكيل بهم والعقوبة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي الذين خلفهم ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون بهم. ﴿٥٨﴾ ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾ في عهد بأمارة تلوح لك ﴿فَٱنۢبِذْ﴾ اطرح عهدهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ حال أي مستوياً أنت وهم في العلم بنقض العهد بأن تعلمهم به لئلا يتهموك بالغدر ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾. ﴿٥٩﴾ ونزل فيمن أفلت يوم بدر ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾[3] يا محمد ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْ﴾ الله أي فاتوه ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ لا يفوتونه وفي قراءة بالتحتانية فالمفعول الأول محذوف أي «أنفسهم» وفي الأخرى بفتح «إن» على تقدير اللام. ﴿٦٠﴾ ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾ لقتالهم ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ قال ﷺ: «هي الرمي» رواه مسلم ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ مصدر بمعنى حبسها في سبيل الله ﴿تُرْهِبُونَ﴾ تُخوّفون ﴿بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي كفار مكة ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ أي غيرهم وهم المنافقون أو اليهود ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾

(١) ﴿نَكَصَ﴾: رجع بلغة سليم.

(٢) ﴿فَشَرِّدْ بِهِم﴾: فنكل بهم بلغة جرهم.

(٣) ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾: بكسر السين لغة وهي لغة النبي ﷺ وبفتح السين لغة جرهم.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة الأنعام

وأن ثمود لهم الناقة فأتنا من الآيات حتى نصدقك، فقال رسول الله ﷺ: أي شيء تحبون أن آتيكم به؟ قالوا: تجعل لنا الصفا ذهباً، قال: فإن فعلت تصدقوني؟ قالوا: نعم والله، فقام رسول الله يدعو، فجاء جبريل فقال له: إن شئت أصبح ذهباً، فإن لم يصدقوا عند ذلك لنعذبنهم، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم، فأنزل الله ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿يَجْهَلُونَ﴾.

اسباب نزول الآية ١١٨ ـ قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ﴾ الآية. روى أبو داود والترمذي عن ابن عباس قال: أتى ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، أنأكل ما نقتل، ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأنزل الله ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾. وأخرج أبو داود والحاكم وغيرهما عن ابن عباس في قوله ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ قالوا ما ذبح الله لا تأكلون، وما ذبحتم أنتم تأكلون، فأنزل الله الآية، وأخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمداً فقولوا له: ما تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال، وما ذبح الله بشمشار من ذهب، يعني الميتة فهو حرام، فنزلت هذه الآية ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ قال الشياطين من فارس وأولياؤهم قريش.

اسباب نزول الآية ١٢٢ ـ قوله

جزاؤه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ تنقصون منه شيئاً. (٦١) ﴿وَإِن جَنَحُوا﴾ مالوا ﴿لِلسَّلْمِ﴾ بكسر السين وفتحها: الصلح ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾ وعاهدهم قال ابن عباس: هذا منسوخ بآية السيف [التوبة: ٥] وقال مجاهد مخصوص بأهل الكتاب إذ نزلت في بني قريظة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثق به ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل. (٦٢) ﴿وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ﴾ بالصلح ليستعدوا لك ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ﴾ كافيك ﴿اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾. (٦٣) ﴿وَأَلَّفَ﴾ جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ بعد الإحن ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج شيء عن حكمته. (٦٤) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ و﴾ حسبك ﴿من اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

(٦٥) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ﴾[1] حُثَّ ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ للكفار ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ منهم ﴿وَإِن يَكُن﴾ بالياء والتاء ﴿مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ وهذا خبر بمعنى الأمر أي ليقاتل العشرون منكم المائتين والمائة الألف ويثبتوا لهم ثم نُسخ لما كثروا بقوله: (٦٦) ﴿الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ بضم الضاد وفتحها عن قتال عشرة أمثالكم ﴿فَإِن يَكُن﴾ بالياء والتاء ﴿مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ منهم ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته وهو خبر بمعنى الأمر أي لتقاتلوا مثليكم وتثبتوا لهم ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بعونه. (٦٧) ونزل لما أخذوا الفداء من أسرى بدر: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ﴾ بالتاء والياء ﴿لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ يبالغ في قتل الكفار ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ حطامها بأخذ الفداء ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿الْآخِرَةَ﴾ أي ثوابها بقتلهم ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وهذا منسوخ بقوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤]. (٦٨) ﴿لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ بإحلال الغنائم والأسرى لكم ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. (٦٩) ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. (٧٠) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ﴾ وفي قراءة «الأسارى» ﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إيماناً وإخلاصاً ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ﴾ من الفداء بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. (٧١) ﴿وَإِن يُرِيدُوا﴾ أي الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ بما أظهروا من القول ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ قبل بدر بالكفر ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ ببدر قتلاً وأسراً فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

(٧٢) ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المهاجرون ﴿وَالَّذِينَ آوَوا﴾ النبي ﷺ ﴿وَنَصَرُوا﴾ وهم الأنصار ﴿أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة والإرث ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم﴾ بكسر الواو وفتحها ﴿مِن شَيْءٍ﴾ فلا إرث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾ وهذا منسوخ بآخر السورة ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ لهم على الكفار ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ عهد فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. (٧٣) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصرة والإرث

(١) ﴿حَرِّضِ﴾: حض بلغة هذيل.

تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا﴾ الآية. أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس في قوله ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ قال: نزلت في عمر وأبي جهل وأخرج عن الضحاك مثله.

أسباب نزول الآية ١٤١ ـ قوله تعالى: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا﴾ الآية. أخرج ابن جرير عن أبي العالية قال: كانوا يعطون شيئاً سوى الزكاة ثم تسارفوا فنزلت هذه الآية.

وأخرج عن ابن جريج أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس جدَّ نخلة فأطعم حتى أمسى وليس له ثمرة.

سورة الأعراف

أسباب نزول الآية ٣١ ـ قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ الآية، روى مسلم عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت في الجاهلية وهي عريانة وعلى فرجها خرقة وهي تقول: اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله، فنزلت ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ ونزلت ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ﴾ الآيتين.

أسباب نزول الآية ١٨٤ ـ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ الآية، أخرج أبو حاتم وأبو الشيخ عن قتادة قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ قام على الصفا فدعا قريشاً فجعل يدعوهم فخذاً فخذاً: يا بني فلان يا بني فلان يا بني فلان، يحذرهم بأس الله ووقائعه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت إلى الصباح فأنزل الله ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن

فلا إرث بينكم وبينهم ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي تولي المسلمين وقمع الكفار ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بقوة الكفر وضعف الإسلام.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٧٤) في الجنة. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ﴾ (٧٥) أي بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة ﴿وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ﴾ أيها المهاجرون والأنصار ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ﴾ ذوو القرابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في الإرث من التوارث بالإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة ﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ﴾ اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه حكمة الميراث.

٩ ــ سورة التوبة

مدنية إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان وهي مائة وثلاثون

ولم تكتب فيها البسملة لأنه ﷺ لم يأمر بذلك كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم وأخرج في معناه عن علي: أن البسملة أمان وهي نزلت لرفع الأمن بالسيف، وعن حذيفة (إنكم تسمونها سورة التوبة وهي سورة العذاب)، وروى البخاري عن البراء أنها آخر سورة نزلت. (١) هذه ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ واصلة ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ عهداً مطلقاً أو دون أربعة أشهر أو فوقها ونقض العهد بما يذكر في قوله: (٢) ﴿فَسِيحُوا۟﴾ سيروا آمنين أيها المشركون ﴿فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ أولها شوال بدليل ما سيأتي ولا أمان لكم بعدها ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾[1] أي فائتي عذابه ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مذلُّهم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار. (٣) ﴿وَأَذَٰنٌ﴾ إعلام ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾ يوم النحر ﴿أَنَّ﴾ أي بأن ﴿ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ﴾ وعهودهم ﴿وَرَسُولُهُۥٓ﴾ بريء أيضاً (وقد بعث النبي ﷺ علياً من السَّنة وهي سنة تسع فأذن يوم النحر بمنى بهذه الآيات وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان) رواه البخاري ﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ من الكفر ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمان ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ﴾ أخبر ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم وهو القتل والأسر في الدنيا والنار في الآخرة (٤) ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾ من شروط العهد ﴿وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟﴾ يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ من الكفار ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ﴾ انقضاء ﴿مُدَّتِهِمْ ۚ﴾ التي عاهدتم عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بإتمام العهود. (٥) ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ﴾ خرج ﴿ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾ وهي آخر مدة التأجيل ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ في حِلٍّ أو حرم ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ في القلاع والحصون حتى يضطروا إلى القتل أو الإسلام ﴿وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۖ﴾ طريق يسكلونه ونصب «كل» على نزع الخافض ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ من الكفر ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ﴾ ولا تتعرضوا لهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لمن تاب. (٦) ﴿وَإِنْ أَحَدٌ

(١) ﴿غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾: كل معجز في القرآن معناه سابق بلغة كنانة.

جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾﴾.

أسباب نزول الآية ١٨٧ ـ قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ الخ... أخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس قال: قال حمل بن أبي قشير وسموأل بن زيد لرسول الله ﷺ: أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً كما تقول فإنا نعلم ما هي؟ فأنزل الله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ الآية، وأخرج أيضاً عن قتادة قال: قالت قريش فذكر نحوه.

أسباب نزول الآية ٢٠٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم وغيره عن أبي هريرة قال: نزلت ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ في رفع الأصوات في الصلاة خلف النبي ﷺ، وأخرج عنه أيضاً قال: كانوا يتكلمون في الصلاة، فنزلت ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ﴾ الآية، وأخرج عن عبد الله بن مغفل نحوه وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود مثله.

وأخرج عن الزهري قال: نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار كان رسول الله ﷺ كلما قرأ شيئاً قرأه، وقال سعيد بن منصور في «سننه»: حدثنا أبو معشر عن محمد بن كعب قال: كانوا يتلقفون من رسول الله ﷺ إذا قرأ شيئاً قرؤوا معه حتى نزلت هذه الآية التي في الأعراف ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ قلت: ظاهر ذلك أن الآية مدنية.

سورة الأنفال

أسباب نزول الآية ١ ـ روى أبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس قال:

مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ مرفوع بفعل يفسره ﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾ استأمنك من القتل ﴿فَأَجِرْهُ﴾ أمّنه ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ أي موضع أمنه وهو دار قومه إن لم يؤمن لينظر في أمره ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ دين الله فلا بد لهم من سماع القرآن ليعلموا. ﴿٦﴾ ﴿كَيْفَ﴾ أي لا ﴿يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الناقضين للعهد ﴿عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ﴾ وهم الكافرون بهم غادرون ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يوم الحديبية وهم قريش المستثنون من قبل ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ﴾ أقاموا على العهد ولم ينقضوه ﴿فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ على الوفاء به و«ما» شرطية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وقد استقام النبي ﷺ على عهدهم حتى نقضوا بإعانة «بني بكر» على «خزاعة». ﴿٧﴾ ﴿كَيْفَ﴾ يكون لهم عهد ﴿وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾ يظفروا بكم ﴿لَا يَرْقُبُوا۟﴾ يراعوا ﴿فِيكُمْ إِلًّا﴾ قرابة ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾[1] عهداً بل يؤذوكم ما استطاعوا وجملة الشرط حال ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بكلامهم الحسن ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ الوفاء به ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ ناقضون للعهد. ﴿٨﴾ ﴿ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ القرآن ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا أي تركوا اتباعها للشهوات والهوى ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ﴾ دينه ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ﴾ بئس ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ ه عملهم هذا. ﴿٩﴾ ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا﴾ قرابة ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ عهداً ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾. ﴿١٠﴾ ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ أي فهم إخوانكم ﴿فِى ٱلدِّينِ وَنُفَصِّلُ﴾ نبين ﴿ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون. ﴿١١﴾ ﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟﴾ نقضوا ﴿أَيْمَٰنَهُم﴾ مواثيقهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ عابوه ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ رؤساءه، فيه وضع الظاهر موضع المضمر ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ﴾ عهود ﴿لَهُمْ﴾ وفي قراءة بالكسر ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ عن الكفر. ﴿١٢﴾ ﴿أَلَا﴾ للتحضيض ﴿تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟﴾ نقضوا ﴿أَيْمَٰنَهُمْ﴾ عهودهم ﴿وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ من مكة لما تشاوروا فيه بدار الندوة ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ﴾ بالقتال ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ حيث قاتلوا «خزاعة» حلفاءكم مع «بني بكر» فما يمنعكم أن تقاتلوهم؟ ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ أتخافونهم؟ ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ في ترك قتالهم ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. ﴿١٣﴾ ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ﴾ يقتلهم ﴿بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ﴾ ويذلهم بالأسر والقهر ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ بما فُعل بهم هم «بنو خزاعة». ﴿١٤﴾ ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ كربها ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ بالرجوع إلى الإسلام كأبي سفيان ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. ﴿١٥﴾ ﴿أم﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعْلَمِ ٱللَّهُ﴾ علم ظهور ﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ بإخلاص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾[2] بطانة وأولياء، المعنى ولم يظهر المخلصون - وهم الموصوفون بما ذكر - من غيرهم ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. ﴿١٦﴾ ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ بالإفراد والجمع بدخوله والقعود فيه ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾ لعدم شرطها ﴿وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾. ﴿١٧﴾ ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ﴾ أحداً ﴿إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾. ﴿١٨﴾ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي أهل ذلك ﴿كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ

(١) ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾: يعني قرابة بلغة قريش.
(٢) ﴿وَلِيجَةً﴾: بطانة بلغة هذيل.

قال النبي ﷺ: «من قتل قتيلاً فله كذا وكذا، ومن أسر أسيراً فله كذا وكذا، فأما المشيخة فثبتوا تحت الرايات، وأما الشبان فسارعوا إلى القتل والغنائم، فقالت المشيخة للشبان: أشركونا معكم فإنا كنا لكم ردءاً، ولو كان منكم شيء للجأتم إلينا، فاختصموا إلى النبي ﷺ، فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾. وروى أحمد عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم بدر قتل أخي فقتلت به سعيد بن العاص، وأخذت سيفه فأتيت به النبي ﷺ فقال: اذهب فاطرحه في القبض، فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي، وأخذ سلبي فما جاوزت إلا يسيراً حتى نزلت سورة الأنفال، فقال النبي ﷺ اذهب فخذ سيفك. وروى أبو داود والترمذي والنسائي عن سعد قال: لما كان يوم بدر جئت بسيف، فقلت يا رسول الله: إن الله قد شفى صدري من المشركين هب لي هذا السيف، فقال: هذا ليس لي ولا لك، فقلت: عسى أن يعطي هذا من لا يبلي بلائي، فجاءني الرسول ﷺ فقال إنك سألتني وليس لي، وإنه قد صار لي وهو لك، قال: فنزلت ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ الآية. وأخرج ابن جرير عن مجاهد: أنهم سألوا النبي ﷺ عن الخمس بعد الأربعة الأخماس، فنزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ٥ - قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم وابن

الْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ اللَّهِ ۗ﴾ في الفضل ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ﴾ الكافرين، نزلت رداً على من قال ذلك وهو العباس أو غيره. ﴿٢٠﴾ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ رتبة ﴿عِندَ اللَّهِ ۚ﴾ من غيرهم ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الْفَآئِزُونَ﴾ الظافرون بالخير. ﴿٢١﴾ ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[1] دائم. ﴿٢٢﴾ ﴿خَٰلِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. ﴿٢٣﴾ ونزل فيمن ترك الهجرة لأجل أهله وتجارته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا۟﴾ اختاروا ﴿الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ﴾. ﴿٢٤﴾ ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ أقرباؤكم وفي قراءة «عشيراتكم» ﴿وَأَمْوَٰلٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ اكتسبتموها ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ عدم نفاقها ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ فقعدتم لأجله عن الهجرة والجهاد ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ اللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ﴾ تهديد لهم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ﴾. ﴿٢٥﴾ ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِى مَوَاطِنَ﴾ للحرب ﴿كَثِيرَةٍ﴾ كبدر وقريظة والنضير ﴿و﴾ اذكر ﴿يَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ واد بين مكة والطائف أو يوم قتالكم فيه «هوازن» وذلك في شوال سنة ثمان ﴿إذ﴾ بدل من «يوم» ﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ فقلتم لن نُغلب اليوم من قلة وكانوا اثني عشر ألفاً والكفار أربعة آلاف ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ «ما» مصدرية أي مع رحبها أي سعتها فلم تجدوا مكاناً تطمئنون إليه لشدة ما لحقكم من الخوف ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ منهزمين وثبت النبي ﷺ على بغلته البيضاء وليس معه غير العباس وأبو سفيان آخذ بركابه. ﴿٢٦﴾ ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ طمأنينته ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فرَدُّوا إلى النبي ﷺ لما ناداهم العباس بإذنه وقاتلوا ﴿وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ ملائكة ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ﴾ بالقتل والأسر ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ الْكَٰفِرِينَ﴾. ﴿٢٧﴾ ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ﴾ منهم بالإسلام ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ قذر لخبث باطنهم ﴿فَلَا يَقْرَبُوا۟ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ أي لا يدخلوا الحرم ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ﴾ عام تسع من الهجرة ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾[2] فقراً بانقطاع تجارتهم عنكم ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ﴾ وقد أغناهم بالفتوح والجزية ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. ﴿٢٩﴾ ﴿قَٰتِلُوا۟ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وإلا لآمنوا بالنبي ﷺ ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ كالخمر ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ الثابت الناسخ لغيره من الأديان وهو دين الإسلام ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ بيان للذين ﴿أُوتُوا۟ الْكِتَٰبَ﴾ أي اليهود والنصارى ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ الْجِزْيَةَ﴾ الخراج المضروب عليهم كل عام ﴿عَن يَدٍ﴾ حال أي منقادين أو بأيديهم لا يوكلون بها ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ أذلاء منقادون لحكم الإسلام. ﴿٣٠﴾ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَٰرَى الْمَسِيحُ﴾ عيسى ﴿ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ﴾ لا مستند لهم عليه بل ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ يشابهون به ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ﴾ من آبائهم تقليداً لهم

(١) ﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾: بالتخفيف لغة كنانة وبالتشديد لغة تميم.

(٢) ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾: يعني فاقة بلغة هذيل.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة الأنفال

مردويه عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة، وبلغه أن عير أبي سفيان قد أقبلت: ما ترون فيها لعل الله يغنمناها ويسلمنا فخرجنا فسرنا يوماً أو يومين فقال: ما ترون فيهم؟ فقلنا: يا رسول الله مالنا طاقة بقتال القوم إنما خرجنا للعير، فقال المقداد: لا تقولوا كما قال قوم موسى «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون» فأنزل الله ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥﴾ وأخرج ابن جرير عن ابن عباس نحوه.

اسباب نزول الآية ٩ ـ قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ﴾ الآية، روى الترمذي عن عمر بن الخطاب قال: نظر نبيُّ الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فاستقبل القبلة ثم مد يديه وجعل يهتف بربه: اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض، فما زال يهتف بربه مادّاً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه وألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبيَّ الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ فأمدهم الله بالملائكة.

اسباب نزول الآية ١٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ الآية، روى الحاكم عن سعيد بن

﴿فَـٰتَلَهُمُ﴾ لعنهم ﴿ٱللَّهُ أَنَّىٰ﴾ كيف ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ يُصرفون عن الحق مع قيام الدليل؟.

(٣١) ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ﴾ علماء اليهود ﴿وَرُهْبَـٰنَهُمْ﴾ عبّاد النصارى ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ حيث اتبعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟﴾ أي بأن يعبدوا ﴿إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ تنزيهاً له ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

(٣٢) ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ شرعه وبراهينه ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بأقوالهم فيه ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ﴾ يظهر ﴿نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ ذلك. (٣٣) ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ محمداً ﷺ ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾ يعليه ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ جميع الأديان المخالفة له ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك. (٣٤) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ﴾ يأخذون ﴿أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ كالرشا في الحكم ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ دينه ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾ أي الكنوز ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي لا يؤدون منها حقه من الزكاة والخير ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم. (٣٥) ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ﴾ تحرق ﴿بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ﴾ وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها ويقال لهم ﴿هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ أي جزاءه. (٣٦) ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾ المعتد بها للسنة ﴿عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ﴾ أي الشهور ﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ﴾ محرَّمة: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي تحريمها ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ﴾ المستقيم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ﴾ أي الأشهر الحرم ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بالمعاصي فإنها فيها أعظم وزراً وقيل في الأشهر كلها ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ جميعاً في كل الشهور ﴿كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر.

(٣٧) ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓـُٔ﴾ أي التأخير لحرمة شهر إلى آخر كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير حرمة «المحرم» إذا هلّ وهم في القتال إلى «صفر» ﴿زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ﴾ لكفرهم بحكم الله فيه ﴿يُضَلُّ﴾ بضم الياء وفتحها ﴿بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ﴾ أي النسيء ﴿عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟﴾ يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بدله ﴿عِدَّةَ﴾ عدد ﴿مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ من الأشهر فلا يزيدون على تحريم أربعة أشهر ولا ينقصون ولا ينظرون إلى أعيانها ﴿فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۚ﴾ فظنوه حسناً ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾. (٣٨) ونزل لما دعا ﷺ الناس إلى غزوة تبوك وكانوا في عسرة وشدة حر فشق عليهم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ بإدغام التاء في الأصل في المثلثة واجتلاب همزة الوصل أي تباطأتم وملتم عن الجهاد ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ والقعود فيها؟ والاستفهام للتوبيخ ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ ولذاتها ﴿مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ﴾ أي بدل نعيمها؟ ﴿فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى﴾ جنب متاع ﴿ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ حقير. (٣٩) ﴿إِلَّا﴾ بإدغام لا في نون «إن» الشرطية في «لا» الموضعين ﴿تَنفِرُوا۟﴾[1] تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا

(١) ﴿تَنفِرُوا﴾: اغزوا بلغة هذيل.

لباب النقول في أسباب النزول
سورة الأنفال

المسيب عن أبيه قال: أقبل أبيّ بن خلف يوم أحد إلى النبي ﷺ فخلوا سبيله، فاستقبله مصعب بن عمير ورأى رسول الله ﷺ ترقوة أبيّ من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه بحربته فسقط عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم، فكسر ضلعاً من أضلاعه فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور، فقالوا له: ما أعجزك إنما هو خدش، فذكر لهم قول رسول الله ﷺ: بل أنا أقتل أبياً، ثم قال والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون. فمات أبيّ قبل أن يقدم مكة، فأنزل الله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ الآية، صحيح الإسناد، لكنه غريب. وأخرج ابن جرير عن عبد الرحمٰن بن جبير أن رسول الله ﷺ يوم خيبر دعا بقوس، فرمى الحصن فأقبل السهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو في فراشه، فأنزل الله ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ الآية، مرسل جيد الإسناد، لكنه غريب، والمشهور أنها نزلت في رمية يوم بدر بالقبضة من الحصباء، روى ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني عن حكيم بن حزام قال: لما كان يوم بدر سمعنا صوتاً وقع من السماء إلى الأرض كأنه صوت حصاة وقعت في طست، ورمى رسول الله ﷺ بتلك الحصباء فانهزمنا، فذلك قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ الآيـــة، وأخرج أبو الشيخ نحوه عن جابر وابن عباس، ولابن جرير من وجه آخر مرسلاً نحوه.

غَيْرَكُمْ﴾ أي يأت بهم بدلكم ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾ أي اللَّه أو النبيَّ ﷺ ﴿شَيْئًا﴾ بترك نصره فإن الله ناصر دينه ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصر دينه ونبيه. ﴿٤٠﴾ ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أي النبيَّ ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ﴾ حين ﴿أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مكة أي ألجأوه إلى الخروج لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ حال أي أحد اثنين والآخر أبو بكر، المعنى نصره الله في مثل تلك الحالة فلا يخذله في غيرها ﴿إِذْ﴾ بدل من «إذ» قبله ﴿هُمَا فِي الْغَارِ﴾ نقب في جبل ثور ﴿إِذْ﴾ بدل ثان ﴿يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ أبي بكر وقد قال له لما رأى أقدام المشركين: لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بنصره ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾ قيل على النبي ﷺ وقيل على أبي بكر ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ أي النبي ﷺ ﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ ملائكة في الغار ومواطن قتاله ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي دعوة الشرك ﴿السُّفْلَىٰ﴾ المغلوبة ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ﴾ أي كلمة الشهادة ﴿هِيَ الْعُلْيَا﴾ الظاهرة الغالبة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه. ﴿٤١﴾ ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ نشاطاً وغير نشاط، وقيل أقوياء وضعفاء أو أغنياء وفقراء وهي منسوخة بآية ﴿لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ [التوبة: ٩١] ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لكم فلا تتثاقلوا. ﴿٤٢﴾ ونزل في المنافقين الذين تخلفوا: ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما دعوتهم إليه ﴿عَرَضًا﴾ متاعاً من الدنيا ﴿قَرِيبًا﴾ سهل المأخذ ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ وسطاً ﴿لَّاتَّبَعُوكَ﴾ طلباً للغنيمة ﴿وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ المسافة فتخلفوا ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ إذا رجعتم إليهم ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا﴾ الخروج ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ بالحلف الكاذب ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في قولهم ذلك. ﴿٤٣﴾ وكان ﷺ أذن لجماعة في التخلف باجتهاد منه، فنزل عتاباً له وقدم العفو تطميناً لقلبه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ في التخلف وهلا تركتهم ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في العذر ﴿وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيه؟. ﴿٤٤﴾ ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ في التخلف عن ﴿أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾. ﴿٤٥﴾ ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾ في التخلف ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ﴾ شكت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ في الدين ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ يتحيرون. ﴿٤٦﴾ ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ معك ﴿لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ أهبة من الآلة والزاد ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ أي لم يرد الله خروجهم ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ كسلهم ﴿وَقِيلَ﴾ لهم ﴿اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ المرضى والنساء والصبيان، أي قدر الله تعالى ذلك. ﴿٤٧﴾ ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ فساداً بتخذيل المؤمنين ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ أي أسرعوا بينكم المشي بالنميمة، ﴿يَبْغُونَكُمُ﴾ يطلبون لكم ﴿الْفِتْنَةَ﴾ بإلقاء العداوة ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ ما يقولون سماع قبول ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾. ﴿٤٨﴾ ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا﴾ لك ﴿الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ﴾ أول ما قدمت المدينة ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ أي أجالوا الفكر في كيدك وإبطال دينك ﴿حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ﴾ النصر ﴿وَظَهَرَ﴾ عز ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ له فدخلوا فيه ظاهراً. ﴿٤٩﴾ ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي﴾ في التخلف ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ وهو الجد بن قيس قال له النبي ﷺ: «هل لك في جلاد بني الأصفر؟» فقال: إني مغرم بالنساء وأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عنهن فأفتتن قال تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ بالتخلف وقرىء «سقط»

لباب النقول في أسباب النزول
سورة الأنفال

أسباب نزول الآية ١٩ ـ قوله تعالى: ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا﴾ الآية، روى الحاكم عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير قال: كان المستفتح أبا جهل فإنه قال حين التقى القوم: اللهم أينا كان أقطع للرحم وأتى بما لا يعرف فأحنه الغداة وكان ذلك استفتاحاً فأنزل الله ﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، أخرج ابن أبي حاتم عن عطيه قال: قال أبو جهل: اللهم انصر أعز الفئتين وأكرم الفرقتين، فنزلت.

أسباب نزول الآية ٢٧ ـ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ﴾ الآية، روى سعيد بن منصور وغيره عن عبد الله بن أبي قتادة قال: نزلت هذه الآية ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ في أبي لبابة بن عبد المنذر سأله بنو قريظة يوم قريظة ما هذا الأمر؟ فأشار إلى حلقه يقول الذبح فنزلت، قال أبو لبابة: ما زالت قدماي حتى علمت أني خنت الله ورسوله. وروى ابن جرير وغيره عن جابر بن عبد الله أن أبا سفيان خرج من مكة، فأتى جبريل النبي ﷺ فقال: إن أبا سفيان بمكان كذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا فاخرجوا إليه واكتموا، فكتب رجل من المنافقين إلى أبي سفيان: إن محمداً يريدكم فخذوا حذركم، فأنزل الله ﴿لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ الآية، غريب جداً في سنده وسياقه نظر، وأخرج ابن جرير عن السدي قال: كانوا يسمعون من النبي ﷺ الحديث

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لا محيص لهم عنها. (٥٠) ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ﴾ كنصر وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ﴾ شدة ﴿يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا﴾ بالحزم حين تخلفنا ﴿مِن قَبْلُ﴾ قبل هذه المصيبة ﴿وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ بما أصابك. (٥١) ﴿قل﴾ لهم ﴿لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ إصابته ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ ناصرنا ومتولي أمورنا ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾. (٥٢) ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين من الأصل أي تنتظرون أن يقع ﴿بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى﴾ العاقبتين ﴿ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ تثنية «حسنى» تأنيث «أحسن»: النصر أو الشهادة ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ﴾ ننتظر ﴿بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ بقارعة من السماء ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ بأن يؤذن لنا في قتالكم ﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟﴾ بنا ذلك ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ عاقبتكم. (٥٣) ﴿قُلْ أَنفِقُوا۟﴾ في طاعة الله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ ما أنفقتموه ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ والأمر هنا بمعنى الخبر. (٥٤) ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ﴾ بالتاء والياء ﴿مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ﴾ فاعل و«أن تقبل» مفعول ﴿كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ متثاقلون ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ النفقة لأنهم يعدونها مغرماً. (٥٥) ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾ أي لا تستحسن نعمنا عليهم فهي استدراج ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم﴾ أي أن يعذبهم ﴿بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ بما يلقون في جمعها من المشقة وفيها من المصائب ﴿وَتَزْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب. (٥٦) ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ أي مؤمنون ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين فيحلفون تقية. (٥٧) ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا﴾ يلجؤون إليه ﴿أَوْ مَغَٰرَٰتٍ﴾ سراديب ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ موضعاً يدخلونه ﴿لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسراعاً لا يرده شيء كالفرس الجموح. (٥٨) ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾ يعيبك ﴿فِى﴾ قسم ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾. (٥٩) ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ من الغنائم ونحوها ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا﴾ كافينا ﴿ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ من غنيمة أخرى ما يكفينا ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ أن يغنينا وجواب «لو» لكان خيراً لهم. (٦٠) ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ﴾ الزكوات مصروفة ﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ الذين لا يجدون ما يقع موقعاً من كفايتهم ﴿وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ أي الصدقات من جاب وقاسم وكاتب وحاشر ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ ليسلموا أو يثبت إسلامهم أو يسلم نظراؤهم أو يذبوا عن المسلمين أقسام، والأول والأخير لا يعطيان اليوم عند الشافعي رضي الله تعالى عنه لعز الإسلام بخلاف الآخرين فيعطيان على الأصح ﴿وَفِى﴾ فك ﴿ٱلرِّقَابِ﴾ أي المكاتبين ﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾ أهل الدين إن استدانوا لغير معصية أو تابوا وليس لهم وفاء أو لإصلاح ذات البين ولو أغنياء ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي القائمين بالجهاد ممن لا فيء لهم ولا أغنياء ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿فَرِيضَةً﴾ نصب بفعله المقدر ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء ولا منع صنف منهم إذا وجد فيقسمها الإمام عليهم على السواء وله تفضيل بعض آحاد الصنف على بعض، وأفادت «اللام» وجوب استغراق أفراده لكن لا يجب على صاحب المال إذ اقسم لعسره بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف ولا يكفي دونها كما أفادته صيغة الجمع وبينت السنة أن شرط المعطَى منها

فيفشونه حتى يبلغ المشركين، فنزلت.

اسباب نزول الآية ٣٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ﴾ الآية، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس أن نفراً من قريش ومن أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فلما رأوه قالوا من أنت؟ قال: شيخ من أهل نجد سمعت بما اجتمعتم له، فأمرت أن أحضركم ولن يعدمكم مني رأي ونصح، قالوا أجل، فدخل معهم، فقال: انظروا في شأن هذا الرجل، فقال قائل: احبسوه في وثاق ثم تربصوا به المنون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة فإنما هو كأحدهم، فقال عدو الله الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي والله ليخرجن رائد من محبسه إلى أصحابه فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم ثم يمنعوه منكم فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم فانظروا غير هذا الرأي، فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم واستريحوا منه، فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع، فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي، ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه وأخذه للقلوب بما يستمع من حديثه، والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب ليجمعن عليه ثم ليسيرن إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم، قالوا: صدق والله، فانظروا رأياً غير هذا، فقال أبو جهل: والله لأشيرن

الإسلام وأن لا يكون هاشمياً ولا مُطّلبياً. ﴿٦١﴾ ﴿وَمِنْهُمُ﴾ أي المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ بعيبه وبنقل حديثه ﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذا نُهوا عن ذلك لئلا يبلغه ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ أي يسمع كل قيل ويقبله فإذا حلفنا له أنا لم نقل صدّقنا ﴿قل﴾ هو ﴿أُذُنُ﴾ مستمع ﴿خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ لا مستمع شر ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ﴾ يصدق ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما أخبروه به لا لغيرهم واللام زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ بالرفع عطفاً على «أذن» والجر عطفاً على «خير» ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. ﴿٦٢﴾ ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول أنهم ما أتوه ﴿لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ بالطاعة ﴿إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ حقاً وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين وخبر «الله» أو «رسوله» محذوف. ﴿٦٣﴾ ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ﴾ أي الشأن ﴿مَن يُحَادِدِ﴾ يشاقق ﴿ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ جزاء ﴿خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾. ﴿٦٤﴾ ﴿يَحْذَرُ﴾ يخاف ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وهم مع ذلك يستهزئون ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ﴾ مظهر ﴿مَّا تَحْذَرُونَ﴾ إخراجه من نفاقكم. ﴿٦٥﴾ ﴿وَلَئِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك إلى «تبوك» ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ معتذرين ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ في الحديث لنقطع به الطريق ولم نقصد ذلك ﴿قل﴾ لهم ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾؟. ﴿٦٦﴾ ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟﴾ عنه ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ أي ظهر كفركم بعد إظهار الإيمان ﴿إِن نَّعْفُ﴾ بالياء مبنياً للمفعول والنون مبنياً للفاعل ﴿عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ بإخلاصها وتوبتها كمخشي بن حمير الأشجعي ﴿نُعَذِّبْ﴾ بالتاء والنون ﴿طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ مصرّين على النفاق والاستهزاء. ﴿٦٧﴾ ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ أي متشابهون في الدين كأبعاض الشيء الواحد ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ الإيمان والطاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن الإنفاق في الطاعة ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ﴾ تركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ تركهم من لطفه ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾. ﴿٦٨﴾ ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ﴾ جزاء وعقاباً ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم.

﴿٦٩﴾ أنتم أيها المنافقون ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟﴾ تمتعوا ﴿بِخَلَٰقِهِمْ﴾ نصيبهم من الدنيا ﴿فَٱسْتَمْتَعْتُم﴾ أيها المنافقون ﴿بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ﴾ في الباطل والطعن في النبي ﷺ ﴿كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟﴾ أي كخوضهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾. ﴿٧٠﴾ ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾ خبر ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ﴾ قوم هود ﴿وَثَمُودَ﴾ قوم صالح ﴿وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾ قرى قوم لوط أي أهلها؟ ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ المعجزات فكذبوهم فأهلكوا ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بأن يعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب الذنب. ﴿٧١﴾ ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء عن إنجاز وعده ووعيده ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يضع شيئاً إلا

عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد، ما أرى غيره، قالوا: وما هذا؟ قال: تأخذون من كل قبيلة وسيطاً شاباً جلداً، ثم يعطى كل غلام منهم سيفاً صارماً، ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فإذا قتلتموه تفرق دمه في القبائل كلها فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلهم وإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنا أذاه، فقال الشيخ النجدي هذا والله هو الرأي، القول ما قال الفتى لا أرى غيره فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له، فأتى جبريل النبي ﷺ فأمره بأن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت، وأخبره بمكر القوم فلم يبت رسول الله ﷺ في بيته تلك الليلة وأذن الله له عند ذلك بالخروج، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة يذكره نعمته عليه ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية، وأخرج ابن جرير من طريق عبيد بن عمير عن المطلب بن أبي وداعة أن أبا طالب قال للنبي ﷺ: ما يأتمر بك قومك؟ قال: يريدون أن يسجنوني أو يقتلوني أو يخرجوني قال: من حدّثك بهذا؟ قال: ربي، قال: نعم الرب ربك، فاستوص به خيراً، قال: أنا أستوصي به! بل هو يستوصي بي، فنزلت ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية قال ابن كثير: ذكر أبي طالب فيه غريب، بل منكر، لأن القصة ليلة الهجرة، وذلك بعد موت أبي طالب بثلاث سنين.

أسباب نزول الآية ٣١ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ﴾ الآية،

في محله. (٧٢) ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أعظم من ذلك كله ﴿ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. (٧٣) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهار والمقت ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي. (٧٤) ﴿يَحْلِفُونَ﴾ أي المنافقون ﴿بِاللَّهِ مَا قَالُوا﴾ ما بلغك عنهم من السب ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ من الفتك بالنبي ليلة العقبة عند عوده من تبوك وهم بضعة عشر رجلاً فضرب عمار بن ياسر وجوه الرواحل لما غشوه فردوا ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ أنكروا ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ﴾ بالغنائم بعد شدة حاجتهم، المعنى لم ينلهم منه إلا هذا وليس مما يُنقَمُ ﴿فَإِن يَتُوبُوا﴾ عن النفاق ويؤمنوا بك ﴿يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾ بالقتل ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ﴾ يحفظهم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنعهم. (٧٥) ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ وهو ثعلبة بن حاطب سأل النبي ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالاً ويؤدي منه كل ذي حق حقه فدعا له فوُسِّعَ عليه فانقطع عن الجمعة والجماعة ومنع الزكاة كما قال تعالى: (٧٦) ﴿فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا﴾ عن طاعة الله ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾. (٧٧) ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ أي فصير عاقبتهم ﴿نِفَاقًا﴾ ثابتاً ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾ أي الله وهو يوم القيامة ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ فيه. فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ بزكاته فقال «إن الله منعني أن أقبل منك»، فجعل يحثو التراب على رأسه ثم جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها ثم إلى عمر فلم يقبلها ثم إلى عثمان فلم يقبلها ومات في زمانه. (٧٨) ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ أي المنافقون ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ ما أسروه في أنفسهم ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ ما تناجوا به بينهم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ ما غاب عن العيان. (٧٩) ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فتصدق بشيء كثير فقال المنافقون، مُراءٍ وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا إن الله غني عن صدقة هذا فنزل: ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَلْمِزُونَ﴾ يعيبون ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ المتنفلين ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ طاقتهم فيأتون به ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ والخبر ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخريتهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. (٨٠) ﴿اسْتَغْفِرْ﴾ يا محمد ﴿لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ تخيير له في الاستغفار وتركه قال ﷺ «إني خُيِّرْتُ فاخترت» يعني الاستغفار رواه البخاري ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قيل المراد بالسبعين المبالغة في كثرة الاستغفار وفي البخاري حديث «لو أعلم أني لو زدت على السبعين غفر لزدت عليها» وقيل المراد العدد المخصوص لحديثه أيضاً «وسأزيد على السبعين» فبين له حسم المغفرة بآية ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ﴾ [المنافقون: ٦] ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾. (٨١) ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن تبوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي بقعودهم ﴿خِلَافَ﴾ أي بعد ﴿رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا﴾ أي قال بعضهم لبعض ﴿لَا تَنفِرُوا﴾ تخرجوا إلى الجهاد ﴿فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ من تبوك فالأولى أن يتقوها بترك التخلف ﴿لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ يعلمون ذلك ما تخلفوا. (٨٢) ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ في الدنيا ﴿وَلْيَبْكُوا﴾ في

أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير قال: قتل النبي ﷺ يوم بدر صبراً عقبة بن أبي معيط وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث، وكان المقداد أسر النضر فلما أمر بقتله قال المقداد: يا رسول الله أسيري، فقال رسول الله: إنه كان يقول في كتاب الله ما يقول، وفيه أنزلت هذه الآية ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ﴾، أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ﴾ الآية، قال نزلت في النضر بن الحارث، وروى البخاري عن أنس قال: قال أبو جهل بن هشام: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فنزلت ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ الآية.

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون: غفرانك غفرانك، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾.

وأخرج ابن جرير عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قال: قالت قريش بعضها لبعض: محمد أكرمه الله من بيننا ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ﴾ الآية، فلما أمسوا ندموا على ما قالوا، فقالوا: غفرانك اللهم. فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ

الآخرة ﴿كَثِيرًا جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ خبر عن حالهم بصيغة الأمر. (٨٣) ﴿فَإِن رَّجَعَكَ﴾ ردك ﴿ٱللَّهُ﴾ من تبوك ﴿إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ ممن تخلف بالمدينة من المنافقين ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ معك إلى غزوة أخرى ﴿فَقُل﴾ لهم ﴿لَّن تَخْرُجُوا مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ﴾ المتخلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم. (٨٤) ولما صلى النبي ﷺ على ابن أبيّ نزل ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ لدفن أو زيارة ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ كافرون. (٨٥) ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾. (٨٦) ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ أي طائفة من القرآن ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَـٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ﴾ وذوو الغنى ﴿مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ﴾. (٨٧) ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ جمع «خالفة»، أي النساء اللاتي تخلفن في البيوت ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الخير. (٨٨) ﴿لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ أي الفائزون. (٨٩) ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. (٩٠) ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الذال أي المعتذرون بمعنى «المعذورين» وقرىء به ﴿مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ إلى النبي ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في القعود لعذرهم فأذن لهم ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في ادعاء الإيمان من منافقي الأعراب عن المجيء للاعتذار ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. (٩١) ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ كالشيوخ ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ﴾ كالعمي والزمنى ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ في الجهاد ﴿حَرَجٌ﴾ إثم في التخلف عنه ﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ في حال قعودهم بعدم الإرجاف والتثبيط والطاعة ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بذلك ﴿مِن سَبِيلٍ﴾ طريق بالمؤاخذة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم في التوسعة في ذلك. (٩٢) ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ معك إلى الغزو وهم سبعة من الأنصار وقيل بنو مُقَرِّن ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ حال ﴿تَوَلَّوا۟﴾ جواب «إذا» أي انصرفوا ﴿وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ﴾ تسيل ﴿من﴾ للبيان ﴿ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾ لأجل ﴿أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ في الجهاد. (٩٣) ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ في التخلف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تقدم مثله. (٩٤) ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التخلف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ﴾ من الغزو ﴿قل﴾ لهم ﴿لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ نصدقكم ﴿قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ﴾ أي أخبرنا بأحوالكم ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾ أي الله ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه. (٩٥) ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ﴾ رجعتم ﴿إِلَيْهِمْ﴾ من تبوك أنهم معذورون في التخلف ﴿لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ﴾ بترك المعاتبة ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ قذر لخبث باطنهم ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾. (٩٦) ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ أي عنهم ولا ينفع رضاكم مع سخط الله. (٩٧) ﴿ٱلْأَعْرَابُ﴾ أهل البدو ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهل المدن لجفائهم وغلظ طباعهم وبعدهم عن سماع القرآن ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أولى ﴿أ﴾ ن أي بأن ﴿لا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ من الأحكام والشرائع ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه

يَسْتَغْفِرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾. وأخرج ابن جرير أيضاً عن ابن أبزى قال: كان رسول الله ﷺ بمكة، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ فخرج إلى المدينة، فأنزل الله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقوا فيها يستغفرون، فلما خرجوا أنزل الله ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية، فأذن في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم.

أسباب نزول الآية ٢٥ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ﴾ الآية، أخرج الواحدي عن ابن عمر قال: كانوا يطوفون بالبيت ويصفقون ويصفرون، فنزلت هذه الآية. وأخرج ابن جرير عن سعيد قال: كانت قريش يعارضون النبي ﷺ في الطواف يستهزئون به ويصفرون ويصفقون، فنزلت.

أسباب نزول الآية ٣٦ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية، قال ابن إسحاق: حدثني الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمير بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن قالوا لما أصيبت قريش يوم بدر ورجعوا إلى مكة مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أبي أمية في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم، فكلموا أبا سفيان ومن كان له في ذلك العير من قريش تجارة. فقالوا: يا معشر قريش إن محمداً قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه فلعلنا أن ندرك

﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم. (٩٨) ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿مَغْرَمًا﴾ غرامة وخسراناً لأنه لا يرجو ثوابه بل ينفقه خوفاً وهم بنو «أسد» و«غطفان» ﴿وَيَتَرَبَّصُ﴾ ينتظر ﴿بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ دوائر الزمان أن تنقلب عليكم فيتخلصوا ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ بالضم والفتح، أي يدور العذاب والهلاك عليهم لا عليكم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لأقوال عباده ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعالهم. (٩٩) ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ كـ«جهينة» و«مزينة» ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ في سبيل الله ﴿قُرُبَٰتٍ﴾ تقربه ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ وسيلة إلى ﴿وَصَلَوَٰتِ﴾ دعوات ﴿ٱلرَّسُولِ﴾ له ﴿أَلَآ إِنَّهَا﴾ أي نفقتهم ﴿قُرْبَةٌ﴾ بضم الراء وسكونها ﴿لَّهُمْ﴾ عنده ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ﴾ جنته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم. (١٠٠) ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ وهم من شهد بدراً أو جميع الصحابة ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾ إلى يوم القيامة ﴿بِإِحْسَٰنٍ﴾ في العمل ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ بثوابه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ وفي قراءة بزيادة «من» ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. (١٠١) ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ يا أهل المدينة ﴿مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ﴾ كـ«أسلم» و«أشجع» و«غفار» ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ منافقون أيضاً ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ لجوّا فيه واستمروا ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بالفضيحة أو القتل في الدنيا وعذاب القبر ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ﴾ في الآخرة ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ هو النار. (١٠٢) ﴿و﴾ قوم ﴿ءَاخَرُونَ﴾ مبتدأ ﴿ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾ من التخلف نعته والخبر ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ وهو جهادهم قبل ذلك أو اعترافهم بذنوبهم أو غير ذلك ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ وهو تخلفهم ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ نزلت في أبي لبابة وجماعة أوثقوا أنفسهم في سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين وحلفوا لا يحلهم إلا النبي ﷺ فحلّهم لما نزلت. (١٠٣) ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ من ذنوبهم فأخذ ثلث أموالهم وتصدق بها ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي ادع لهم ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ﴾ رحمة ﴿لَّهُمْ﴾ وقبل طمأنينة بقبول توبتهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. (١٠٤) ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ﴾ يقبل ﴿ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ على عباده بقبول توبتهم ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بهم؟ والاستفهام للتقرير، والقصد به تهييجهم إلى التوبة والصدقة. (١٠٥) ﴿وَقُلِ﴾ لهم أو الناس ﴿ٱعْمَلُوا۟﴾ ما شئتم ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ﴾ بالبعث ﴿إِلَٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي الله ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يجازيكم به. (١٠٦) ﴿وَءَاخَرُونَ﴾ من المتخلفين ﴿مرجؤون﴾ بالهمز وتركه [مُرجَون] مؤخرون عن التوبة ﴿لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ فيهم بما يشاء ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ بأن يميتهم بلا توبة ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم، وهم الثلاثة الآتون بعد: «مرارة بن الربيع» و«كعب بن مالك» و«هلال بن أمية»، تخلفوا كسلاً وميلاً إلى الدعة، لا نفاقاً ولم يعتذروا إلى النبي ﷺ كغيرهم فوقف أمرهم خمسين ليلة وهجرهم الناس حتى نزلت توبتهم بعد. (١٠٧) ﴿و﴾ منهم ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا﴾ وهم اثنا عشر من المنافقين ﴿ضِرَارًا﴾ مضارة لأهل مسجد «قباء» ﴿وَكُفْرًا﴾ لأنهم بنوه بأمر «أبي عامر» الراهب ليكون معقلاً له يقدم فيه من يأتي من عنده وكان ذهب ليأتي بجنود من قيصر لقتال النبي ﷺ ﴿وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين يصلون بقباء بصلاة بعضهم في مسجدهم ﴿وَإِرْصَادًا﴾ ترقباً ﴿لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ أي قبل بنائه، وهو أبو

منه ثاراً ففعلوا ففيهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿يُحْشَرُونَ﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن الحكم بن عتيبة قال: نزلت في أبي سفيان أنفق على المشركين أربعين أوقية من ذهب، وأخرج ابن جرير عن ابن أبزى وسعيد بن جبير قالا: نزلت في أبي سفيان استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش ليقاتل بهم رسول الله ﷺ.

أسباب نزول الآية ٤٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟﴾ الآية، أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: لما خرجت قريش من مكة إلى بدر خرجوا بالقيان والدفوف، فأنزل الله ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ٤٩ ـ قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ الآية، روى الطبراني في «الأوسط» بسند ضعيف عن أبي هريرة قال: لما أنزل الله على نبيه بمكة ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله أي جمع؟ وذلك قبل بدر، فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت إلى رسول الله ﷺ في آثارهم مصلتاً بالسيف يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾ فكانت ليوم بدر، فأنزل الله فيهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ﴾ الآية، وأنزل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ رماهم رسول الله ﷺ فوسعتهم الرمية وملأت أعينهم وأفواههم حتى إن

عامر المذكور ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَآ﴾ ببنائه ﴿إِلَّا﴾ الفعلة ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ من الرفق بالمسكين في المطر والحر والتوسعة على المسلمين ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ في ذلك. (١٠٨) وكانوا سألوا النبي ﷺ أن يصلي فيه فنزل ﴿لَا تَقُمْ﴾ تصل ﴿فِيهِ أَبَدًا﴾ فأرسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه «كُناسة» تلقى فيها الجيف ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ﴾ بنيت قواعده ﴿عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وضع يوم حللت بدار الهجرة، وهو مسجد «قباء» كما في البخاري ﴿أَحَقُّ﴾ منه ﴿أَن﴾ أي بأن ﴿تَقُومَ﴾ تصلي ﴿فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ﴾ هم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ أي يثيبهم، وفيه إدغام التاء في الأصل في الطاء، روى ابن خزيمة في صحيحه عن عُوَيْم بن ساعدة أنه ﷺ أتاهم في مسجد «قباء» فقال: «إن الله تعالى قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في قصة مسجدكم فما هذا الطهور الذي تطهرون به؟» قالوا: والله يا رسول الله ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود وكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وفي حديث رواه البزار فقالوا: «نُتْبِعُ الحجارة بالماء» فقال: «هو ذاك فعليكموه». (١٠٩) ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ﴾ مخافة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَ﴾ رجاء ﴿رِضْوَٰنٍ﴾ منه ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا﴾ طرف ﴿جُرُفٍ﴾ بضم الراء وسكونها، جانب ﴿هَارٍ﴾ مشرف على السقوط ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾ سقط مع بانيه ﴿فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ خير تمثيل للبناء على ضد التقوى بما يؤول إليه والاستفهام للتقرير، أي الأول خير وهو مثال مسجد «قباء»، والثاني مثال مسجد «الضرار» ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. (١١٠) ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً﴾ شكًا ﴿فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ﴾ تنفصل ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ بأن يموتوا ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم. (١١١) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ بأن يبذلوها في طاعته كالجهاد ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ جملة استئناف بيان للشراء، وفي قراءة بتقديم المبني للمفعول، أي فيُقتَلُ بعضُهم ويقاتِل الباقي ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي لا أحد أوفى منه ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ﴾ البيع ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ المنيل غاية المطلوب. (١١٢) ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ رفع على المدح بتقدير مبتدأ من الشرك والنفاق ﴿ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ المخلصون العبادة لله ﴿ٱلْحَٰمِدُونَ﴾ له على كل حال ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾[1] الصائمون ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ أي المصلون ﴿ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ لأحكامه بالعمل بها ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالجنة. (١١٣) ونزل في استغفاره ﷺ لعمه أبي طالب واستغفار بعض الصحابة لأبويه المشركين ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ﴾ ذوي قرابة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ النار، بأن ماتوا على الكفر.

(١١٤) ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ بقوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾ [مريم: ٤٧] رجاء أن يُسلم ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ بموته على الكفر ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ وترك الاستغفار له ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ كثير التضرع والدعاء ﴿حَلِيمٌ﴾ صبور على الأذى.

---

(١) ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾: الصائمون بلغة هذيل وكذا سائحات: أي صائمات.

أسباب نزول الآية ٥٥ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: نزلت ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في ستة رهط من اليهود فيهم ابن التابوت.

أسباب نزول الآية ٥٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ﴾ الآية، روى أبو الشيخ عن ابن شهاب قال: دخل جبريل على رسول الله ﷺ، فقال: قد وضعت السلاح وما زلت في طلب القوم، فاخرج فإن الله قد أذن لك في قريظة، وأنزل فيهم ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ الآية.

أسباب نزول الآية ٦٤ ـ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ الآية، روى البزار بسند ضعيف من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: لما أسلم عمر قال المشركون: قد انتصف القوم منا اليوم، وأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٦٤)﴾ وله شواهد. أخرج الطبراني وغيره من طريق سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: لما أسلم مع النبي ﷺ تسعة وثلاثون رجلاً وامرأة، ثم

(١١٥) ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾ للإسلام ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ من العمل فلا يتقوه فيستحقوا الإضلال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه مستحق الإضلال والهداية. (١١٦) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم﴾ أيها الناس ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي غيره ﴿مِن وَلِىٍّ﴾ يحفظكم منه ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمنع عنكم ضرره. (١١٧) ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ﴾ أي أدام توبته ﴿عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ أي وقتها، وهي حالهم في غزوة «تبوك» كان الرجلان يقتسمان تمرة والعشرة يتعقبون البعير الواحد، واشتد الحر حتى شربوا الفرث ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ تَزِيغُ﴾ بالتاء والياء، تميل ﴿قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ عن اتباعه إلى التخلف لما هم فيه من الشدة ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بالثبات ﴿إِنَّهُم بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾. (١١٨) ﴿و﴾ تاب ﴿عَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ عن التوبة عليهم بقرينة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي مع رحبها، أي سعتها فلا يجدون مكاناً يطمئنون إليه ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ قلوبهم للغم والوحشة بتأخير توبتهم فلا يسعها سرور ولا أنس ﴿وَظَنُّوٓا﴾ أيقنوا ﴿أن﴾ مخففة ﴿لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ وفقهم للتوبة ﴿لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾. (١١٩) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ بترك معاصيه ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الأيمان والعهود بأن تلزموا الصدق. (١٢٠) ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ إذا غزا ﴿وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ بأن يصونوها عما رضيه لنفسه من الشدائد، وهو نهي بلفظ الخبر ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي النهي عن التخلف ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ جوع ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا﴾ مصدر بمعنى «وطأ» ﴿يَغِيظُ﴾ يغضب ﴿ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ﴾ لله ﴿نَّيْلًا﴾ قتلاً أو أسراً أو نهباً ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ ليجازوا عليه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي أجرهم بل يثيبهم. (١٢١) ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾ فيه ﴿نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ ولو تمرة ﴿وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ بالسير ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ ذلك ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي جزاءه. (١٢٢) ولما وُبخوا على التخلف وأرسل النبي ﷺ سرية نفروا جميعاً فنزل: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟﴾ إلى الغزو ﴿كَآفَّةً فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ قبيلة ﴿مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ جماعة، ومكث الباقون ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟﴾ أي الماكثون ﴿فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو بتعليمهم ما تعلموه من الأحكام ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ عقاب الله بامتثال أمره ونهيه، قال ابن عباس: فهذه مخصوصة بالسرايا، والتي قبلها بالنهي عن تخلُّف واحد فيما إذا خرج النبي ﷺ. (١٢٣) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ أي الأقرب فالأقرب منهم ﴿وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ شدة أي أغلظوا عليهم ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر. (١٢٤) ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ من القرآن ﴿فَمِنْهُم﴾ أي المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ لأصحابه استهزاء ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ تصديقاً؟ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ لتصديقهم بها ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون بها. (١٢٥) ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ كفراً إلى كفرهم لكفرهم بها ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾. (١٢٦) ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ بالياء أي المنافقون، والتاء أيها المؤمنون ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ يُبتلون ﴿فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بالقحط والأمراض ﴿ثُمَّ

إن عمر أسلم فكانوا أربعين نزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية. وأخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن سعيد بن جبير قال: لما أسلم مع النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلاً وستة نسوة، ثم أسلم عمر نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ الآية، وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن المسيب قال: لما أسلم عمر أنزل الله في إسلامه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ الآية.

اسباب نزول الآية ٦٥ ـ قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ﴾ الآية، أخرج إسحاق بن راهويه في «مسنده» عن ابن عباس قال: لما افترض الله عليهم أن يقاتل الواحد عشرة ثقل ذلك عليهم وشق فوضع الله عنهم إلى أن يقاتل الواحد الرجلين، فأنزل الله ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾ إلى آخر الآية.

اسباب نزول الآية ٦٧ ـ قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ﴾ الآية، روى أحمد وغيره عن أنس قال: استشار النبي ﷺ الناس في الأسارى يوم بدر، فقال: إن الله قد أمكنكم منهم، فقام عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله اضرب أعناقهم، فأعرض عنه، فقام أبو بكر فقال: نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء، فعفا عنهم وقبل منهم الفداء، فأنزل الله ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ الآية. وروى أحمد والترمذي والحاكم وابن مسعود قال: لما كان يوم بدر وجيء بالأسارى قال رسول الله ﷺ: ما تقولون